A
956.91
T13W
c.2

منير تقي الدين

ماجستير في التاريخ من الجامعة
الاميركية في بيروت

ولادة استقلال ... لبنان

دار العلم للملايين
بيروت
١٩٥٣

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس
محفوظة جميعها للمؤلف

الطبعة الأولى
بيروت ، شباط ١٩٥٣

اهداء الكتاب

الى الذي كان وسيبقى رمزاً للامة وشعارها ، وقلبها وعقلها . . .

الى الذي انار قلوب اللبنانيين فاصبحوا يكبرون اليوم جهاده بعد تنكر البعض له . .

الى الذي جعل القضية اللبنانية في الذروة العالية من القضايا العالمية عند نضال لبنان في جامعة الامم لاجلاء الجيوش الاجنبية عن اراضيه . . .

الى الذي سقط اخيراً شهيدا في سبيل لبنان ومن اجل المحافظة على كيانه . .

الى روح سيد الشهداء ، رياض الصلح ، اهدي كتابي هذا ، لعل لبنان يستخلص منه عبرة الماضي لحاضره . . .

المؤلف

مصادر الكتاب

١ – انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب ، تعريب علي حيدر الركابي (دمشق ، ١٩٤٦).
٢ – حنا ، جورج ، من الاحتلال الى الاستقلال (بيروت ، ١٩٤٢) .
٣ – الخوري ، بشاره خليل ، مجموعة خطب من ايلول ١٩٤٣ الى كانون اول ١٩٥١ (بيروت ، ١٩٥١) .
٤ – الخوري ، بشاره خليل ، خطب الرئيس في مراحل الجهاد والاستقلال من ٢١ ايلول ١٩٤٣ الى اول كانون الثاني ١٩٤٧ (بيروت ، ١٩٤٧).
٥ – الرحي ، عبد الجبار، فيصل ملك العرب (دمشق ، ?).
٦ – الريحاني ، امين ، ملوك العرب ، ج ١و٢ (بيروت ، ١٩٥١).
٧ – الريحاني ، امين ، فيصل الاول (بيروت ، ١٩٣٤) .
٨ – الريحاني ، امين ، قلب لبنان (بيروت ، ١٩٤٨) .
٩ – اللايدي سبيرز ، قصة الاستقلال في سوريا ولبنان ، نقله الى العربية منير البعلبكي (بيروت ، ١٩٤٧).
١٠ – شمعون ، كميل نمر ، مراحل الاستقلال (بيروت ، ١٩٤٩) .
١١ – شمعون ، كميل نمر ، برقيات ومراسلات بين وزارة الخارجية اللبنانية ووزير لبنان المفوض كميل شمعون في لندن عام ١٩٤٥ (موجود عند المؤلف) .
١٢ – صلح ، رياض ، مذكرة لكاترو بتاريخ ٢٠ كانون الاول ١٩٤١ (موجود في الجامعة الاميركية تحت : لبنان ، الاستقلال ٦).
١٣ – فرح ، جورج ، اللبناني الاول من الاحتلال الى الاستقلال (بيروت ، ١٩٤٧).
١٤ – فروخ ، عمر ، درس في الدولة اللبنانية (بيروت ، ١٩٤٦).
١٥ – قضية استقلال لبنان (موجود في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت تحت : لبنان ، الاستقلال ٨ ، كراسة خالية من اسم المؤلف ومن تاريخ الطبع) .

١٦ – لودفيغ ، اميل ، البحر المتوسط ، مصاير بحر (القاهرة ، ١٩٥٢) .

١٧ – لورنس ، الكولونيل ، الثورة في الصحراء [اي الثورة العربية ١٩١٦-١٩١٨] ترجمة الدكتور رشيد كرم (مصر ، ١٩٤٩).

١٨ – مجموعات صحف محلية صدر بعضها اثناء الأزمة وبعضها في السنة نفسها ، في مكتبة الجامعة الاميركية : الديار . النهار . بيروت . صدى الانصار . البشير . اللاسيري . الاوريان . القبس .

١٩ – مذكرة الوفد الوطني للعميد بتاريخ ٣ شباط ١٩٤١ وبتاريخ ٣ نيسان ١٩٤١ (موجود في مكتبة الجامعة الاميركية تحت : لبنان ، الاستقلال ٨) .

٢٠ – مذكرة الكتلة الاسلامية لرئيس الجمهورية بتاريخ ٢١ تموز ١٩٤٢ (موجود في مكتبة الجامعة الاميركية تحت : لبنان ، الاستقلال ٨) .

٢١ – مسعد ، بولس ، لبنان وسوريا قبل الانتداب وبعده (بيروت ، ١٩٢٩)

٢٢ – مفرج ، فؤاد ، رسالة في الانتداب (بيروت ، ١٩٣٣).

٢٣ – مناقشات مجلس الامن في سوريا ولبنان (موجود في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت ، تحت : لبنان ، الاستقلال ١١) .

٢٤ – ميور ، رمزي ، النتائج السياسية للحرب العظمى ، ترجمة محمد بدران (القاهرة ، ١٩٣٦)

٢٥ – وثائق رسمية موجودة لدى المؤلف ، مصورة في آخر الرسالة .

٢٦ – وثائق في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت : لبنان، الانتخابات النيابية. لبنان ، الاستقلال. لبنان الاحزاب السياسية ؛ وهي مصادر ثانوية في غالبيتها .

٢٧ – وثيقة بتأييد استقلال لبنان ٧ تشرين الاول ١٩٤٤ ، بروتوكول الاسكندرية (موجود في مكتبة الجامعة الاميركية ؛ بيروت ، تحت : لبنان ، الاستقلال ١٠).

٢٨ – وقائع المجلس النيابي (موجود في مكتبة الجامعة الاميركية ، بيروت) .

29. Abouchdid, Eugenie Elie, Thirty Years of Lebanon and Syria 1917-1947 (Beirut,1948)

30. American Legation Staff and Others, مذكرات يومية من ٨ ت٢ الى نهاية ٢٣ ت٢ يوماً فيوماً (موجود في مكتبة الجامعة الاميركية ؛ بيروت ، تحت : لبنان ، الاستقلال ٦) .

31. Andrea Général, La Revolte Druze et l'Insurrection de Damas, 1925-1926 (Paris, 1937).

32. Ben-Horin, Eliahu, The Middle East : Crossroads of History (New York, ?)

33. Berger - Lebrault, editeurs, La Syrie et le Liban sous l'Occupation et le Mandat Français (1919-1927) (Nancy - Paris - Strasbourg, ?)

34. Borden, Mary, Journey down the Blind Alley (Great Britain, February 1947).

35. Bullard, Sir Reader,Britain and the Middle East from the Early Times to 1950 (London, 1951).

36. Catroux,Général, La Bataille de Méditerrannée Egypte-Levant-Afrique du Nord 1940—1944 (Paris, ?).

37. Le comte Chaudordy,La France et la Question d'Orient (Paris-Librairie Plon, 1897).

38. Churchill, Winston, L'Etna se referme : Mémoires sur la deuxieme Guerre, Tome V (Paris, 1950).

39. Encyclopedia Americana, vol.17 (1944 Edition)

40. Fisher, W.B. , The Middle East (Great Britain, 1950).

41. Galeb, Pierre, Le Protectorat Religieux de la France en Orient (Avignon-Aubanel Frères, ?).

42. Haddad, Georges, Fifty Years of Modern Syria and Lebanon (Beirut, 1950).

43. Hitti, Philip K. , History of Syria (London, 1951).

44. Hitti, Philip, History of the Arabs (London, 1951).

45. The Institute of Arab American Affairs, Crisis in Syria and Lebanon (New York, 1945).

46. The Lebanon Crisis, مذكرات وضعت بالانكليزية عن ازمة تشرين (موجود في مكتبة الجامعة الاميركية ، بيروت . تحت : لبنان ، الاستقلال ١) وتبتدىء من تاريخ ١٧ ت٢ وتنتهي في ٢٤ ت٢ يوماً فيوماً .

47. Lewis, Bernard, The Arabs in History (London, 1950).

48. Le Liban et la France : Documents publiés par le Patriarche Maronite (Bekerké le 23 Fevrier 1936).

49. République Francaise, Ministére des Affaires Etrangères,Textes remis à Mr. Ahmed Daouk, 13 Decembre 1943).

50. Republique Libanaise : Déclaration Ministérielle Séance du 22 Novembre 1929, Imprimerie des Lettres, Beyrouth.

51. Speiser,E. A. The United States and the Near East (Cambridge, Massachussets, 1950).

52. Tabet, Jacques, Pour Sauver l'Entente Franco - Libanaise, Imprimerie Ramlot (Paris, 1937).

53. Tyan, Ferdinand, France en Liban : Défense des Interets Francais en Syrie, Paris, Librairie Academique, Perrin et Co. 1917.

54. La Vérité sur la Question Syrienne, publié par le Commandement de la 6ème Armée (Stanboul, 1916), Imprimerie Tanine.

55. United Nations, Journal of Security Council, First Year, No.15, Thursday 21 February 1946.

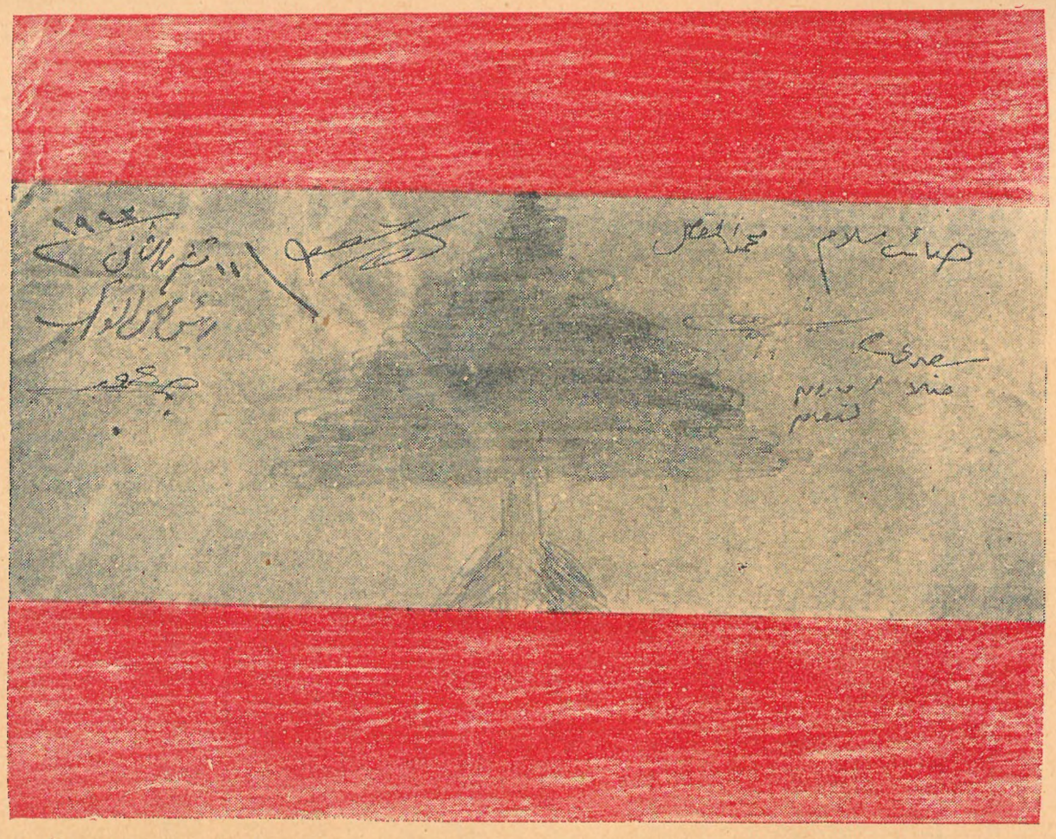

الوثيقة الوحيدة للعلم اللبناني الجديد كما وضع في جلسة البرلمان التاريخية تحت وابلٍ من رصاص الفرنسيين الساعة الثـانية عشرة من يوم الخميس ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ . وتبدو على الوثيقة تواقيـــع النواب السادة صائب سلام ـ محمد الفضل ـ سعدي المنلا ـ مارون كنعان ـ رشيد بيضون ـ هنري فرعون ـ صبري حماده

مقدمة

التاريخ علم يسجّل الواقع ، ويطلب الوصول الى الحقيقة كما هي ، لا كما يجب ان تكون . والحقيقة التاريخية هي كل الحقيقة لا بعضها .

ورائدي في هذه الرسالة هو الوصول الى حقيقة ما جرى في لبنان خلال ثلاثة عشر يوماً من عام ١٩٤٣ ، مما ادى الى استقلاله استقلالاً تاماً لاول مرة في تاريخه الحديث .

وقد حرصت على الامانة والصراحة في سرد الحوادث ، فلم اكذب ولم انتحل. ولم اتملق احداً ، ولم اخف حقائق واقعية ، قد لا ترضي بعض الناس ، وقد تجهلها الكثرة الغالبة .

وقد حرّرت النفس من كل عاطفة شخصية كان يمكن ان تطغى على تفكيري ، فرائدي هو الحقيقة المجرّدة .

وللتوصل الى الحقيقة في هذا البحث كان واجباً علي ان اطّلع على اضبارات وزارات الخارجية في لبنان وفرنسة وبريطانية واميركة ومصر والعراق والمملكة العربية السعودية ، وعلى ما لا يزال محفوظاً في صدور الرجال ، الامر الذي يساعد على فهم هذه الاضبارات وتوضيحها . وهو امر شاق لايمكن اكماله في سنة واحدة أو سنتين . وقد لا يتمّ في عشر سنوات نظراً لقرب عهده ولعدم سماح الحكومات المختصة ، لأي فرد ، الاطلاع على ما لديها من وثائق وتقارير .

يضاف الى ما تقدم ان الوثائق الاصلية التي تعاون الباحث في استقصائه الحقيقة عن هذا التاريخ ، ليست موجودة في محفوظات السلطات اللبنانية المختصة . وهذا ما يدهش ويؤسف حقاً ..

على انني اقدمت على بحث هـذا الموضوع ، على الرغم من الصعوبات والعقبات المتقدمة ، نظراً لاتصالي الشخصي بهذا الحدث الجلل ، الذي رافقته منذ بدايته حتى نهايته ، ولاحتفاظي باكثر الوثائق الاصلية المتصلة به ، ولتمكني من الاطلاع على الاوراق اللبنانية الرسمية المتعلقة به ، ولسهولة اتصالي بالرجال اللبنانيين والاجانب، اصحاب العلاقة .

اما الدافع الاساسي لاقدامي على بحث هـــذا الموضوع الجديد المعقّد ، فهو يقيني بان استقلال لبنان ، والظروف التي لابسته ، والعوامل التي ساعدت على تحقيقه ، والكفاح المخلص والمنظم الذي قام به الشعب اللبناني من اجله ، انما هو حدث مهم جداً في تاريخ الشعب اللبناني ، يحتم علي الاسراع في تدوين تفاصيله ، حرصاً عليها من الضياع او النسيان وخوفاً عليهامن الاختلاط بالدس والاختلاق .

وان في تدوين وقائع الاستقلال اللبناني تدويناً علمياً نزيهاً ، طريقة مثلى لحفظ وجهة النظر اللبنانية ، في متناول النشء اللبناني الطالع ، فيدرك ما بذله من جهود ربح بواسطتها الشعب استقلاله الذي يتمتع به .

ودافع آخر اهاب بي الى خوض هـــذا الموضوع الشائك ، هو بسط حقائق صادقة ماضية، لعلها تساعد على ايقاظ ضمير من جاهدت في سبيلهم الامة، وافسحت امامهم المجال ليخلدوا في الخير ، فكان ان اتّبعوا الشر وتناسوا ما قاساه الشعب الساذج من آلام في جهاده ومن حرمان ، للظفر باستقلاله ، حتى صار اليوم وهو يكاد يكفر بنعمة الاستقلال ، ويسائل نفسه : هل كان محقاً في نضاله ؟ ؟

اما الاصول التي استقيت منها معلوماتي فهي عبـارة عن مراسلات سياسية ، ومراسيم موقّعة ، أحتفظ بنصوصها الاصلية . وهي تعتبر المرجع الاول الناطق بصدق الحوادث المسرودة ، يضاف اليهـا بقايا مذكرات عن الحوادث كان قد احرقها الافرنسيون عام ١٩٤٤ ، عثرت عليها عند شقيقي خليل [١] .

(١) كانت الحكومة اللبنانية قد كلفت خليل تقي الدين وتقي الدين الصلح بوضع كتاب عن حوادث الاستقلال. وقد كان الكتاب عنيفاً جداً ، الامر الذي اجبر السلطة الافرنسية عام ١٩٤٤ على مداهمة مطابع اميل بستاني وعلى حرق الملازم الاولى من الكتاب،لكن خليل تقي الدين احتفظ بكثير منه عنده .

كما انني عدت الى بعض الشخصيات التي ساهمت فعلياً في هـذا الحدث ، امثال حميد فرنجية ، وتقي الدين الصلح ، وكميل نمر شمعون ، وبشاره الخوري ، وحبيب ابو شهلا ، وعادل عسيران ، وغيرهم ممن فاتني ذكرهم ، وهم لايزالون عـــلى قيد الحياة وقد كانوا شهود عيان لاكثر الحوادث .

وهناك مصادر لبنانية واجنبية رجعت اليها في بعض الاحيان ، للوقوف على آراء بعض الهيئات ، والمنظمات ، وعلى اساليب الدعاية في بعض الجرائد والمجلات، وبعض مذكرات المراسلين الحربيين الاميركيين واهم هذه المصادر هي :

منشورات المؤتمر الوطني في بيروت ، وبلاغات اللجنة الفرنسية في الجزائر ، والمندوبية الفرنسية في بيروت ، وبيانات حزبي الكتائب والنجـادة ، ومناشير اصدقاء الدولة المنتدبة ، ومقالات الصحف التي صدرت اثنـــاء الازمة كالبشير و لاسيري والبيرق والاوريان ، واخيراً جريدة الحكومـة الشرعية « علامة الاستفهام » .

ومن المراجع الثانوية التي رجعت اليها في بحثي صميم الازمة مؤلفات لكميل نمر شمعون ، وللآنسة اوجيني ابو شديد ، وللدكتور جورج حنّا ، ولجورج حدّاد وغيرها ، ممـــا سأذكره مفصلًا في صفحة المراجع ، وفي هوامش الكتاب .

وجلّ ما امكنني الوصول اليه من مصادر الحكومات الغربيـة الثلاث ، هو مذكرات رئيس الوزارة البريطانية ونستون تشرشل ، وكتاب اللايدي سبيرز زوجة اول وزير بريطاني في لبنان ، ومؤلف الجنرال كاترو « في معركة البحر المتوسط » .

على ان هذه المراجع ، وان حوت معلومات تلذ قراءتها، فهي ناقصة من حيث عدالتها ، اذ ان لرواتها ، وكلهم موظفون رسميون ، مصلحة فيما يروون ، وقـد خضعوا لظروف قاهرة، نظراً لقرب عهدهم بالحوادث، اكرهتهم على عدم التزام الحقيقة احياناً ، فشايعوا فئة معينة ، حتى اضطروا عن قصد او عن غـير قصد ان ينظروا بعين الرضى الى الفئة التي ينتمون اليها . وبعضهم اندفع بشيء من الغرور والكبرياء

ليحيد عن الحق ، وحاول البعض الآخر ان يتودد الى بعض الاوساط التي يعيش فيها .

يتبين ذلك من مقارنة ما سجلوه في كتاباتهم ، وما توصلتُ اليه في بحثي هذا ، من حقائق الحدث اللبناني .

ولست بزاعم انني قـــد قلت الكلمة النهائية في الموضوع . فالموضوع بكر جديد ، والوثائق المتعلقة به لم تنشر جميعها . وبمعنى آخر انـه يجب ان يعاد النظر فيما قلته اذا ما ظهرت وثائق جديدة في المستقبل تناقض ما ذكرته .

ولايسعني الا ان أتوجه بخالص الشكر الى استاذي الكبير الدكتور نبيه امين فارس ، الرجل الصامت ، الذي أخذ بيدي وساعدني على اخراج هذا الكتاب إخراجاً علمياً مجرداً .

بيروت في ١٨ حزيران ١٩٥٢

منير تقي الدين

الباب الاول

لبنان قبل الاستقلال

١ — لمحة موجزة عن لبنان في اثناء الحرب العامة

(١٩١٤ — ١٩١٨)

اتفاق الحسين وماكماهون

ان الموقع الجغرافي للبنان هو الذي جعله والبلاد العربية معاً ، هدفاً تنظر اليه دول الاستعمار ابداً ، وتجهد في خطب وده دائماً . ولذلك عزم الحلفاء في سنة ١٩١٥ على تحريك الثورة القومية في قلوب العرب على الاتراك وبدأ اللورد كتشنر مفاوضته للحسين بن علي شريف مكة يومئذ ، فوعدت بريطانيا العظمى الشريف حسيناً مساعدته على قيام دولة عربية تنتظم جزيرة العرب وسورية وبلاد ما بين النهرين [١] وتم هذا الاتفاق في السر برسائل تبادلها الحسين وماكماهون في سنة ١٩١٥ وقد لخص الحسين فيها مطاليبه بما يأتي :

١ — الغاء الامتيازات الاجنبية في مختلف بلاد العرب .

٢ — عقد حلف بين هذه الدولة العربية الجديدة وبريطانيا .

٣ — منح بريطانيا افضلية اقتصادية اي مركزاً ممتازاً [٢] .

وقد وافقت بريطانيا على هذه البنود الثلاثة ووعدت بالاعتراف بالدولة العربية المستقلة وبضمانة سلامتها دون ان تأتي في ذلك على ذكر سوريا والعراق ولبنان .

(١) انظر النتائج السياسية للحرب العظمى لرمزي ميور ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ١٩٣٦ ص ١٨٤ .

(٢) يقظة العرب لجورج انطونيوس ، تعريب علي حيدر الركابي ، دمشق ١٩٤٦ ص ١٧٨ .

اتفاق سايكس وبيكو

ان تسمية هذا الاتفاق باتفاق سايكس وبيكو يرجع الى اسمي موقعيه : مارك سايكس وهو المندوب البريطاني وجورج بيكو وهو المندوب الفرنسي . فانه في سنة ١٩١٦ اي بعد مرور سنة على اتفاق الحسين وماكماهون أخرج اتفاق سايكس بيكو الذي ليس هو في الحقيقة الا نقضاً لاتفاق الحسين وماكماهون وكان من اهم ما جاء فيه :

١ — تقسيم البلاد العربية الى دولات صغيرة .

٢ — اتفاق الدولتين على اقتسام المغانم : لفرنسا شمال سورية اي منطقة الساحل ، لبنان ، ولبريطانيا بعد ذلك اليد في سائر بلاد العرب [٣] .

وقد جعل هذا الاتفاق القسم الجنوبي من سورية أي فلسطين تحت اشراف الانكليز وجعل القسم الشمالي اي لبنان وحلب والشام تحت اشراف الفرنسيين ، وامضى السر ادوارد غراي وسفير فرنسا في لندن هذا الاتفاق .

هكذا حدث في تاريخ البلاد العربية مدة اثني عشر شهراً ، فقد فاوض الانكليز العرب في الاستقلال من جهة ، واتفقوا والفرنسيين من جهة ثانية على تمزيق البلاد العربية شر ممزق واقتسامها فيما بينهم .

موقف الدولة العثمانية

كل ذلك اهاب بالاتراك الى اثارة العرب على الانكليز والتحريض على الثورة . فاخذ جمال باشا يحرك النعرات الطائفية مذكراً العرب بدينهم وبالرابطة التي تشدهم والاتراك اليه وبخيانة بريطانيا « النصرانية » لهم في اتفاق سايكس وبيكو ، وكان على الكولونيل لورنس ان يجهد جهده لتهدئة تلك الثورة الروحية البعيدة التي الهب نارها الاتفاق المذكور .

فلورنس كان يريد ان يظل اسم بريطانيا شريفاً عالياً في ارض الشرق كله .

(٣) المصدر السابق (ص ٢٨١) .

واسرع الملك الحسين يستوضح بريطانيـــة في كل تلك المسائل فطمأنه الانكليز ونفضوا اكفهم مما قاله الترك ، وزعموا له ان المسائل من اساسها مجرد شائعات ترمي الى جعله في ناحية الدولة العثمانية . وهكذا جددت بريطانية له عهدها ووعدها، فاطمأن وبخاصة بعد ان اصدر الحلفاء يومئذ اي في ٨ من نوفمبر ١٩١٨ بياناً مشتركاً جاء فيه ما هذا معربه :

« ان مهمة الحلفاء وغايتهم من الحرب كانت تحرير الشعوب الخاضعة للنير العثماني وانها مستعدة لاقامة حكومات مستقلة في العراق وسورية تكفل لهذين القطرين تطوراً سياسياً حراً [٤] وقد كفل هذا البيان تصريح الرئيس الاميركي ويلسن الذي شدد على وجوب اعلان حرية الشعوب .

فخلق ذلك عند العرب في مختلف امصارهم طمأنينة في الخواطر وطرحوا باقوال العثمانيين بعيداً عنهم . اما لبنـان فقد شملت المجاعة ارجاءه وقد تكدست جثث الموتى من الجوع والمرض بعضها فوق بعض [٥] . ولقـــد شنق جمال باشا في يوم واحد ٢١ شخصاً بتهمة التجسس للاجانب . ففي السادس من شهر ايار اعدم سبعة في دمشق واربعة عشر في بيروت [٦] .

حالة البلاد العربية عند انتهاء الحرب

بعد انتصار الحلفاء اخذ العرب يهيئون أنفسهم لاخـــذ المكافأة الموعودة لهم ، لمساهمتهم في الحرب وقيامهم على الاتراك . ولكنهم رأوا للفور خيبة آمالهم ، اذ اصبحت بلادهم العربية تحت الحكم العسكري :

١ ــ فلسطين تحت سلطة حاكم انكليزي .

٢ ــ سورية تحت سلطة حاكم عربي .

٣ ــ لبنان تحت سلطة حاكم افرنسي .

(٤) انظر « فيصل ملك العراق » لمسز ستيوارت ارسكين .
(٥) بلغ عدد الضحايا على ما جاء في بعض الاحصاآت ما يقارب الاثني عشر الفاً .
(٦) انظر « اعظم حرب في التاريخ » لجرجس الخوري المقدسي ، المطبعة العلمية في بيروت (بيروت ١٩٢٧) ص ٧١ .

على ان العرب قبلوا بهذا التقسيم الموقت بعد ان احسوا ان ساسة الانكليز وعلى الخصوص لويد جورج قد بذلوا كل جهـــدهم ليحملوا الفرنسيين على السماح بانشاء دولة عربية في سوريا والاكتفاء بالسيطرة على لبنان ، غير ان فرنسة اصرت على امتلاك سورية جميعاً [٧] .

وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٨ سافر فيصل الى باريس ليمثل والده في مؤتمر فرساي. قال فيصل [٨] « كنت في حلب عندما جاءتني من والدي برقية يطلب فيها مني تمثيله في مؤتمر الصلح ، فطلبت منه ان يبعث الي بالوثائق المتعلقة بوعود الحلفاء له في استقلال البلاد العربية ، فاجابني ان تلك الوثائق هي في لندن . وهذا منه دليل على ثقة عظيمة ببريطانية » .

وعند وصول فيصل الى المؤتمر لقي عقبات ثلاثا :

الاولى : تمسك بريطانيـة بالمصالح السياسية والاقتصادية في فلسطين والعراق وعدم رغبتها في تركها للعرب ، كما كانت رغبة الحسين .

والثانية : قيام المصالح الصهيونية القوميـــة ، ووعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ بان الحكومة البريطانيـــة تنظر بعطف الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين [٩] .

الثالثة : قيام المصالح الفرنسية التقليدية في لبنان : فان فرنسة ما برحت ترى نفسها حامية للمسيحية في الشرق ، وهو ما حملها في سنة ١٨٦٠ على مساعدة الموارنة في لبنان ، كما ان لهـا فوق ذلك مستشفيات ومدارس ومصالح تجارية تعتقد أن من حقها ان تحافظ عليها [١٠] . ولقد يئس فيصل من التغلب على هـــذه العقبات فوجه خواطره نحو لندن وقصد اليهـا في شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٨ ليفاوض الانكليز والزعماء الصهيونيين [١١] على ان يجد هناك اذناً تسمع صوت بلاده وقلباً

(٧) رمزي ميور ، ص ١٨٨ .
(٨) مسز ستيوارت ارسكين ، ص ١٢٠ .
(٩) بروكلمان ، كارل ، ص ٩٢ .
(١٠) مسز ستيوارت ارسكين ، ص ١١٧ .
(١١) بروكلمان ، كارل، ص ٩٣ .

يعي مطالبها وعدالة قضيتها ولكن الانكليز اشاروا عليه بمفاوضة الفرنسيين ووعدوه هم بمساعدته . فرجع الى باريس في شهر يناير من سنة ١٩١٩ واستطاع بما فعلته له اميركة اقناع مجلس الاربعة وهو المؤلف من انكلترة وفرنسة واميركة وايطالية باقرار اقتراح ويلسن في ارسال بعثة تحقيق الى سورية مؤلفة من الخبيرين شارل كرين و كنغ[١٢] ثم عاد فيصل في اوائل نيسان من سنة ١٩١٩ الى سورية مبشراً فيها بقدوم البعثة . وجاءت النتيجة في الاستفتاء ان فرنسة غير مرغوب فيها في سورية وانه ليس إلا فئة قليلة من الشعب اللبناني تطلب الانتداب الفرنسي[١٣] أما هذا التقرير فانه لم يُعمل به[١٤] ثم عين الجنرال غورو قائداً أعلى في سورية ولبنان وذلك في تشرين الاول من سنة ١٩٢٠.[١٥]

ولم يقطع فيصل الأول الأمل من الحلفاء فذهب الى باريس واتفق وكلمنصو على اعطاء لبنان لفرنسة وإبقاء سورية مستقلة تحت الحكم العربي ، وجعل البقاع منطقة حيادية بينها. ويقول امين الريحاني[١٦]: لقد قبل فيصل رغم معارضة بعض حاشيته بما عرضه كليمنصو لتسوية المسألة السورية .

وتم الاتفاق بينهما ، الاتفاق الذي وقعاه بالحروف الاولى من اسميهما . فقامت قيامة القوميين العرب ، في سورية وفي لبنان ، وانكروا هذه التسوية، مما أدى إلى سرعة عودة فيصل لتهدئة الحال في سورية فوصل بيروت في الرابع عشر من يناير ١٩٢٠.[١٧] لكن السوريين رفضوا ان يتقبلوا حكمة فيصل.[١٨] وقد أتاحت هذه الاضطرابات الفرصة لفرنسة ان تعقد مؤتمراً عاماً لانهاء هذه الحالة في نيسان ١٩٢٠ سمي بمؤتمر «سان ريمو» كان من نتائجه الأولية إقرار الانتداب لفرنسة

(١٢) شارل كرين و هـ. كنغ ، المرجع السابق ص٩٣ .
(١٣) ملوك العرب ، لأمين الريحاني (بيروت، ١٩٥١) ص٢٤٣.
(١٤) انسحبت فيما بعد بريطانية وفرنسة من لجنة التحقيق واخفتا التقرير .
(١٥) مسز ستيوارت ، فيصل ملك العراق ، ص١٢٧.
(١٦) امين الريحاني ، فيصل الاول (بيروت ١٩٣٤) ص٢٧.
(١٧) انظر عبدالجبار الرحبي ، فيصل ملك العرب (دمشق) ص٣٤ .
(١٨) جورج انطونيوس ، ص٣٣٣.

على سورية ولبنان . فقام اهل البلاد وخصوصاً السوريون منهم يطالبون فيصلاً باعلان الحرب على فرنسة . وقد أصابت الحيرة فيصلاً إذ تقدم منه في الوقت نفسه الجنرال غورو بانذار خلاصته تحقيق الامور التالية :

١ — اخضاع الخطوط الحديدية للرقابة الافرنسية .
٢ — الاعتراف بالانتداب الافرنسي .
٣ — الغاء الجيش العربي .
٤ — ربط البلاد بعجلة النقد الافرنسي وبالتالي إقرار الورق السوري الذي اصدره غورو .
٥ — معاقبة الثوار أعداء فرنسة .

وقد طلب الجنرال قبول هذه الشروط « بوجه اجمالي دون استثناء البتة » في مهلة اربعة ايام تبتدىء في الساعة الاولى ليلاً من ١٥ تموز ١٩٢٠ وتنتهي في الساعة الثانية عشرة ليلاً في ١٨ منه[١٩]. لكن المؤتمر السوري الممثل للامة السورية في مناطقها الثلاث رفض الانذار . فاضطر فيصل الى الرفض ايضاً تحت ضغط الوطنيين والرأي العام الهائج [٢٠] وثار السوريون، واحتل الجيش الافرنسي دمشق في السادس والعشرين من شهر تموز ١٩٢٠.[٢١]

(١٩) امين الريحاني ، ملوك العرب ، ص ٣٥٤-٣٥٥.
(٢٠) بروكلمن، كارل ، المصدر السابق ،ص٩٦ .
(٢١) امين الريحاني ، ملوك العرب ، ج٢ ، ص ٣٥٧-٣٦١.

٢ . لبنان خلال الانتداب ١٩٢٠ — ١٩٣٦

●

تاريخ الانتداب [٢٢]

ان المجلس الاعلى المؤلف من انجلترة وفرنسةوإيطالية هو الذي منح الانتداب وليس جامعة الأمم كما هو معروف . إذ اتفق رئيسا وزارتي انجلترة وفرنسة على تقسيم اسلاب الحرب بينهما ، فتولتا الانتداب على العراق وفلسطين وسورية ولبنان .

اما اولى غايات الانتداب الحقيقية ، وتسمية الدولة المنتدبة ، فكانت تستند اولاً واخيراً الى رغبة الشعوب . ولكن مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) اهمل هذه الغاية كما يتضح ذلك من مصير قرار لجنة كنغ — كراين . وقد صار الاتفاق بين الدولتين المنتدبتين كما يلي : تنازلت فرنسة عن مطاليبها الاقليمية في العراق لقاء إطلاق يدها في سورية ولبنان ولقاء منحها حصة كبيرة من نفط الموصل [٢٣] وقد برر الانجليز نكثهم بالعهود بان انجلترة قد جاهدت حتى النفس الاخير في سبيل

(٢٢) ان على الدول ان تحسن معاملة الشعوب المتأخرة الخاضعة لحكمها . فتدير الدول ما استولت عليه من الاراضي في آسيا وافريقيا التي كانت تابعة للدول المغلوبة وذلك بطريق الانتداب عن العصبة (المادة ٢٢) . وتراعي رفاهية الشعوب ورقيها امانة مقدسة في عنق المدنية . وانتوافيها الدول المنتدبة بتقارير عن الطريقة التي تنفذ بها عهدها ، وان تقرر متى اصبح الانتداب غير ضروري ومتى اصبح الشعب قادراً على ادارة شؤونه بنفسه (رمزي ميور — ترجمة محمد بدران — النتائج السياسية للحرب العظمى ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ص ٨٩ ـ ٩٠ .)

(٢٣) هذه الصفقة تمت اثناء انعقاد مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠ .

تحقيق رغبات العرب ، وان الحرب كادت تقع بينهم وبين حليفتهم فرنسة من اجل العرب . ان الانتداب على سورية ولبنان كان ثمناً لقبول فرنسة بادخال فلسطين والموصل ضمن النطاق البريطاني [٢٤] .

صك الانتداب

لقد تمثلت روح الانتداب في صك ملؤه النيات الحسنة والوعود الخلابة . وكان من جملة مواد هذا الصك اتخاذ التدابير التي من شأنها ان تسهل لسورية ولبنانسبيل النمو والتقدم المتوالي كدولتين مستقلتين،وان الدولة المنتدبة تؤيد الاستقلال الاداري المحلي بكل ما تسمح به الظروف [٢٥] .

اما العلاقات الخارجية فيجب ان تكون كلها بيد الدولة المنتدبة دون سواها . وكذلك تراقب الدولة المنتدبة الارساليات الدينية لاجل حفظ النظام وحسن الادارة، ويحق لهذه الارساليات الدينية ان تشتغل بامور التعليم [٢٦] .

وتعتبر اللغة الفرنسية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية . ولما كانت فرنسة قد قبلت (على حد قولها) الانتداب على سورية ولبنان فلهذه الأسباب قرر المجلس الأعلى والمؤلف من انجلترة وفرنسة :

ان تضع فرنسة الدولة المنتدبة نظاماً اساسياً لسورية ولبنان خلال ثلاث سنوات تبتدىء من تاريخ الشروع بتطبيق الانتداب [٢٧] .

تنظيم الانتداب وتقسيم ادواره :

ان المفوض السامي هو الممثل المباشر للحكومة الفرنسية في البلاد المشمولة

(٢٤) جورج انطونيوس ، ص ٣٨٤ .

(٢٥) كانت فرنسة تتدخل في تعيينات المحاتير وفي تزييف إرادة الناخب اللبناني .

(٢٦) الجزويت كان لهم اثر بعيد في السياسة المحلية .

(٢٧) « واني اعتمد على معاونتكم ونير فكرتكم للوصول الى خاتمة حسنة لمهمة « التمدين » التي وضعتها عصبة الامم على عاتق فرنسة واولتها شرف القيام بها لخير البلدان التي تسلمها الانتداب ». من كتاب للجنرال فيغان الى وكيل حاكم لبنان الكبير بتاريخ ٥ تشرين الاول ١٩٢٣ وجهه من بلدة عاليه .

بالانتداب وبالامكان تقسيم الانتداب في لبنان الى ثلاثة اقسام :

القسم الأول : يمتد من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٦ وهو تاريخ انتهاء ثورة جبل الدروز . وقد اتصف هذا القسم بانه كان عهد ديكتاتورية عسكرية تقلب فيه ثلاثة قواد عسكريون :

الجنرال غورو من ٨ تشرين الاول ١٩١٩ الى ٩ ايار ١٩٢٣ .

الجنرال فيغان من ٩ ايار ١٩٢٣ الى ٢ كانون الثاني ١٩٢٥ .

الجنرال سرايل من ٢ كانون الثاني ١٩٢٥ الى نهاية عام ١٩٢٥ .

اما حكام لبنان في هذه الفترة فقد كانوا :

القومندان ترابو من اول ايلول ١٩٢٠ الى ١٢ ايار ١٩٢٣ .

الجنرال فندنبرغ من ٢٧ حزيران ١٩٢٤ الى كانون الثاني ١٩٢٥ .

المسيو كايلا من ١٦ تموز ١٩٢٥ الى ٢٥ ايار ١٩٢٦ .

حالة لبنان السياسية الداخلية في العهد الاول

بعد ان اعلن غورو الاستقلال للبنان في اول ايلول ١٩٢٠ اصدر قراراً عين فيه لجنة إدارية للبنان الكبير مؤلفة من ١٧ عضواً ما لبثت ان تحولت الى مجلس نيابي عام ١٩٢٢ . وقد تميز هذا العهد بسياسة الطيش والحمق التي اتبعها المفوضون السامون الافرنسيون وبذر الفتنة التي انتهت بثورة ١٩٢٥ .

وكان الفرنسيون يعتقدون ان لبنان هَو معقلهم الحصين لان اكثرية سكانه كانت من الموارنة وكان همهم ان يوسعوا لبنان على حساب جارته سورية . فأصدر غورو في ٣١ اوغسطس (آب) عام ١٩٢١ قراراً نص على إيجاد لبنان الكبير وإلحاق أقضية طرابلس وصيدا وصور وبعلبك وسهل البقاع به . فيكون لبنان قد ربح مرفأين كبيرين مع زيادة في السكان المسلمين . وكانت غاية فرنسة تفكيك العرب ، وعزل سورية عن البحر وإبقاءها في شبه صحراء .

حالة لبنان في العهد الثاني الذي يمتد من عام ١٩٢٦ الى عام ١٩٣٦

تميز هذا العهد بكون فرنسة اتخذت لنفسها صفة المفاوض وحاولت فيه التفاهم مع زعماء البلاد المشمولة بالانتداب . ولكنها اخفقت إخفاقاً تاماً . وعينت فرنسة لها مفوضين سامين مدنيين ، الاول بونسو وقدعين في آب ١٩٢٦ وبقي في منصبه سبع سنوات ، اي حتى ١٩٣٣ . وكان دبلوماسياً بارعـــاً يجيد المماطلة ويحسن السكوت . أما حكام لبنان في هذه الفترة فكانوا :

شارل دباس من ٢٦ ايار ١٩٢٦ حتى نهاية ١٩٣٣ .

والمفوض السامي الثاني كان ده مرتيل الذي عين من ١٢ تشرين الاول ١٩٣٣ حتى آخر ١٩٣٦ . وقد كان سفيراً لفرنسة في طوكيو وقد اخذ يدعو البـلاد الى عقد معاهدة مع بلاده تجعلها برفاهية ، ووعد بتحسين الحالة الاقتصادية بخلقه المشاريع اللازمة [٢٨] . وعين خلال هذه الفترة حبيب باشا السعد رئيساً للجمهـورية من ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٤ الى ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦ .

ولا بد لنا من الاشارة الى حالة البلاد النفسانية خلال هذه الفترة . فقد أذكى الانتداب نار الخلاف المذهبي في البلاد بين النصارى والمسلمين وساهمت في هـــذا الاذكاء البعثات الجزويتية الفرنسية التي شجعهـــا المستعمر . وكانت فرنسة تخلق الأحزاب الطائفية[٢٩] . يضاف إلى ذلك ان فرنسة كانت غايتها نشر التعليم الافرنسي بنصه وروحه ومقاومة النفوذ الثقافي العربي الذي كانت تشجعه إلى حد بعيد الجامعة الاميركية .

---

(٢٨) ولكن العملة التي كانت قائمة على اساس الفرنك غير المستقر على حال اوقع البـلاد في ركود اقتصادي هائل .

(٢٩) حزب الوحدة اللبنانية ورئيسه توفيق لطف الله عواد : لعب هذا الحزب (حزب القمصان البيضاء) دوراً رئيسياً في إثارة النعرات المذهبية. وطبيعي ان هذا الحزب الفرنسي النشأة أثار رد فعل معاكس فأدى الى هياج الفئات المسلمة وعقبته مذابح كادت تودي بالبلاد لولا تعقل وحكمة بعض الوطنيين وعلى رأسهم رياض الصلح .

فقد فرضت فرنسة اللغة الفرنسية على المدارس الرسمية وعلى المحاكم وجعلتها على قدم المساواة مع اللغة العربية، كما انها اهملت المدارس التي لا تعلم الفرنسية. ولم تقف عند هذا الحد بل عمدت إلى تأليف كتب تهاجم العرب ووحدتهم . وكان يستولي على عقلية فرنسة حلم مزعج هو اعتقادها ان بريطانية وعمالها يعملون على طردها من لبنان (هواجس لم تفارق فرنسة حتى الآن).

معاهدة سنة ١٩٣٦

تشبه هذه المعاهدة المعقودة في ١٣ نوفمبر ١٩٣٦ معاهدة العراق مع بريطانية ، ففترة الانتقال من الانتداب الى الاستقلال في لبنان مدتها ثلاث سنوات يقبل بعدها لبنان في عصبة الامم بين الدول ذات السيادة المستقلة . أما مدة هـذه المعاهدة فكانت ٢٥ سنة قابلة للتجديد باتفاق يعقد بين الطرفين . وقد احتفظ الفرنسيون بحق إبقاء قواتهم العسكرية مع جميع الأسلحة طوال مـدة المعاهدة دون تحديد للمناطق التي ترابط فيهـا أو للعدد الذي تتألف منه . ولم يؤت على ذكر حدود لبنان . وقد صدق المجلس النيابي اللبناني هذه المعاهدة التي فُرضت فرضاً ولم يوجد المعارضة داخله من أثر، بل ان المعارضة كانت خارجه . ولم يبرم المجلس الفرنسي هذه المعاهدة في النهاية .

وعلى أثر هذه المعاهدة نشأ حزب جديد في البلاد استقلالي النزعة الى حـد ما ، طالب بالدستور وسمي بالكتلة الدستورية [٣٠] وكان يدعم هذا الحزب مناضلون شعبيون راسخو القدم في الوطنية[٣١]. وقامت هذه العناصر الوطنية بحركات قوية أدت الى المرحلة التالية وهي التي تمتد من سنة ١٩٣٦ الى سنـة ١٩٤١ وهي القسم الثالث من هذا البحث .

---

(٣٠) من ابرز اعضاء الكتلة بشارة خليل الخوري وكميل نمر شمعون ومجيـد ارسلان وبهيج تقي الدين .

(٣١) رياض الصلح وعبد الحميد كرامه وعادل عسيران .

حالة لبنان في العهد الثالث الذي يمتد منه سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٤١

كان المسيو بيو مفوضاً سامياً في ٢١ كانون الثاني ١٩٣٧ وبقي حتى ٣٠ كانون الأول ١٩٤٠ . وفي ٤ كانون الثاني ١٩٣٧ فك عقـال الدستور المعلق وجرت انتخابات نيابية جديدة في صيف السنة نفسها . فتألف المجلس الجديد من ٦٣ عضواً في تشرين الأول ١٩٣٧ : اثنان واربعون نائباً منتخباً وواحد وعشرون معيناً.[٣٢]

وفي ٢١ ايلول سنة ١٩٣٩ أصدر المفوض السامي « بيو » قراراً بوقف الدستور واعلن إقامة حكم الفرد .

---

(٣٢) كان هذا المجلس مثالاً للتزوير فلم تراع في انتخابه الاساليب الديمقراطية الصحيحة في اجراء الانتخابات، وقد حصل ائتلاف بين الكتلة الدستورية وحزب اميل اده رئيس الجمهورية في ذلك الوقت.

٣. حملة الحلفاء على سورية ولبنان عام ١٩٤١

اسباب الحملة وكيف اشتركت حكومة ده غول فيها

ان خوف الفرنسيين الأحرار من ترك بلاد المشرق بين أيدي الانكليز وحدهم جعلهم يقرون وجوب اشتراكهم في الحملة والعمليات الحربية . وعلى حد قول كاترو ان بريطانية لن تترك الادارة والانتداب للجنرال دانتز فيما لو نجحت الحملة فيجب ان تتمثل فرنسة في هذه البلاد[٣٣] وقد دامت هذه الحملة شهراً كاملاً .

حالة لبنان عند قدوم الحملة

كان الجنرال دانتز مفوضاً سامياً في لبنان ، وقد كانت مدة اقامته في هذه البلاد من ٣٠ كانون الأول حتى ١٤ تموز ١٩٤١ . وكان على رأس الدولة اللبنانية السيد الفرد نقاش يعاونه في الحكم السيد سامي الصلح كرئيس وزارة . وكان دانتز يقاوم في بلاد مسلحة ومحصنة وجبلية . وكانت قواته الممتدة من رأس الناقورة حتى بيروت تتألف من اربعة أفواج عناصرها الفرقة الأجنبية وثلاثة فيالق مدرعة وتسعين مصفحة حديثة مع ١٥ الف رجل وخمسين طائرة.

سير الحملة

قرر الجيش البريطاني المسير رأساً الى بيروت عن طريق الساحل ، والى دمشق

(٣٣) كاترو ، في معركة المتوسط، ص١٣٢.

عن طريق جبل الدروز ، ومن جهة العراق تتوجه فرقة الى تدمر وحمص. وقد تقرر ان يكون الهجوم العام فجر ٨ حزيران سنة ١٩٤١ وكان اعتماد الحلفاء على امكانية عصيان قوات فيشي وعلى صداقة الدروز بصورة خاصة الذين تربطهم ببريطانية علاقات تاريخية [٣٤].

نداء كاترو :

قبل بدء الحملة بساعات ، ارسل كاترو نداء الى قوات فيشي المحاربة يثير فيهم الحماسة والشرف والوطنية الافرنسية [٣٥] . وفي فجر ٨ حزيران ألقت الطائرات آلاف النسخ من بيان صادر عن كاترو في مقره بالقاهرة وهو باسم فرنسة الحرة جاء فيه : « في الوقت الذي تدخل فيه قوات الافرنسيين الاحرار مع حليفتهم بريطانية العظمى أُعلن باسم الجنرال ده غول وفرنسة الحرة أنني ألغي الانتداب وأعترف بكما شعبين حرين مستقلين . لكما إذاً سيادة واستقلال سواء بقيتا منفصلين أو كنتما دولة واحدة، وفي كلتا الحالتين فان استقلالكما سوف يضمن في معاهدة تفسر علاقاتنا المشتركة . وسوف تفهمان ان سبب حملتنا واجتيازنا حدودكما ليس لحجز حريتكما بل لتأييدها ولنطرد من بلديكما قوات هتلر المحتلة لنوفر حقوقكما وبنفس الوقت حقوق فرنسة الحرة . ونحن الذين نحارب من أجل الحرية ، وحرية الشعوب لا يمكننا ان نسمح للاعداء ان يستأثروا بأنفسكم وبممتلكاتكم ويستعبدوكم ، ولن نسمح للعدوان بان يغتصب حقوقكما[٣٦] .فاذا اتحدتما معنا فيجب أن تعلما ان حكومة الانجليز على اتفاق معنا بان نعطيكما الضمانات اللازمة الانتفاع من جميع الامتيازات التي تتمتع بها البلدان الحرة وستدخلان في النظام الاسترليني الذي يعزز اقتصاديات بلديكما . لقد أتت الساعة أيها اللبنانيون والسوريون ، الساعة الكبرى التي تعلن فرنسة بصوتي استقلالكم ، فرنسة التي تناضل بحياتها من أجل حرية العالم . »

(٣٤) قبض بعض الزعماء ، بواسطة اسبهان ، ستة آلاف جنيه ثمناً للحياد .
(٣٥) ولكنهم لم يستجيبوا لهذا النداء .
(٣٦) لقد نسي هللو هذا القول فيما بعد ! ...

وقد حدثت محاولات بين فرنسة وانجلترة بخصوص ضمانة النـــداء إذ طلبت انجلترة من فرنسة أن يرفق هذا النداء بضمانة انجلترة لتصريح فرنسة، وأن تظهر هذه الضمانة بالمنشور نفسه، فرفض ده غول وطلب ان تعلن انجلترة ضمانتها بتصريح آخر على حدة [٣٧] . وكانت فرنسة ترمي من النداء المذكور الى رفـع معنويات فرنسة المهزومة، اما بريطانية فكانت تهدف الى تعزيز مركزها في جميع أنحاء البلادالعربية وتخفيف حدة الدعاية الألمانية النازية خصوصاً في مصر والعراق .

وصف الهجوم

كان الجنرال دانتز المفوض السامي مراقباً من اللجنة الألمانية المتمركزة في أوتيل متروبول ببيروت . وقد كان مخلصاً لحكومة فيشي . وقد ساعدته اللجنـة المذكورة واستقدمت له طائرات حربية كبيرة .

وكان الأميرال دارلان قد خابره عما إذا كان يوافق على إنزال حملة عسكرية ألمانية في مرفأ بيروت أو طرابلس فأشار دانتز أنه يفضل ان يكون نزول الحملة في شكا لأنها غير مراقبة .

وفي ٩ تموز جرت معركة ضارية في الدامور بين الفرقة الاسترالية وقوات فيشي دخل على أثرها الجنرال ويلسن مدينة بيروت . عند ذلك استنجد دانـــتز بقنصل أميركة في بيروت ووسطه لمفاوضة الجنرال ويلسن بالهدنة . وكان دانتز قـد أقسم بشرفه العسكري انه سيواصل الحرب حتى الحدود التركية . فكيف أخلّ بوعده وطلب الهدنة ؟ [٣٨] لعل سبب تراجعه يعود الى العوامل الآتية :

١ ــ ان تركية رفضت السماح للألمان بالمرور لنجدة دانتز .

٢ ــ ان صبر الشعب اللبناني قد نفد والحالة الاقتصادية المؤثرة جعلت الشعب يتمعض من طول القتال .

(٣٧) لم يخطر ببال فرنسة آنذاك ان ضمانة انجلترة ستكون في المستقبل القريب سلاحاً ماضياً بيد الجنرال سبيرز .

(٣٨) كاترو ، ص ١٥٠ .

٣ ــ أُجبر ألفرد نقاش ، تحت ضغط الوطنيين ، [٣٩] على ان يطالب بجعل مدينة بيروت مفتوحة .

٤ ــ كان الرأي العام الافرنسي يعطف على قضية الحلفاء وفرنسة الحرة وطلب وقف القتال .

٥ ــ انشغال النازيين بحملتهم على روسية، واعتقادهم بامكانية إحراز النصر قبل حلول الشتاء ، وان بمقدورهم العودة الى انتزاع سورية ولبنان فيما بعد .

معاهدة عكا

كانت عكا بحماية الفرقة الاسترالية عندما ذهب اليها المفاوضون في ١٢ تموز سنة ١٩٤١ ، ووقعت فيها المعاهدة في ١٤ تموز ١٩٤١ وتبودلت الامضاءات [٤٠] وفي ٣٦ تشرين الأول سنة ١٩٤١ أعلن كاترو ثانية استقلال لبنان وجرى تبادل رسائل بينه وبين الفرد نقاش بتأييد هذا الاستقلال[٤١]. وفي ١٨ آذار ١٩٤٣ فك الدستور من عقاله وعينت حكومة موقتة للاشراف على الانتخابات النيابية ينبثق عنهـــا حكومة دستورية تكون حكومة الاستقلال . ويقول كاترو[٤٢] :

« في الثامن عشر من مارس ١٩٤٣ الفت حكومتين موقتتين في دمشق ولبنان لهما مهمة تحضير عودة الحياة الدستورية بانتهاج انتخابات نيابية . جئت الى لبنان في القسم الاول من شهر تموز حيث كانت الانتخابات النيابية تهيأ في جو محموم . وكان النضال بارزاً بين الجنرال سبيرز والمندوبية الفرنسية وقد لفت نظري أمران مهمان:

اولهما : اتحاد الطوائف المحمدية (دروز ، شيعة ، سنّة) لمقاطعة الانتخابات وذلك على أثر تحيّز رئيس الدولة آنئذ ايوب ثابت مع الفئة المسيحية باصداره قراراً يسجل بموجبه المهاجرون اللبنانيون في قائمة الناخبين ، لاكثار عدد مقاعد المسيحيين

(٣٩) رياض الصلح والكتلة الدستورية .

(٤٠) انظر كاترو ، معركة البحر المتوسط ، ص١٥٠—١٥٥

(٤١) الرسائل موجودة في مكتبة الجامعة الاميركية في كتيب اسمه « L'Independance du Liban » (لبنان، الاستقلال ١).

(٤٢) كاترو ، ص١٥٠ .

في المجلس المقبل . وقد أثار هذا العمل الخشن البلاد العربية فهبت لمساعدة المسلمين في احتجاجهم وحضتهم على مقاطعة الانتخابات، الامر الذي أوجب عليّ التدخل لدى ايوب ثابت وطلبت منه ان يعود عن قراره فرفض وآثر الانسحاب من الحكم فعين بيترو طراد مكانه .

اما الأمر الثاني : فهو مساعدة المندوبية الفرنسية الظاهرة لأحد المتنافسين على الرئاسة، اميل اده . لقد كان من رأيي ان تساعد فرنسة بشارة الخوري الذي كانت انانيته تجعله يعلق اهمية كبرى على وصوله للرئاسة . وكان من الواجب على فرنسة ان لا تخيب رجاءه . وقد قابلني بشاره مراراً عديدة وشكا لي بمرارة اعمال هللو ضده . وكان الانكليز يتدخلون بقوة في الانتخابات بواسطة ممثلهم سبيرز سواء في الشمال ام في الجنوب ام في البقاع ، مما ادى الى منع أنصار فرنسة من التقدم للانتخابات في مناطق كثيرة . وهكذا لم يدخل المجلس النيابي من انصار فرنسة إلا نفر يعد على الأصابع .»

وفي يومي ٢٩ آب و ٦ أيلول جرت الانتخابات النيابية للمجلس الجديد وفيها تطاحن النفوذ الفرنسي مع الشعور الوطني وتألفت جبهتان :

الاولى : كانت تمثل أماني البلاد الصحيحة، وقد تزعمتها العناصر القومية الواعية[٤٣]. مضافاً اليها الكتلة الدستورية[٤٤] .

والثانية : كانت تمثل النزعة الانعزالية التقليدية المصادقة لفرنسة وقد تزعمتها الكتلة الوطنية[٤٥]، يعاونها الأمن العام الفرنسي ويموّلها البنك السوري اللبناني[٤٦] .

---

(٤٣) رياض الصلح ، عبد الحميد كرامة ، وعادل عسيران .

(٤٤) بشارة الخوري ، كميل شمعون ، مجيد ارسلان ، بهيج تقي الدين وغيرهم .

(٤٥) اميل اده ، كمال جنبلاط ، احمد الحسيني .

(٤٦) بويسون : وهو مدير البنك السوري ، وقد لعب في ما بعد دوراً مهماً وتدخل في توجيه سياسة لبنان الخارجية . وأعتقد انه ليس غريباً عن خلق المقاطعة الاقتصادية بين لبنان وسورية .

الباب الثاني

وثبة لبنان لنيل استقلاله

١ . دخول عناصر جديدة

●

الانتخابات النيابية

في اليوم السادس من أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤٣ ، انتهى لبنان من انتخاب نوابه ، وكانت هي المرة الأولى التي عرف فيها حرية الانتخاب منذ دخول الفرنسيين إليه . وتألف المجلس النيابي من عناصر جديدة [١] كانت الى الأمس تحاربها السلطة الفرنسية ، وعناصر قديمة حاربتها السلطة هذه المرة . ولكن هذه العناصر على اختلافها كانت تشعر بانها مدينة للشعب بانتخابها ونيابتها . وهكذا دخل المجلس دم جديد ، وسيطرت عليه روح جديدة .

(١) واليك اسماء اعضاء هذا المجلس مع المناطق اللبنانية التي كانوا يمثلونها : سامي الصلح ، صائب سلام ، الفرد نقاش ، عبد الله اليافي ، حبيب ابو شهلا ، ايوب ثابت ، محمد بيضون ، هراتشيا شامليان ، موسيس دركلوسيان (محافظة بيروت) ، رياض الصلح ، عادل عسيران ، رشيد بيضون ، محمد الفضل ، مارون كنعان ، علي العبد الله ، احمد الاسعد ، كاظم الخليل ، يوسف سالم ، نسيب غبريل (محافظة لبنان الجنوبي) صبري حمادة ، يوسف الهراوي ، رفعت قزعون ، ابراهيم حيدر ، نسيب الداود ، اديب الفرزلي ، هنري فرعون (محافظة البقاع) كميل شمعون ، امين السعد ، جورج عقل ، اسعد البستاني ، جميل تلحوق ، اميل اده ، وديع نعيم ، احمد الحسيني ، مجيد أرسلان ، اميل لحود ، وديع الاشقر ، جبرائيل المر ، سليم تقلا ، جورج زوين ، كمال جنبلاط ، بشارة الخوري ، عبدالغني الخطيب (محافظة جبل لبنان) حميد فرنجية ، عبد الحميد كرامه ، نقولا غصن ، يعقوب الصراف ، سعدي المنلا ، وهيب جعجع ، محمد العبود ، يوسف اسطفان ، سليمان العلي ، محمد المصطفى ، يوسف ضو ، بطرس الخوري .

وعلى الرغم من هذه العناصر الجديدة الباعثة على الأمل والطمأنينة كان الشعب اللبناني يرقب المجلس بحذر وقلق ، لما أصابه خلال السنوات الماضية من الخيبة تلو الخيبة .

انتخاب رئيس الجمهورية

وكان صباح اليوم الحادي والعشرين من شهر ايلول (سبتمبر ١٩٤٣) اليوم المعين لانتخاب رئيس الجمهورية . وأقبل النواب لعقد أول جلسة أو أخطر جلسة ، قد يتوقف عليها الى حد كبير تقرير مصير لبنان إلى سنوات ، بل الى أجيال [٢] . وأحاطت بالبرلمان جماهير اللبنانيين الوافدة على ساحته ، بل أحاطت به لتشهد كيف يؤدي نواب اليوم الأمانة التي وضعت في أعناقهم . وكانت الرئاسة بين مرشحين ، يرمز أحدهما الى التحرر والانعتاق واتساع الأفق والتجديد ، والآخر إلى عكس هذا كله . وقال المجلس كلمته فاذا الرئاسة لبشارة خليل الخوري ، وإذا حكم المجلس للتحرير والانعتاق والأفق الوسيع [٣] .

تأليف الحكومة الاستقلالية الاولى

وتطلّعت الأمة نحو الرئيس الأول ، لترى الخطوة الأولى التي يخطوها ، كما تطلعت الى الجلسة الاولى التي عقدها المجلس . واستمع الرئيس الى استشارات النواب التقليدية وأنصت الى صوت الأمة . فاذا هي ترنو الى « رياض » واذا

(٢) وقد ترأس هذه الجلسة اكبر الاعضاء سنا النائب جورج زوين . وتغيب عمداً النواب اميل اده ، اسعد البستاني ، جورج عقل ، احمد الحسيني ، عبد الغني الخطيب ، ايوب ثابت ، كمال جنبلاط ، جميل تلحوق . وكان في مقاعد الحكومة عبد الله بيهم امين سر الدولة ، وتوفيق لطف الله عواد معاونه ، ورئيس الدولة آنذاك بترو طراد .

(٣) كلمة بشارة الخوري موجودة في : وقائع المجلس النيابي اللبنانية ١٩٤٣ الجلسة الاولى المنعقدة صباح الثلاثاء ٢١ ايلول ١٩٤٣ ؛ الصفحة الخامسة .

كاد كميل نمر شمعون ان يصبح رئيس الجمهورية ولكن الافرنسيين فضلوا ان يماشوا بشارة الخوري لانه كان بنظرهم أقل خطراً من زميله . وقد تنازل كميل شمعون عن ترشيحه للرئاسة وأيد بشارة الخوري .

الأيدي تشير اليه وكل شيء يدعو الى تسليمه زمام الحكم . وقال الرئيس كلمته فاذا هي كلمة الامة ، واذا الامة في عيد جديد .

لقد ربحت الامة معركة الحكم ، بعد ان ربحت معركة الرئاسة ، وبعد ان ربحت معركة الانتخابات النيابية . واستطاعت ان ترفع الرجال الذين تثق بهم الى المكان الذي تريد . وكانت موجة الحماسة الوطنية في نفسها تثب متعالية مع كل ظفر .

ثلاث معارك ، هي مقدمة المعركة الاولى الكبرى ، التي ستقود الحكومة الجديدة البلاد اليها ، معركة الاستقلال . فهل يكتب لها الفوز في هذه كما كتب لها في تلك ؟

اخذ رياض الصلح ، بعد ان ألّف حكومته، يعمل بسرعة وقوة [٤] واخذ يتصرف تصرف الزعيم الشعبي في البلد المناضل دون استقلاله ، وتصرف الحاكم الدستوري في البلد المستقل معاً .

ولم يغب عن رئيس الحكومة خطورة العهد الذي دخل فيه لبنان وخطورة المهمة التي ألقاها الزمان على عاتقه . فاتجه الى الشعب يناجيه ويذكي حماسته ويعدّه للمعركة الشاقة التي يقوده فيها وليس له من سلاح إلا الايمان والصلابة . واستدعى اليه رجال الصحافة وأدلى اليهم باقوال كانت حتى تلك الساعة لا تصدر إلا عن منابر الشعب والمتطرفين من قادته وزعمائه ، وكانت الحكومات تشهر على قائليها منهم حرباً وتجازيهم عليها اضطهاداً ، قال رئيس الحكومة في بيانه :

---

(٤) مرسوم تأليف الحكومة موجود في وقائع المجلس النيابي اللبنانية سنة ١٩٤٣ (مكتبة الجامعة الاميركية – بيروت). ومن الطريف في الامر ان قسماً كبيراً من اقرباء واصدقاء بشارة الخوري حارب رياض الصلح ورغب الى الرئيس الاول في ان يستدعي غيره للرئاسة .

أما اعضاء الوزارة الاستقلالية الاولى فكانوا السادة : رياض الصلح رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية ؛ حبيب ابو شهلا نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير العدلية؛سليم تقلا وزير الخارجية والاشغال العامة ؛ كميل شمعون وزير الداخلية والبرق والبريد ؛ مجيد ارسلان وزير الدفاع والزراعة والصحة ؛ عادل عسيران وزير التموين والتجارة والصناعة .

بيان رئيس الحكومة للصحافة

« لقد أحببت ان أجتمع إليكم لاطلب ان تعنوا ونحن في بدء هذه المرحلة التي نريدها مرحلة لاستقلال صحيح وسيادة كاملة – ببث الروح الاستقلالية في النفوس. لقد ظهر في البلاد نشاط وطني كنت دائماً أسعى له كما ظهر شيء من الوعي القومي كانت أقلامكم صدى له ،وهو يحتاج إلى ان تتعهده هذه الاقلام بالتغذية والتقوية . لقد جاهد الوطنيون المخلصون العمر كله في سبيل غاية أراها اليوم ممكنة التحقيق وقريبة التحقيق . وما دفعني الى تسلم الحكم بعد الاحجام عنه وعن كل مهمة رسمية حتى يومي هذا إلا ثقتي بهذه الامكانية،وانا أعلم ان من أهم ما نحتاج إليه إنما هو معالجة الروح التخاذلي الذي خلفته عند الكثيرين منا السنون الخالية وسياساتها وأحداثها . فانا إذن أرجو منكم ان تغذوا هذا النشاط الذي دب دبيبه في هذين الشهرين وان تمدوا جذوته بما يفيض علينا من نوره . أرجو منكم ان تضعوا أوفر ما يمكن من حرارة الايمان الوطني في النفوس الفاترة الواهية . لاننا في حاجة الى تعبئة كل القوى حتى نتمكن من رفع العبء الذي أثقلتنا به الاعوام الطويلة الماضية.

« إننا ندخل مرحلة نضال جديد في سبيل الاستقلال . ومن البديهي ان يكون للمجلس اولاً ، ولكم وللرأي العام القسط الاوفر في معالجة مواضيع الاستقلال ، وسأعمل على توسيع حريتكم لتعاونوا حكومتي في هذا النضال . وأفهم ان معاونتكم قد تكون بنقدي ومناقشتي ومناضلتي . وما كنت وما أزال إلا رجل نضال أحبه على كل حال . كما أني سأعمل على ان تكون مناقشات المجلس كلها بعيدة عن متناول المراقبة، خارجة عن نطاق سلطتها ليكون للرأي العام كلمته وسلطته المعنوية على السلطات المختلفة التي انبثقت عنه بملء إرادته . لقد شرعنا في وضع البيان الوزاري وقد طلبت الى معالي رئيس المجلس ان يتفضل ويعين له جلسة في أقرب وقت ندلي بهذا البيان . وكثير من الامور التي تريدون ان تعرفوا رأيي فيها قد ضمنتها هذا البيان وسترون انني صريح فيها كل الصراحة،ولا أحب ان أقول لكم انني سأعمل هذا او ذاك بل سترون بأنفسكم أن هنالك مسلكاً جديداً وروحاً جديداً يتمشى

مع هذا العهد الاستقلالي الدستوري »[٥] .

بدء الازمة بين لبنان وفرنسة

كان في البلد اللبناني تقليد جرت عليه حكوماته كلها وهو ان تزور كل حكومة إثر تأليفها المندوب الفرنسي (او المفوض السامي قبل الحرب) ولكن حكومة رياض الصلح لم تر في هذه الزيارة ما يليق ببلد مستقل فتجاهلت هذا التقليد معتبرة المندوب الفرنسي سفيراً كغيره من السفراء إذا زارها مهنئاً ردت له التهنئة . وتجاهل المندوب بدوره هذا التجديد وأرسل يسأل الحكومة – وقد استبطأها – عن الموعد الذي تزوره فيه ليكون في انتظارها . فأجابت بتجاهل ايضاً انها تريد أن تعرف متى يزورها هو أولاً ليمكنها تعيين الموعد الذي « ترد له فيه الزيارة ». وكانت ازمة أخذٍ ورد خرج فيها الفريقان إلى الصراحة بعد ان استنفدا التلميح والتجاهل، وسأل رسول المندوب الفرنسي حكومة لبنان أتريد ان تكون أشد حرصاً وتطرفاً من حكومة سورية وقد قامت سورية بهذه الزيارة[٦]؟ وانتهى الأمر بان يئس المندوب الفرنسي وأبلغ الحكومة اللبنانية انه يعرف كثرة مشاغلها وهو لذلك يعتذر عن زيارته لها حتى لا يشغلها عن مهامها . وهكذا لم تكن زيارة ولا رد زيارة . وبذلك أزالت الحكومة تقليداً كان اللبنانيون يتألمون منه لأنهم رأوا فيه رمزاً للاستعمار ومذلته. وصفّق اللبنانيون لحكومتهم التي تصرفت كما تتصرف كل حكومة مستقلة ، وسجلوا فوزاً جديداً لوطنهم في معركة كانت حامية على الرغم من مظاهرها الهادئة .

وكانت اللغة الفرنسية تحتل دواوين الحكومة اللبنانية فتجري بها المعاملات على اختلافها بينما كانت اللغة العربية مهملة . وكان رئيس الحكومة الجديدة يعلم شيئاً من هذا ولكنه لم يكن يتصور ان خمسة وتسعين بالمائة من الاوراق التي تقدم اليه تكتب باللغة الفرنسية . فبادر فور تسلمه الحكم إلى اصدار مذكرة إلى جميع الدوائر يبلغها

(٥) كان رياض الصلح يردد دائماً : « ان قرية مستقلة هي بنظري أفضل من امبراطورية مستعمرة ».

(٦) نفت الحكومة السورية فيما بعد لحكومة لبنان هذا الزعم .

فيها وجوب استعمال اللغة العربية في كل المعاملات التي تجري في دواوين الحكومة[٧] ولما جاء مندوبو الدول الأجنبية إلى السراي لتهنئة الحكومة سمعوا ضباط الدرك والشرطة يصدرون أوامرهم لرجال الحرس المصطفين على باب السراي لتحيتهم باللغة العربية[٨]. وكانت اول مرة سمعت فيها هذه الأوامر بلغة البلاد . وكان في جملة من سمعها المستشارون الفرنسيون . وهزت الحماسة مرة اخرى نفوس اللبنانيين . ولا سيما الموظفين الذين أحسوا بالعزة تمشي في دوائرهم . وتعدى الأمر دوائر الحكومة فأخذ الناس في البيوت والأندية والشوارع والمحلات وحافلات الترامواي وكل مجتمع يحرصون على استعمال اللغة العربية وإيلائها حقها من الاحترام ، وهكذا فعلت المدارس فعادت اللغة العربية إلى سدتها ، وعادت أصيلة بعد ان كانت في موطنها غريبة شبه دخيلة .

قلق اللبنانيين وانتظارهم بيان الحكومة

واخذ اللبنانيون يتساءلون عن المرحلة الجديدة من مراحل النضال التي ستدخلهم فيها الحكومة ، واخذوا يرتقبون البيان الوزاري الذي ترسم فيه خطتها كاملة

(٧) وهذا هو تعميم رئيس الحكومة : « ارجو من حضرتكم ان تحرروا التعليمات اللازمة الى جميع الدوائر التابعة لوزارتكم بان جميع المخابرات والمعاملات بين الدوائر الرسمية يجب ان تحرر منذ الآن فصاعداً باللغة العربية التي هي لغة البلاد الرسمية . وذلك عملا بالعهد الذي قطعته الحكومة على نفسها في البيان الوزاري . » الامضاء : رياض الصلح . ١٣ ت١ سنة ١٩٤٣. (انظر جريدة صوت الاحرار – عدد ٥٠٥٨ – تاريخ ١٤ ت١ سنة ١٩٤٣) .

(٨) قالت جريدة صوت الأحرار (عدد ٥٠٦٠ ، تاريخ ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٤٣، ص ٢) : أصدر رئيس الوزارة أوامره باستبدال الأوامر العسكرية منذ يوم السبت ١٦ تشرين الاول ١٩٤٣ باللغة العربية ؛ فبوشر باستخدام الأوامر العربية في القيادة وجميع المخافر منذ الساعة التاسعة . وقد ألفت لجنة برئاسة الكولونيل نوفل وعضوية فؤاد افرام البستاني والكابتين زوين لوضع المصطلحات اللازمة لأفراد الدرك والشرطة باللغة العربية . كما ان رئيس الوزارة أزمع على فتح مدرسة ليلية لتعليم الموظفين الذين لا يحسنون الكتابة بالعربية مبادىء هذه اللغة . وقد أذاع محافظ بيروت على موظفي البلدية انه تنفيذاً لرغبات الحكومة يحتم الاقتصار على الكتابة باللغة العربية .
(راجع قرارات وتعاميم اوكتوبر ١٩٤٣ – محفوظات رئاسة مجلس الوزراء.)

لتحقيق الاستقلال المنشود . وكانت تساور النفوس هواجس مختلفة يتداولها الامل والاشفاق معاً . ان اللبنانيين يدركون معنى الاستقلال ويتمنونه لوطنهم كاملاً ولم تبق في لبنان نفس الا أشفاها حكم الاجنبي، ولكن اللبنانيين تتقاسمهم على الرغم من ذلك نزعات وتتجاذبهم اهواء طغت على نزعتهم الى الاستقلال وملّكت الغريب رقابهم . فمن ذا يستطيع ان يوجد لهذا الشعب سبيلاً الى التغلب على نزعاته واهوائه ؟ من ذاك الذي يستطيع ان يوجد الفكرة الوطنية التي تلتف حولها جميع الطوائف وجميع الاحزاب وجميع المناطق ؟ من هو الذي يصب التيارات المختلفة المتعاكسة في تيار واحد متحد يتجه لدفع الاستعمار عن لبنان ؟ هل تستطيع ذلك حكومة رياض الصلح ؟ لقد عُرف الرجل بالدهاء كما عُرف بقوته الشعبية . اتراه يضع هذا الدهاء وهذه القوة للهدم ام للبنيان ؟ ؟

وساورت الناس الظنون والتخمينات والكل مشفق ان تعثر الحكومة في لبنان . لانها في نظرهم كانت كآخر سهم في كنانة لبنان : ان اخفقت هي فهيهات ان يوفق غيرها حيث اخفقت .

وكان قوم آخرون غير لبنانيين يتيهون في بيداء الغموض والتساؤل . لقد تعوّد الفرنسيون ان يضعوا هم البيانات الوزارية للحكومات اللبنانية او يشتركوا في وضع تلك البيانات على الأقل . ولكن هذه الحكومة لم تخاطبهم في هذا الشأن ولم تسألهم فيه رأياً . بل هي ذهبت الى ابعد من هذا . فقد سألوها ماذا يتضمن البيان ؟ فقالت لهم :تسمعونه في المجلس . وتسرب اليهم كما تسرب الى أي فرد من الناس خبر بعض ما تضمنه البيان كأمر تعديل الدستور وتغيير العلم وما الى ذلك ، وسألوا الحكومة — بكثير من الاحترام والتودد — فلم تنف ولم تثبت وقالت ستعرفون ما فيه حين يجب وحين يجوز ان تعرفوا...وأقلقهم كثيراً جداً امر اللغة العربية واللغة الفرنسية ، وأهمهم اكثر أمرُ العلم وتغيير ألوانه بحيث يصبح لبنانياً صرفاً لا فرنسياً مميزاً بشارة او علامة كالارزة [٩] .

(٩) كان العلم اللبناني في زمن الانتداب يتألف من العلم الفرنسي وفي داخله ارزة . وكان يرمز

ونهار الخميس في السابع من شهر نوفمبر ١٩٤٣ أقبلت الجماهير على دار البرلمان وملأت ساحاته والشوارع ، ونهض رئيس الوزارة ليلقي بيانه فأجال نظره في شرفات المجلس المكتظة بالوافدين المتحمسين فاذا هي صورة مصغرة عن الشعب اللبناني تمثل كل نزعاته ، وقد جمعت كل نزعة أصحابها بعضهم الى بعض فكانت هنالك على المقاعد فئات فئات. وكانت في الوقت نفسه ترفرف في جو المجلس فوق الجميع نزعة الاستقلال الوطنية تنتظر ساعتها الحاسمة ، فاما أن تكون الغلبة لها وتذوب كل النزعات فترجح على كفة الاجنبي مرة أخرى وإما ان تبوء بالفشل .. لقد كانت الحكومة على ثقة من ان أكثرية أصوات النواب بجانبها ، ولكن العهد كان يحتاج الى أكثر من أكثرية النواب وأكثر من إجماع النواب أيضاً. لقد كان يتطلب إجماع الامة — هذه الامة التي كانت ممثلة بالشرفات الضامة الزعماء وممثلي الشباب ، أكثر مما كانت ممثلة في المجلس نفسه .

وتلا رئيس الوزارة بيانه الخطير [١٠] فاذا هو قد أوجد الصيغة الوطنية التي توحد النزعات وتجمع التيارات المختلفة في تيار واحد ، وإذا النواب على اختلاف أحزابهم يمنحون حكومته الثقة بالاجماع . وإذا الشرفات تصفق وتهتف كلها كالرجل الواحد في نوبة من الحماسة تفوق حد الوصف . وجرى ذلك على مشهد من ممثلي الدول الحليفة واللجنة الفرنسية ومسمعها . وذهبت كل المخاوف والهواجس ، واستقرّ الامان ، واستتبت الثقة في كل النفوس ، وإذا الأمة قد وجدت طريقها الى الاستقلال والعزة،وإذا هي بعد اليوم كالبنيان المرصوص تتحطم عندها كل محاولة،

الى اواصر الصداقة القوية التي تربط فرنسة بلبنان . وفي خطاب لأحد المحامين البارزين الذين لعبوا دوراً أساسياً في انتزاع الاستقلال ألقاه اثناء الحفلة الكبرى التي اقامها بعض اللبنانيين في بعبدا تكريماً للجنرال غورو عام ١٩٢٠ جاء ما يلي :

«ان وجود الارزة في وسط العلم الافرنسي لدليل على ان فرنسة الكبرى تعانق فرنسة الصغرى.»

انظر البشير عدد ٢٥١٧ تاريخ ١٠ كانون الثاني ١٩٢٠ — السنة الخمسون،الصفحة الاولى ،عند عودة البطريرك الحويك من فرنسة بعد ان وفق الى ضم الاقضية الاربعة الى لبنان . (خطاب للمحامي الكبير نفسه) قال فيه : اترى يمكن لفرنسة الكبيرة ان تبتلع فرنسة الصغيرة ؟ (يعني لبنان !)

(١٠) البيان الوزاري ونصه الكامل : الجلسة الثالثة المنعقدة بتاريخ ٧ تشرين اول ١٩٤٣ — وقائع المجلس النيابي اللبنانية. من صفحة ١١ الى صفحة ١٧ .

ويتكسر دون النيل منها كل سلاح ، بيّناً مشهوراً كان أم مدسوساً خفياً [11] .

اثر البيان في الشعب اللبناني

وسرت الحماسة الوطنية مرة اخرى سريان الكهرباء في الأسلاك من أمر هذا البيان وإجماع المجلس على اعتباره وثيقة استقلال كما سماه رئيس الحكومة [12] . وانهالت على الحكومة مظاهر التأييد الكامل بظفرها وظفر الامة معاً . واصبح البيان حديث كل ناد وحديث كل لسان ، وأجمعت كل الصحف على إطرائه ومدحه ونشرت بعضهاسلسلة من المقالات في درسه والتعليق عليه [13]. ودرجت بعض فقراته على الالسنة ذاهبة في مواضع الاستشهاد مذهب الحكم والامثال ، [14] بل اتخذت بعض عباراته دستوراً سياسياً للبنان . وتلقى رئيس الحكومة على بيانه التهاني البرقية من مختلف أنحاء لبنان ومن أطراف البلدان العربية وأقطابها ومن صحافتها التي كتبت فيه المقالات ، وتلقى التهنئة كذلك من ممثلي دول الحلفاء .

وقع البيان عند الفرنسيين

أما وقعه عند الفرنسيين فقد كان عميقاً جداً . وكان بينهم وفي مجالسهم موضوع حديث ونقاش . فقد رأوا فيه هم ايضاً ما رأى فيه اللبنانيون من جديد ، حتى ان

(١١) انظر Thirty Years of Lebanon and Syria, 1917 - 1947 by Eugenie Elie Abouchdid, The Sader-Rihani Printing, Beirut, Lebanon. صفحة ١١٩ في المقدمة .

(١٢) رد رياض الصلح على أحد النواب الذين لم يعجبهم البيان الوزاري قائلا : « انا جئتكم يا سيدي بوثيقة استقلال ، لا بفاتورة حساب . » انظر وقائع المجلس النيابي اللبنانية – الجلسة الثالثة – بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩٤٣ .

(١٣) أنظر جميع الصحف المحلية اللبنانية الصادرة بتاريخ ١٠ تشرين اول ١٩٤٣ .

(١٤) « فلبنان ذو وجه عربي يستسيغ الخير النافع في حضارة العرب » ... « ان إخواننا في الاقطار العربية لا يريدون للبنان إلا ما يريده ابناؤه الأباة الوطنيون : نحن لا نريده للاستعمار مستقراً وهم لا يريدونه للاستعمار اليهم ممراً ، فنحن وهم اذاً نريده وطناً عزيزاً مستقلا سيداً حراً !! وغير ذلك من العبارات .

بعضهم أحصى كم مرة وردت فيه لفظة الاستقلال فوجدها سبعاً وثلاثين مرة . وقد شعر الفرنسيون ان سلطانهم في تراجع مستمر ، وأحس المستشارون خصوصاً بتضاؤل سلطتهم يوماً فيوماً فلم يبقوا اولئك الذين يأمرون وينهون ، ويصدرون أحكامهم فيطاعون . وكان في جملة ما أدى الى تقلص نفوذهم حالاً استعمال اللغة العربية بدل اللغة الفرنسية . وكان لتصرف الوزراء تصرف المستقلين واضطلاعهم باعباء الحكم وتبعاته اضطلاعاً كاملاً فعله الأكبر .

وكمثل على ذلك نشير الى حادثة الحرس السيار الفرنسي : فقد نزلت فرقة من هذا الحرس في قرية «بر الياس» من منطقة البقاع لتحمل الفلاحين على تأدية المفروض عليهم من كميات القمح لمجلس المميرة . وتعدى رجال الحرس حدودهم ، فأوسعوا القرية ضرباً ونهباً . فلما بلغ الأمر وزير الداخلية (كميل نمر شمعون) اصدر امره الى قائد الدرك اللبناني ، بأن يسير الى القرية ويخرج منها ذلك الحرس ويحميها . فهرول القائد الفرنسي يستمهل الوزير ، فأمهله ساعتين لم تنتهيا حتى اخرج القائد جنوده من القرية [15].

ولكن هل سكت الفرنسيون عن البيان وما ورد فيه ؟... كلا ، فانه بعد إلقائه بيومين تلقى رئيس الوزارة كتاباً [16] من السفير يقول فيه : ان الحكومة اللبنانية تخالف صك الانتداب بإحلالها اللغة العربية محل اللغة الفرنسية وتخالف نصوص الدستور اللبناني ، وان صك الانتداب لا يخول لبنان حق تعديل دستوره منفرداً . فطلبت الحكومة من السفير ان يسترد كتابه فأبى [17] ؛ فكتبت اليه جواباً تقول

(١٥) كان لموقف وزير الداخلية الجريء ولعدائه السافر لهم أثر بعيد في نفوس الفرنسيين ، فحقدوا عليه وأصروا بعد خمسة أشهر من هذا الحادث على وجوب اخراجه من الحكومة قائلين ان وجوده يمنع فرنسة من تلبية مطالب اللبنانيين في استلام المصالح المشتركة . وقد لبى رئيس الدولة رغباتهم وعين كميل شمعون ممثلاً للبنان في بلاط سانت جيمس ، وكانت النتيجة ان أفاد لبنان افادة عظيمة من وجود كميل شمعون في لندن وربحت معركة الجلاء .

(١٦) انظر : Thirty Years of Lebanon and Syria, 1917-1947, by Eugenie Elie Abouchdid, The Sader - Rihani Printing, Beirut, Lebanon. ص ١٩ .

(١٧) المصدر السابق نفسه .

فيه انها تعتبر الانتداب غير قائم وتثبت حقها كحكومة دستورية لدولة مستقلة في عمل ما عملته بشأن اللغة العربية وفي تحقيق ماوعدت به بشأن الدستور . وأدلت بحجتها وقدمت براهينها ، وصانت حقاً كان يضيعه سكوتها عن الجواب .

البيان الوزاري في دور التنفيذ

وأقبلت الحكومة على تنفيذ البيان الوزاري. وكان عليهاان تبدأ بمسألة المصالح المشتركة . والمصالح المشتركة هي مرافق تخص سورية ولبنان معاً ، كانت السلطة الفرنسية تديرها إدارة مباشرة منذ نزول الفرنسيين هذين البلدين ، ومنها الجمارك ومراقبة الشركات المختلفة القائمة في أراضي الجمهوريتين كالسكك الحديدية وشركة حصر الدخان ومنها دائرة الآثار والمرفأ والتلفون . وهي تمثل جزءاً مهماً من سلطة البلدين ومن ثروتها ، وأغلب هذه المرافق يصعب انفراد كل من البلدين بادارتـــه انفراداً تاماً . وكانت السلطات الفرنسية تستفيد من اختلاف البلدين وتغذيه اذا ما ضعف ، وتخلقه اذا ما زال ، لتبقي يدها على هذه المصالح وإدارتهـــا. وكثيراً ما طالب احد البلدين بهذه المصالح ، فكان جواب الفرنسيين له : يجب ان تتفق انت والبلد الآخر ، حتى يمكننا إجابة مطلبك . وكان من حسن حظ البلدين اللبناني والسوري هذه المرة ان تسلم زمام الحكم فيهما في وقت واحد رجال وطنيون لا تستطيع يد الأجنبي ان تلعب بهم .وعلى ذلك لم يجد رياض الصلح صعوبة في ايجاد اتفاق بين لبنان وسورية التي كان على رأس حكومتها سعدالله الجابري . فقضيا على الخلاف المزمن وأبطلا حجة الفرنسيين المعهودة وقطعا عليهم طريق استغلالها .

وكانت الخطوة الثانية ان تقدم لبنان يطالب الفرنسيين بتسليمه المصالح المشتركة، ولكن الفرنسيين لم يلبوا الطلب . وأخذ السفير هللو ومعاونوه يطالبون مقابل تسليم بعض هذه المصالح بعقد معاهدة بين لبنان وفرنسة على اساس معاهدة سنة ١٩٣٦.

ولكن حكومة لبنان لم ترض وقالت انه يجب ان يستكمل لبنان سيادته اولاً ليحق له عقد المعاهدات ، وإلا فلا يكون التعاقد اختيارياً ولا يكون معبراً عن ارادة لبنان تعبيراً حراً صادقاً ، بل يكون مفروضاً من قبل الفرنسيين فرضاً .

واجاب الفرنسيون على ذلك بقولهم : كيف رضي لبنان ان يعقد معاهدة مع فرنسة في سنة ١٩٣٦ قبل ان يتسلم هذه المصالح المشتركة ؟فكان جواب الحكومة اللبنانية انها تعتبر ان تلك المعاهدة قد فرضت فرضاً لان لبنان لم يكن حين عقدها مستكملاً سيادته .على ان تلك المعاهدة لم يبرمها البرلمان الفرنسي فاصبحت في حكم الملغاة. واضاف اللبنانيون الى ذلك ان اللجنة الفرنسية لا تملك ان تعقـــد المعاهدات لانها ليست حكومة . فقال الفرنسيون انهم يعطون اقوى التعهدات بان تبرم فرنسة وبرلمانها بعد الحرب المعاهدة التي تعقدها اللجنة مع لبنان . وعبثاً حاول السفير هللو اقناع الحكومة اللبنانية بعقد اي اتفاق مع اللجنة الفرنسية . وكان آخر اجتماع له برئيس الحكومة ذلك الذي عقداه في شتوره في ٢٢ تشرين الاول ١٩٤٣ [١٨] الذي اتفق فيه السفير والرئيس على ان يذهب الاول الى مدينة الجزائر للاتصال باللجنة الفرنسية ويبلغها مطالب لبنان . وقد طلب هللو من رئيس الحكومة ان يمهله عشرة ايام او خمسة عشر يوماً على الاكثر ريثما يعود معرباً عن امله ان تقر اللجنة مطالب الحكومة اللبنانية فيعود حاملاً ما يرضي اللبنانيين ويحفظ صلات المودة بين الفريقين . وطلب رئيس الحكومة في ذلك الاجتماع ان يصدر الفريقان بياناً مشتركاً يعللان فيه ما تفاهما عليه في هذا الشأن لان الحكومة مضطرة لابلاغ الشعب والمجلس ما فعلت، فقال السفير :« انه لا يرى بأساً في ان تعلن الحكومة منفردة ما كان بينها وبينه ». فابلغ رئيس الحكومة السفير اثناء الحديث ان الحكومة ستتقدم الى المجلس بمشروع تعديل الدستور على ما وعدت في بيانها الوزاري .

سفر سفير فرنسة الى الجزائر

وسافر سفير فرنسة الى الجزائر ، ولبثت الحكومة تنتظر عودته . غير ان

(١٨) اوجيني ابو شديد ، ص ١٩٥ . وقد قصد فيما بعد رئيس الحكومة يرافقه حبيب ابو شهلا الى شتوره ظهر الاثنين اول تشرين الثاني ١٩٤٣ حيث اجتمعا الى خالد العظم وزير المالية السورية – وتفاهموا على الخطة الواجب اتباعها في المستقبل القريب : انظر جريدة الديار ايضاً تاريخ ٥ نوفمبر ١٩٤٣ .

المجلس لم يستطع ان يصبر على كتمان ما كان بين الفريقين . وكان الشعب اقل من المجلس صبراً. فاصبح يرى نفسه جديراً بان تصارحه حكومته بكل ما يصادفها في طريقها خيراً كان أم شراً . وفي لبنان ايضاً صحافة واسعة تكفي وحدها للدلالة على ان شعبه لايرضى بالكتمان . ولم تكتم الحكومة الشعب اللبناني الامر الذي تم بينها وبين سورية من اتفاق وتفاهم كاملين . ولماذا تخفي عن الشعب امر ما كان بينها وبين السفير الفرنسي من استمهاله اياها اياماً يعود بعدها حاملاً في جعبته الخير للبنان وبنيه ؟

اخذ القلق يساور اللبنانيين، فقدانتشرت احاديث تقول ان الفرنسيين لن يسلموا للبنان شيئاً مما طلب . وبينما هم يلحون على حكومتهم بان تصارحهم وتطلعهم على كل ما جرى اذا بنبأ من لندن يقع عليهم وقع الماء البارد في ايام الشتاء . ولكن عقبه رد الفعل الطبيعي ، فما لبث ان ألهب نفوسهم غيظاً. لقد صرح الوزير البريطاني «ردشارد لو» في مجلس العموم البريطاني رداً على سؤال طُرح عليه بشأن الانتداب في سورية ولبنان وجاء النص العربي لهذا التصريح يقول انه لا يمكن إزالة الانتداب فنياً [19].

اذن لم يسلم الفرنسيون بشيء ، وكيف يسلمون وهذا التصريح اعتراف من بريطانية بتأييد نظريتهم ان الانتداب لا يزال قائماً ؟ ألا تكون هذه مؤامرة بين الفريقين يذهب ضحيتها لبنان وسورية ؟ ولكن الايمان بالحق المجرد تغلب في نفس الحكومة والشعب معاً وثبت عزمهما على السير الى النهاية . وساورت الحكومة كما ساورت بعض النواب فكرة الرد في المجلس على تصريح الوزير البريطاني بالاحتجاج والنقض . ورأت الحكومة ان خير رد هو ان تهمل الرد ، وان تمضي في خطتها كأن لم يكن ثمة من شيء . اما الشعب والمجلس فقد زادت حاجتها إلى معرفة ما

(١٩) راجع جريدة صوت الاحرار عدد ٥٠٧٦ تاريخ ٧ تشرين الثاني ١٩٤٣ . وهذا نص التصريح : «... لقد كان من المستحيل من الوجهة الشرعية النظرية انهاء الانتداب الان . ولكن السلطات الفرنسية على اتصال بالسلطتين السورية واللبنانية بقصد اتمام العهود التي قطعت». ايضاً جريدة البشير ، السنة الرابعة والسبعون ، عدد ٦٩٧٨ تاريخ ٩ ت٢ سنة ١٩٤٣ .

فعلت الحكومة وما تنوي ان تفعل، فنزلت عندهذه الرغبة وأدلت يوم الخميس في الثامن والعشرين من شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٣ ببيان أوضحت فيه ما كان بينها وبين السفير الفرنسي بشأن المصالح المشتركة ، وكررت وعدها باحالة مشروع تعديل الدستور إلى المجلس عن قريب ، وارتاح المجلس وارتاحت من ورائه الأمة إلى ما عملت الحكومة والى ما وعدت [20]

وأخذ اللبنانيون يرقبون عودة السفير الفرنسي يوماً فيوماً . كما أخذوا يرقبون أن تتقدم الحكومة بمشروع تعديل الدستور براً بما وعدت . ولكن الحكومة لم تبادر الى تقديمه وكانت تحتج بانها منهمكة في درسه . وتساءل الكثيرون: أصحيح ان الدرس سبب التأخير أم هي سياسة الحكمة والتريث وعدم التحدي ؟ وسنرى في الحوادث المقبلة مايرجح التعليل الاخير . فقد كانت هي والشعب جميعاً على الرغم من كل ما جرى إلى التفاؤل أميَل ، وإلى إحسان الظن بالسفير وباللجنة الفرنسية أقرب .

بلاغ المندوبية الفرنسية

وفي صباح الجمعة ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) تلقى الصحافيون اللبنانيون دعوة الى دائرة المطبوعات في المندوبية الفرنسية موعدها الساعة الثانية عشر ظهراً ، فلبوها، فاذا هم مدعوون لسماع بلاغ ارسلته اللجنة الفرنسية بمدينة الجزائر عن طريق البرق الى المندوب العام بالوكالة ينكر على اللبنانيين الحق في تعديل دستورهم منفردين . وقد طُلب الى الصحفيين نشره بدون مناقشته في ذلك الاجتماع او على صفحات جرائدهم [21] .

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف ايضاً كان السيد دافيد المندوب الفرنسي لدى

(٢٠) انظر وقائع المجلس النيابي اللبناني ، جلسة الخميس من بعد ظهر ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٤٣ ، الصفحة ٤٧.

(٢١) جريدة البشير — السنة الرابعة والسبعون — العدد ٦٩٧٨ تاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ واوجيني ابو شديد — ص ١٢١ .

الحكومة اللبنانية يدخل على رئيس الحكومة في سراي البرج حاملاً اليه نص البلاغ الذي اصدرته اللجنة الفرنسية في الجزائر . وبينما كان الرئيس يناقش المندوب في هذا البلاغ، وينكر حق الفرنسيين في هذا التدخل مثبتاً حق لبنان بتعديل دستوره منفرداً كما جاء في المادة السادسة والسبعين من الدستور اللبناني نفسه ، ويستنكر اخلال مسيو هلاو بوعده ان يأتي بجواب اللجنة بنفسه ، وقد غادر الحكومة اللبنانية على ود وتفاهم ، اتصل برئيس الحكومة بعض الصحفيين وابلغوه ما كان من امر دعوتهم الى المندوبية الفرنسية وتسليم نص البلاغ اليهم لينشروه . عند ذلك تحقق رياض الصلح ان القوم ذهبوا بنشر البلاغ على هذا الشكل الى اقصى حدود التحدي وانهم يتعمدون النيل من هيبة الحكم الوطني وسلامته ، وثلم كرامة الحكومة التي تمثله ، فوجه الى المندوب الفرنسي على تلك الخطة المخالفة لابسط قواعد الكياسة السياسية اللوم الشديد . ثم رأى انه لا بد من رد التحدي بمثله صوناً للكرامة وصوناً لحقوق البلد ، وان في السكوت مذلة يأباها لنفسه ولامته كما تأباها امته لنفسها وله [٢٢] .

دعوة مجلس الوزراء الى الاجتماع

وبعد ان ابلغ رئيس الجمهورية ما كان ، دعا مجلس الوزراء الى الاجتماع فوراً. فاجتمع واتخذ القرار الذي لم يكن من اتخاذه بد : ذلك هو إحالة مشروع تعديل الدستور فوراً الى مجلس النواب طالباً الى رئيسه ان يجمعه في اسرع ما يمكن من الوقت لنظر المشروع . واستدعى رئيس الحكومة الصحافيين الى مكتبه في تلك الساعة نفسها وتلا عليهم قرار مجلس الوزراء . ولم يتطلب انجاز مشروع تعديل الدستور الا نحو ساعتين لانه كان معداً من قبل وارسل مساء الى المجلس. وحضر رئيس المجلس النيابي الى مكتب رئيس الحكومة واعلن له ان المجلس على اتم

(٢٢) خطب ده غول في الجلسة الاولى من المجلس الاستشاري الفرنسي في الجزائر منكراً على لبنان انفراده بتعديل دستوره . انظر البشير ـ العدد ٦٩٧٧ ـ تاريخ ٦ تشرين الثاني ـ ايضاً ابو شديد : ص ١٢٢ .

الاستعداد . ودعا النواب الى الاجتماع يوم الاثنين ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٣ .

وهذا نص بلاغ الحكومة بشأن تعديل الدستور واحالة المشروع الى المجلس .

— بلاغ —

« اجتمع مجلس الوزراء الساعة الواحدة من يوم الجمعة الواقع في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٣ واطلع على البلاغ الذي اصدرته المندوبية العامة ووزعته على الصحف في ذات الوقت الذي كان دافيد يطلع دولة رئيس الوزراء على نصه ويقدم له صورة عنه .

ولما كان مجلس الوزراء يعتبر ان تعديل الدستور حق من حقوق السلطات الدستورية اللبنانية وفقاً لأحكام المادة ٧٦ وما يليها من الدستور فلقد قدمت الحكومة الآن الى المجلس النيابي مشروع تعديل الدستور في بعض مواده التي تتعارض مع استقلال لبنان التام المعترف به ، ذلك المشروع الذي كان مجلس الوزراء قد باشر درسه عملاً بالبيان الوزاري وتأميناً لتنفيذ الاستقلال بصورة عملية . »

وقد وصف احد الذين لهم اتصال وثيق برئيس الحكومة حالته في تلك الساعة قال : كان رياض الصلح في اليومين اللذين سبقا هذا الحادث مغموم النفس بعض الشيء على الرغم من المرح الذي في طبعه. كان في أعماقه صراع بين نفسيتين : نفسية رجل الحكم ونفسية الزعيم الشعبي الثائر. وهو يتساءل أية نفسية منهما يجب أن تتغلب لمصلحة وطنه ... بل كان يشعر ان هذه المصلحة لن تقوم إلا بنضال عنيف ولكنه لم يكن قد اهتدى الى الميدان الذي يجب ان تنشب فيه المعركة . وانه لفي تلك الحال إذ جاءه الفرنسيون بالتحدي ، فاذا نفس رياض تنبسط وصدره يمتلىء حبوراً وطرباً وأساريره تنفرج، وإذا البهجة والمرح يعودان إلى السيطرة على جده ومجلسه، فقد كان ذلك النضال « ربيع بدنه » ... وانقض رئيس الحكومة على الفرصة وقد خشي ان تفلت من يده انقضاض الصاعقة ومشى الى المعركة ومشت وراءه الامة كلها في حماسة لم تبلغ هذا الحد من قبل [٢٣].

(٢٣) «لقد نذرت دمي لوطني صغيرا ، وكدت أهدره شابا ، فلن اضن به على استقلال بلادي كهلا . ولقد سعيت وراء الاستقلال وجاهدت ، وانني سعيد بكوني امسكت به في مسقط رأسي فلن ادعه يفلت مني » — من خطاب لرياض الصلح في اوتيل نورماندي — بيروت في ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٣ .

وأخذت البلاد هزة عنيفة من الفرح، وسرت فيها رعشة العزة، ودبت في عروقها حرارة النضال، واحست القوة في نفسها على مجابهة كل الاحداث. وهي وثبة جديدة من وثبات الاباء الوطني، هي خطوة جديدة يجب ان تخطوها قدم الامة، هي معركة جديدة في حرب الاستقلال يجب ان تربحها حتى تضمن الفوز النهائي وتحتفظ بثمار سلسلة المعارك التي خاضتها منذ الانتخابات النيابية، بل منذ اعتراف الحلفاء باستقلال لبنان.

بين يوم البلاغ ويوم الجلسة ثلاثة ايام يتوقف عليها تقرير مصير لبنان وتقرير مصير فرنسة في لبنان بل في الشرق. ان جميع الظروف قد رفعت هذه المعركة الى هذه الدرجة من الخطورة. ان ساعة الالتحام تدنو بسرعة الزمان الهائلة، والقلوب في اضطراب يزداد ساعة فساعة. ان جو لبنان قد امتلأ حماسة نارية. والنواب اينما ساروا يتنفسون هواء مليئاً بهذه الحماسة. والحكومة تتدبر الامور بقوة ويقظة رائعة، اما الفرنسيون فيحاولون ويحاولون.

محاولة الفرنسيين عرقلة جلسة تعديل الدستور

ارسلوا يطلبون من الحكومة ان تسترد المشروع من المجلس. واختاروا لهذه المهمة رجالاً منهم لهم صلة مودة سابقة برئيس الجمهورية او باعضاء الحكومة وما سلفت منهم اساءة الى هؤلاء الرجال كـ «بار» و «دافيد» ومن اليهما. وبذل هؤلاء الرسل كما بذل المندوب بالوكالة ايفا شاتينو جهوداً كثيرة لاقناع رئيس الجمهورية والحكومة ولكنهم اخفقوا. واستدعي مستشارو المحافظات الفرنسيون الى بيروت لمساعدة المندوبية على النواب واقناعهم برفض التعديل متوسلين الى ذلك بشتى وسائل الترغيب والترهيب. واصبح كل ما يطمع فيه القوم تعطيل الجلسة بشكل ما، وحصروا جهودهم كلها باقناع سبعة عشر نائباً من ثلاثة وخمسين يتألف منهم المجلس بأن يتغيبوا عن جلسة التعديل لان غياب السبعة عشر يجعل العدد غير كاف لتعديل الدستور الذي يشترط لتعديله موافقة ثلثي اعضاء المجلس. واستعانوا بالنواب المعارضين المنتسبين الى اميل اده ولكن اكثر هؤلاء لم يقبلوا. وقد كان

هذا آخر سهم في جعبة الاقناع.

اجتماع نواب الكتلة الوطنية في مكتب اده

فاجتمع في مكتب اميل اده في اليوم السابق لجلسة التعديل اثنا عشر نائباً منهم: جورج زوين، جورج عقل، اسعد البستاني، جميل تلحوق، امين السعد، احمد الحسيني، كمال جنبلاط، عبد الغني الخطيب، جبرايل المر، وديع الاشقر. وتلفن اده بعد حضورهم الى مدير الامن العام غوتييه يقول له: «ان الجماعة حضروا» فما لبث ان وصل واعلن لهم ان المطلوب منهم ان يغيبوا عن جلسة الغد وان خطته ان يقنع ستة آخرين ليحول دون اجتماع الاكثرية القانونية لتعديل الدستور فيحبط بذلك المشروع. ودارت مناقشة بينه وبين معظمهم فاذا هم يرفضون الطلب ويبلغونه انهم سيحضرون الجلسة ويقرون التعديل برغم التهديد وبرغم قوله ان صداقة فرنسة وكرامة فرنسة وكيان فرنسة كل هذا معلق على حضورهم او عدمه[٢٤].

وكانت خيبة مدير الامن العام وصديقه الحميم اميل اده فاجعة لهما.

وكانت كرامة لبنان وكيان لبنان هي الراجحة في الميزان.

(٢٤) صرح احمد الحسيني احد اعضاء المجلس النيابي لمخبر جريدة البشير قائلا: «لا اريد ان استبدل سيداً بسيد ودولة منتدبة عرفناها بدولة منتدبة نعرف عنها الشيء الكثير (انظر البشير عدد ٦٩٧٩ تاريخ ١٠ ت٢ سنة ١٩٤٣). وقد قال لي احد النواب الذين حضروا اجتماع اميل اده ان ريمون نجل اده الاكبر كان موقفه معارضاً لفكرة ابيه والفرنسيين وعلا صوته في النقاش ورغب الى ابيه ان يكون موقفه منسجماً مع شعور اللبنانيين.

٢. نشوب الأزمة بين لبنان وفرنسة

•

وحفل صباح اليوم المعين للتعديل بالحوادث الجسام، وفيه بلغ التوتر ذروته عند الجميع. وقد كانت أنباء هذه المحاولات تزيد الرأي العام قلقاً وعناداً . في ذلك اليوم شن الفرنسيون حرب اعصاب شديدة فأشاعوا انهم عازمون على حل المجلس — وان لم يكن ذلك من حقهم — إذا هو أقر التعديل . وفيه أبلغ رئيس المجلس الحكومة عزم المجلس على المضي في التعديل بعد ان وضع يده على المشروع، وكان هذا أبلغ جواب على التهويل بالحل . وفيه ابلغت المندوبية الحكومة برقية من هللو ارسلها من القاهرة بعد وصوله اليها من الجزائر عائداً إلى لبنان ، سائلاً رياض الصلح ان يرجيء انعقاد المجلس الى ان يعود[٢٥] يوم الخميس ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ريثما يكون قد وصل هللو الذي يحمل من اللجنة الفرنسية حلولاً سخية . وفيه حمل دافيد مذكرة شفوية الى رئيس الحكومة تتضمن انذاراً بان المندوب العام يحتفظ لنفسه بحرية التقدير وحرية العمل إذا لم تؤجل جلسة التعديل ، وانه سيتخذ لنفسه صفة المفوض السامي وسلطاته . فرفض رئيس الحكومة ان يتبلغ مثل هذه المذكرة لما فيها من تحكم وافتئات على سيادة لبنان . وعندها اتصل دافيد بالمندوبية فأجازت له ان يرفع منها كلمات « حرية العمل » و « صفة المندوب السامي وسلطاته»، وانعقد مجلس الوزراء على الاثر فقرر ان الحكومة لا ترجع عن مشروعها . وقد اصبح الحكم

(٢٥) انظر اللايدي سبيرز ص ٧٩ .

فيه للمجلس وحده . وابلغ هذا القرار الى دافيد في الساعة الثالثة بعد الظهر قبيل انعقاد مجلس النواب بدقائق . وفي ذلك اليوم نشرت بعض صحف اميركة على العالم بياناً من رياض الصلح يشرح فيه حقيقة الأزمة بين لبنان ورجال اللجنة الفرنسية ويطرح الخلاف على انه قضية عالمية تمس الديمقراطيات مباشرة لانها ستكون اول امتحان لصدق عهودهم وميثاق الاطلنطيك . وتناقلت صحف لبنان هذا البيان في ذلك اليوم نفسه . وهذا هو تصريح رياض الصلح لصحافة اميركة[٢٦]:

« ان الازمة التي تطلبون الي تصريحا بشأنها قد لا تبدو في مستوى الانباء العالمية الحربية المثيرة لاقصى الاهتمام بالنسبة الى القارىء العادي، ولكنها بلا ريب تجربة لصدق ميثاق الاطلنطي في نظر جميع الشعوب الصغيرة والتي لا تعتمد على القوة بل على مبادىء الديمقراطية والعدالة للتمتع بحقوقها وحرياتها والتي نظرت الى ميثاق الاطلنطي كخشبة النجاة .

« ان اللجنة الفرنسية تدعي استمرار الانتداب مع أنه نظام زال باسباب كثيرة وباعتراف فرنسة نفسها ، فضلا عن ان الحلفاء في ٨ حزيران سنة ١٩٤١ قذفت طائراتهم بخمسة وعشرين الف منشور ، طبعت في السفارة البريطانية في القاهرة ، فوق بيروت التي كانت بيد فيشي ، وهذه المنشورات تبرأت من الامتيازات الانتدابية التي كانت تمتع بها فرنسة في وقت مضى ، ووعدت لبنان حرية واستقلالاً تامين غير مشروطين الا بالضرورات العسكرية الناشئة عن متابعة الحرب ضد المحور . وقد شاء اللبنانيون ان يدخلوا بعض التعديلات على دستورهم ليصبح متفقا مع حالة الاستقلال والسيادة الوطنية ، وهو حق للحكومة والبرلمان اللبنانيين وحدهما بحسب المادة ٧٦ من الدستور اللبناني نفسه . ولكن اللجنة الفرنسية في الجزائر تخطت كل ذلك ونشرت بيانا في الصحف هنا طالبة ان لا تدخل اي تعديلات على الدستور الا بالموافقة الفرنسية . وكان جواب الحكومة اللبنانية انها اجتمعت فوراً واتفقت بالاجماع على مشروع التعديل وارسلته الى البرلمان مستعملة بذلك حقها الدستوري .

« ان لبنان لا يطلب الا التأييد الادبي من اميركة لموقفه ، وإنني اعد اللبنانيين المقيمين في اميركة ان استقلال سقط رأسهم لن يضحى به بسهولة لأية أمة أجنبية . ولبنان الذي آمن بوعود قادة الامم المتحدة ، يشكر الحكومة الاميركية لانها لم تحد عن تصريحها الجلي بالتشجيع الودي في نضال لبنان للوصول الى السيادة التامة . والحكومة ترجو ان تواصل جميع الدول المتحالفة تأييدها لنا وذلك بنسبة الصعوبات التي تحيط بوصولنا الى هذا الاستقلال . وهي لم تيأس من ان تعود فتتغلب في اللجنة الفرنسية بالجزائر روح الانصاف وتفهم حقيقة الموقف وحسن نية اللبنانيين فذلك هو الاخلق برجالها الذين يناضلون في سبيل حرية بلادهم وتحريرها من حكم الاجنبي . »

(٢٦) انظر لبنان ، الاستقلال — الجامعة الاميركية — المكتبة .

جلسة تعديل الدستور التاريخية

وفي ذلك الجو الذي بلغ فيه توتر الأعصاب الذروة مشت الجماهير ألوفاً ألوفاً الى البرلمان واحتلت ساحاته وسدت المنافذ اليه واخذت تتفجر بكل ما في نفوسها من وطنية وحماسة وترسل شعورها الثائر في هتافاتها واناشيدها فتدوي دوياً تهتز له الأرض وتضطرب له الأجواء. وفي هذا الجو دخل النواب ورئيس الحكومة واعضاؤها الى المجلس ليجدوا في داخل قاعته المكتظة بالحضور جواً أشد حرارة وحماسة . وكان رئيس الحكومة على عتبة المجلس إذ تقدم اليه رسول برسالة مستعجلة ففضها وقرأها وهو يسير الى مقعده [٢٧] . وعرف فيما بعد انها كانت تحمل وساطة اخيرة من صديق لشاتينيو بتأجيل التعديل الى ما بعد جلسة اليوم ، ولكن جواب رئيس الحكومة كان القرار الذي اصدره المجلس : كان التعديل نفسه ...

واجال الناس طرفهم في مقاعد السفراء والزوار فلم يجدوا ثمة احداً من الفرنسيين وقد كانت عادتهم الحضور. غير انهم اذا غابوا عن داخل المجلس فقد كانوا حاضرين خارجه : لقد أتوا بنحو مائتين من الجنود السنغاليين وحشروهم في بناية التلفون المواجهة لبناية البرلمان [٢٨] .

واجالوا طرفهم بعد ذلك في مقاعد النواب ، فاذا هنالك اثنان وخمسون من

---

(٢٧) الرسول كان Jean Le Cerf وهو قومندان بالمدفعية لجيش ده غول . وكان يعد من أبرز المستشرقين – استاذ في مدرسة اللاييك . ثم انتقل الى دمشق ودرس في معهد آل العظم «معهد دمشق» Institut de Damas . وله عدة ترجمات – وقد كان دائما في صفوف الوطنيين ، وعندما احتل الالمان هذه البلاد هرب الى فلسطين والتحق بجيوش الحلفاء هناك . وهو واحد من سبعة رجال فرنسيين احتجوا على عمل هالو . وقد اختبأ عند آل الصلح خوفاً من نقمة هالو . اراد حل ازمة تشرين بالمفاوضات وكان له دالة على رياض الصلح .

(٢٨) قيل في شأن هذه القوة اقوال متعددة ، فقد روى بعضهم انه كان في نية الفرنسيين ان يمنعوا المجلس النيابي من الانعقاد ، وروى آخرون انهم كانوا ينوون أخذ الحكومة واعضاء المجلس جميعاً وهم في المجلس الى الاعتقال . فهل منعهم من تنفيذ هذه «المشاريع» المئات من رجال الدرك والشرطة الذين حشدتهم الحكومة حول البرلمان ؟ ولماذا لا يكونون قد أتوا ليحموا بناية التلفون من اعتداء الجماهير ؟ كما اجابوا رئيس المجلس حين بعث رسوله يسألهم رسمياً قبيل انعقاد الجلسة بدقائق معدودات.

خمسة وخمسين نائباً. وكان الغائبون ايوب ثابت واحمد الحسيني وموسى دركلوسيان وقد تغيبوا عمداً .

وافتتح رئيس المجلس الجلسة التاريخية ، فخفقت القلوب وانصتت الانفاس لتسمع الآذان . فاذا آخر محاولة لعرقلة التعديل تجري داخل المجلس . ذلك ان بعض النواب طلبوا ان يحال المشروع الى لجنة خاصة ليتوصلوا بذلك الى تأجيل إقرار التعديل، ولكن المحاولة الأخيرة اخفقت كالأولى . وخرج اميل اده عند ذلك منسحباً وتبعه امين السعد فشيعهما الجمهور بالتصفير وألفاظ السخط والاستنكار . ومضى المجلس في المناقشة فأقر التعديل بنداً بنداً بالاجماع ، ولم يتركه إلا وقد حرره من قيود الانتداب. وفي تلك اللحظة هب واقفاً كل من في القاعة هبة آلية وارتجت اركانها وجدرانها بالهتاف والتصفيق ارتجاجاً [٢٩] .

ودخل يوم الاثنين ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣ في التاريخ .

بين التعديل والاعتقال

ونامت بيروت على فرح، وسرت منها مع الفجر انباء التعديل الى انحاء لبنان ، فاستفاقت اوديته وسهوله وذراه على افراح ، على ان شيئاً آخر استفاق في نفوس اللبنانيين ذلك اليوم . هي الهواجس اخذت تساورها والقلق الغامض يتعاورها ان الفرنسيين باتوا على غيظ عظيم . انهم لن يسكتوا . انهم يدبرون امراً ويبيتون للبنان شراً . ولكن لا . انهم اوفر حكمة واعدل حكماً . ان الحق صريح فقد عدّل لبنان دستوره مستنداً الى مادة موجودة فيه تخوله هذا الحق . وما تعديل الدستور الا مسألة داخلية . على ان التعديل يجعل دستور لبنان كدستور سورية ، كما قال لهم رئيس الحكومة في مناقشتهم بهذا الشأن .

ولماذا يكون للبنان اقل مما هو كائن لسورية وهما بلدان في حكم واحد من الناحية الدولية ؟ وهنالك تصريحات رسمية عديدة من قبل الفرنسيين بانه لن يكون

---

(٢٩) وقائع المجلس النيابي اللبنانية ، الجلسة المنعقدة بتاريخ ٨ ت ٢ سنة ١٩٤٣ بعد الظهر ، صفحة ٤١ .

للبنان دستور ادنى من دستور سورية ، ونكتفي بالاشارة الى تصريح سوشيه : « وبعد فان الفرنسيين يستطيعون ان يصدروا تحفظاً من جانب واحد كالذي اصدروه بشأن الدستور السوري اذا شاءوا وهم قد اصدروه فعلاً في البيان الذي نشروه بتاريخ ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) واحتفظوا بما يدعونه حقاً لهم . لا ريب انهم بذلك مكتفون . وذلك كان اعتقاد الكثيرين من اللبنانيين . وذلك كان ايضاً رأي فريق من الفرنسيين على ما عرف . ولكن الاشاعات كثيرة ، ومن بيدهم الامر من الفرنسيين استعماريون لا يريدون ان يفكروا او يسمعوا بغير الاساليب القديمة وسياسة التحكم . وتصريحات فرنسا الحرة ، وتصريحات رجال الحلفاء ، ووعود الدول الديمقراطية لسورية ولبنان ومبادىء الحرية التي يحاربون من اجلها ، اين يذهب الفرنسيون بهذا كله ؟ هم يهزأون بها — لا ، لا يهزأوا — انها لاقدس من ان يعبث بها عابث ولو كانت دولة من الدول العظمى القائمة ، ثم بعد ذلك ليفعلوا مايشاءون ويستطيعون. ان لبنان لن يسكت بل سيقاوم ويذهب في المقاومة الى اقصى الحدود .

مضى الثلاثاء واللبنانيون في تفكير وجدال تسمعه في البيوت والمقاهي والاندية والشوارع وفي كل مجلس ومجتمع .

وصول هللو عائداً من الجزائر

وجاء يوم الاربعاء فاذا الاشاعات تزداد قوة وانتشاراً. لقد وصل امس السفير هللو [٣٠] من الجزائر وجمع معاونيه وأنبهم تأنيباً شديداً لانهم لم يحولوا — باية طريقة — دون تعديل اللبنانيين لدستورهم . ولم يصدق الكثيرون هذا القول لانهم يعرفون عن الرجل انه لين الجانب دبلوماسي يدرك الامور ادراكاً حسناً. ولكن الاشاعات تزداد والهواجس تشتد . لقد كان رئيس الجمهورية واعضاء الحكومة

(٣٠) وصل هللو الى بيروت يوم الثلاثاء في التاسع من نوفمبر ١٩٤٣ قادماً من الجزائر بعد ان تفاهم مع اللجنة الفرنسية على الموقف الواجب اتخاذه بعد تعديل الدستور : انظر كتاب اللايدي سبيرز ص ٧٩ وكتاب اوجيني ابو شديد ص١٢٣ . البشير تاريخ ١٠ تشرين الثاني ، عدد ٦٩٧٩

اللبنانيـــة مدعوين من قبل المندوبية الفرنسية العامة دعوة رسمية لحضور حفلة الاستعراض التي يقيمها الفرنسيون في غد ، ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) احتفـــالاً بذكرى الهدنة . ودعا رئيس الحكومة زملاءه الى منزله صباح الخميس ليذهبوا مجتمعين الى تلك الحفلة مبالغـــة منهم في اكرام اصحاب الدعوة . كما كان رئيس الجمهورية والحكومة مدعوين لحضور حفـلة ساهرة عشية الاربعاء في نادي الاتحاد الفرنسي . ولكن الحكومة تلقت صباح الاربعـــاء رسالة من المندوبية العامة (الشعبة السياسية) تفيدان دعوتها الى حفلة العرض قد الغيت [٣١] فكان عملاً عدائياً صريحاً سرعان ما انتشر نبأه بين الناس فتوترت الاعصاب توتراً شديداً .

رئيس الجمهورية يرفض حضور حفلة عيد الشهداء الفرنسيين

ولما بلغ رئيس الجمهورية الخبر بادر في الحال الى ارسال رئيس غرفتـــه [٣٢] الى المندوبية الفرنسية فأبلغها ان الرئيس الاول يرفض ان يحضر الحفلة غداً تضامناً مع الحكومة . كما ابلغ هو والحكومة معاً انهم لن يحضروا حفـــلة النادي الفرنسي . وتبعهم في هذا الامتناع اكثر اللبنانيين الذين كانوا مدعوين الى تلك الحفلة، واخذت الحكومة اللبنانية قراراً بعدم اشتراك الدرك والشرطة اللبنانيين في حفلة العرض وقد جرت العادة باشتراكهما فيها منذ سنة ١٩١٨ . وكذلك اتخـذ الجيش التاسع قراراً بالانقطاع عن المشاركة في الاحتفال [٣٣].

السلك السياسي يتضامن مع الرئيس ويقاطع الحفلة

وبلغ الهيئات السياسية في العاصمة اللبنانية هذا الخبر فاجتمع اعضاؤها وبحثوا الموضوع فرأوا انهم لا يمكنهم الاشتراك في حفلة العرض بعـــد ان ابطلت دعوة الحكومة اللبنانية اليها على ذلك الشكل، لاسيما وهم يمثلون دولهم لدى تلك الحكومة

(٣١) اوجيني ابو شديد ص ١٢٣ .
(٣٢) موسى مبارك .
(٣٣) كتاب اللايدي سبيرز : قصة الاستقلال في سورية ولبنان، ترجمة منير بعلبكي، ص٧٢ .

وليس لدى المندوبية الفرنسية. وكلف تحسين قدري القائم باعمال المفوضية العراقية، اقدم اعضاء الهيئة في بيروت، ان يبلغ الفرنسيين هذا القرار. وعلى أثر هذا الرفض من كل جانب، اتخذ الفرنسيون قراراً بالغاء حفلة العرض وأبلغوه فجر الخميس الى ممثلي الدول المختلفة. ولما قابل تحسين رئيس الشعبة السياسية في المندوبية العامة حدثه في الخلاف الناشب بين المندوبية والحكومة اللبنانية وحدثه عن هياج الرأي العام والاشاعات الرائجة وحذره من الاقدام على اي عمل فيه مساس بسيادة لبنان واستقلاله لأن ذلك يثير لبنان. وعرض تحسين قدري على المندوبية الفرنسية وساطته لحل الخلاف، لكنهم رفضوا الوساطة [٣٤].

الاربعاء في العاشر من نوفمبر

وفي ذلك النهار، الاربعاء ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٣، عينت الحكومة اللبنانية الكولونيل سليمان نوفل[٣٥] قائداً أعلى لقوى الأمن الداخلي والكولونيل نور الدين الرفاعي مديراً للشرطة.

وقد ازدادت هواجس اللبنانيين واشتد قلقهم عندما راجت الاشاعات القوية عن امكانية وقوع اصطدام بين فرنسة وبينهم خصوصاً بعدما رأوا رجال الأمن العام الفرنسي يقتحمون دور الصحف الوطنية في بيروت بعد ظهر العاشر من تشرين الثاني ويصادرون الصحف جميعها [٣٦].

وصادف ان كان جلالة الملك بطرس ملك يوغوسلافيا مدعواً الى العشاء على مائدة الجنرال سبيرز وزير بريطانية في مساء ذلك اليوم نفسه.

وكان السفير الفرنسي جان هللو وسليم تقلا وزير الخارجية اللبنانية مدعوين ايضاً الى هذه المأدبة. وفي أثناء المأدبة نفى هللو نفياً جازماً الاشاعات الرائجة عن امكانية قيام عدوان من فرنسة، وأقسم بشرفه وشرف فرنسة انه لن يقوم بأي عمل

(٣٤) الديار، العدد ٥٠٢، السنة الثالثة، تاريخ ٢٥ ت٢ سنة ١٩٤٣.
(٣٥) انظر قرارات وزارة الداخلية. محفوظات في رئاسة مجلس الوزراء، السراي، بيروت.
(٣٦) اللايدي سبيرز، قصة الاستقلال في سورية ولبنان، ص ٧٩.

عدائي نحو السلطات اللبنانية، وانه بالعكس يقدس الحريات وسيسعى جهده لازالة العقبات القائمة بين البلدين بالأساليب الديبلوماسية الشريفة [٣٧].

وكانت الساعة قد بلغت الواحدة والنصف من صباح يوم الخميس — عندما قام سليم تقلا مودعاً الجنرال سبيرز، وذهب تواً الى منزل فخامة الرئيس حيث ردد على مسامعه اقوال هللو وطمأنه الى قسمه بشرف فرنسة. وهكذا نام الجميع وهم على اطمئنان من وعود وعهود ممثل فرنسة ليستفيقوا بعد ساعات قليلة على صوت بنادق الجند الفرنسيين وطقطقة حربات السنغاليين وقد جاؤوا ينفذون إرادة فرنسة باختطاف رجال السلطة اللبنانيين ولتحقيق وعد ممثلها هللو، فكان عملهم هذا مؤذناً بفجر استقلال البلاد الحقيقي.

(٣٧) اللايدي سبيرز — قصة الاستقلال في سورية ولبنان ص ٨١.

٣ . تاريخ لن ينساه لبنان (١١ نوفمبر ١٩٤٣)

●

اذا الشعب يوماً اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر

اعتقال رئيس الجمهورية

في فجر ذلك اليوم كان السكون يخيم على منزل بشارة خليل الخوري وقد نام جميع من في البيت . ومن عادة الرئيس وأفراد أسرته ان يأووا الى مضاجعهم مبكرين.

وعند الفجر ، حوالى الساعة الرابعة ، طوق المنزل خمسون جندياً فرنسياً مدججين بالسلاح يقودهم ضابط ويرافقهم مأمورون من دائرة الأمن العام الفرنسية. وكان اول ما فعلوه انهم صرعوا الخفير الواقف على الباب ودخلوا الى حيث ينام رجال الحرس فاعتقلوهم ثم اقتحموا المنزل عنوة وراحوا يطرقون أبواب الغرف باعقاب البنادق .

وكانت الغرفة التي ولجوها اول ما دخلوا ، غرفة كريمة الرئيس وهي فتاة لم تتجاوز الرابعة عشرة من العمر . وكانت نائمة في سرير أرخيت فوقه الكلالة (الناموسية) فشك احد الجنود السنغاليين الناموسية وأزاحها برأس حربته ففتحت الفتاة عينيها على منظر ملأها رعباً وفزعاً، منظر جنود سود يسددون اليها رؤوس حراب ركزت ببنادق طويلة . فارتاعت وعلا صراخها وأفاق جميع من في البيت على طرق الأبواب والجلبة والضوضاء . فأما الرئيس وعقيلته فأوصدا باب غرفتهما من الداخل ثم أزاحا اليه السرير الحديدي الكبير وتحصنا وراءه، وما هي إلا هنيهة

حتى تألب على الباب من الخارج عشرات العبيد واخذوا يطرقونه باعقاب بنادقهم محاولين تحطيمه . وكانت عقيلة الرئيس تصيح بهم من الداخل : اخرجوا من غرفة الصغيرة أيها الجبناء . ولما عجزوا عن اقتحام الباب وتحطيمه دخلوا غرفة جانبية ينام فيها صغير أنجال الرئيس ثم نفذوا منها الى غرفة الرئيس وهم شاهرو السلاح . ووجد الرئيس نفسه وقد أحاطت به شرذمة من جنود يأمرون وينهون . وخاطبه الضابط بقوله : انك متآمر على الدولة اللبنانية، وأنت موقف عن العمل، وعليك ان تستعد ليسار بك في الحال . فأبى الرئيس ان يذعن للقوة ، وأفهم الضابط انه رئيس البلاد فقوانينها وحدها تسري عليه، وان في العمل الوحشي الذي اقدم عليه الضابط وجنوده اعتداء غاشماً على بلد مستقل، فضلاً عن ان تحطيم الأبواب وترويع الاطفال واقتحام المنزل أساليب همجية مستنكرة لا يقدم عليها إلا الطغاة الظالمون . لكن الضابط أمر جنوده فاقتادوا الرئيس عنوة الى خارج البيت حيث كانت تنتظره سيارة عسكرية مقفلة أصعدوه اليها فسارت به تنهب الارض نهباً في طريق عاليه . وأُجلِس الرئيس على المقعد الخلفي وعن يمينه الضابط وعن يساره جندي والى جانب السائق جندي آخر، وجميعهم شاهرو المسدسات واصابعهم على زنادها مستعدة للضغط عليها في اي لحظة .

وعندما بلغت السيارة مدينة عاليه سأل الرئيس : الى اين تسيرون بي ... فأجيب : الى راشيا موقتاً ولكن في المساء تعرف ماذا نفعل بك ...

وبينما كان الجنود يعملون على اعتقال الرئيس كان مأمورو الامن العام يقلبون اثاث البيت ظهراً على عقب فلا تقع ايديهم على ورقة الا صادروها واحتفظوا بها . وكان في جملة ما احتفظوا به اوراق نقدية لبنانية بمبلغ الف وخمسمائة ليرة كانت كل ما ادخره طاهي الرئيس فاخذوها في جملة ما اخذوا ...

اما خليل ، كبير انجال الرئيس البالغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، فتدقبض عليه الجنود ، وبعد ان اوسعوه ضرباً باعقاب البنادق ساقوه الى دائرة الامن العام حيث اوقفوه ساعة من الزمن في احد سراديبها . ولما اطلقوا سراحه حوالى الساعة الخامسة صباحاً هرول من فوره الى قصر سفير بريطانية العظمى السر ادوارد

سبيرز ، فصدّه الحراس . فافهمهم من هو وما حدث وطلب اليهم ان يوقظوا السفير ،ففعلوا . فلماعرف السفير بما حدث هاله الامر وهرع الى التلفون ليتصل بالوزير البريطاني في القاهرة ،كايسي، فوجد ان اسلاك تلفونه قد قطعت في الليل فارتدى ثيابه على عجـــل واسرع الى مركز قيادته الحربية حيث شرع يستعمل التلفون العسكري [٣٨] .

اعتقال رياض الصلح

وكان السكون يخيم على منزل رئيس الوزراء رياض الصلح حـين استيقظت الخادم على قرع الباب ، ونهضت وهي لا تدري انها الساعة الثالثة صباحاً ،وتوجهت نحو الباب وقالت من ؟ فاجابها القارع من وراء الباب بلهجة بيروتية عتيقة « افتحي انا احمد » ايهاماً لها ان الطارق احد اهل البيت او المألوفين فيه ، وفتحت زجاج الباب فرأت اناساً غرباء فعادت الى غرفة سيدها،ومن عادته ان لا يحتجب عن طارق او سائل،وقرعت الباب وقالت : ضيوف يسألون عنك. وفي تلك الفترة كان احدهم قد فتح الباب بمفتاح خاص و اندفع وراءه الضيوف الى حيث كانت الخادم ودفعوا الباب وخلعوه بينما كانت عقيلة الرئيس تهم بفتحه من الداخل. واقتحموا الغرفة وقد شهروا مسدساتهم وتوجه احدهم الى سرير رئيس الحكومة حيث كان ما يزال يفرك عينيه من شدة التعب ، فاذا هما تقعان على فوهة مسدس موجهة الى رأسه بيد ضابط يحيط به نحو ثلاثين من الجنود الفرنسيين من بحارة وسنغاليين بايديهم المسدسات الاوتوماتيكية والبنادق السريعة الطلقات. وصاح الضابط بامر الامن العام،ونهض رياض مهتاجاً ثائراً فقال له الضابط: يجب ان تخرج حالاً. فأبى ان يخرج الا مرتدياً ثيابه فامهله خمس دقائق لذلك،فأخذ يرتديها في غرفته والسيدة قرينته تساعده بجأش رابط. وزاد عدد الجنود في المنزل حتى ملأوا الدار والاروقة والسلالم فضلاً عمن كان منهم عند الباب الاسفل وفي الشوارع والمنعطفات المؤدية اليه يقطعون السبيل وكلهم مسلحون بالمسدسات والرشاشات والبنادق في رؤوسها الحراب . وصعد احد الجنود الذين

(٣٨) انظر اللايدي سبيرز – قصة الاستقلال – ص ٨١ الى ص ٨٤ .

دخلوا غرفة رياض على كرسي وجعل يقطع اسلاك التلفون بحربته . وخشيت ربة البيت على بهيجة ومنى ولميا وعليا بنات الرئيس ،وكلهن في سن الطفولة،ان يستيقظن على المشهد المروع ، فقصدت غرفة الصغيرتين منهن ولكن الجنود اندفعوا وراءها بجلبة وضجة،فأفاقت الطفلتان مذعورتين أشد الذعر وعلا صراخهما وبكاؤهما، وظلتا ترتجفان حتى مشرق الشمس . واما والدة رياض فقد افاقت عند بدء الحادثة فرأت البيت يغص بالجنود والسلاح فادركت ما في الأمر وقصدت الى غرفـــة ابنها ، وانذروها ان لا ، فوقعت عينها عـلى مشهد المسدس المصوب الى رأسه فأخذها الفزع، ولكن الجنود اسرعوا اليها وانذروها ان لاتأتي بحركة وان لا تحدث صوتاً لان البيت محاط برجال الامن والرشاشات ،وكان رياض قد ارتدى ثيابه وودع امه وزوجته واطفاله بكلمات مشجعة .

ونزل رئيس الحكومة الى سيارة الأمن العام فاذا عدد الجنود الذين أحـاطوا بمنزله فضلاً عن الذين دخلوه لا ينقص عن المائتين من البحريين والسنغاليين ورجال الأمن العام . ودرجت به السيارة نحو جهة لم يكن يعرفها .

وأما موظفو الأمن العام فقد ظلوا بعد ذهاب رياض نحو ساعتـين نكتوا فيهما البيت نكتاً مفتشين عن أوراقه ، وخرجوا ومعهم حقيبة ملأى بهذه الاوراق وكثير من الاوراق الخاصة [٣٩].

اعتقال عادل عسيران

وفي تلك الساعة نفسها كانت فصيلة من الجند تقف امام منزل النائب رشيـــد بيضون، نسيب عادل عسيران ،وزير التموين وقد ظنوه ضيفاً عليه كعادته ،واقتحم الجنود المنزل بمثل ما وصفناه في اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة . وقـد

(٣٩) وكانت آخر صورة لزمته في سجنه مشهد امه وزوجته وبناته مذعورات ،وكان آخر صوت سجلته اذنه زفرات صغيراته . وحدث ان لمح رياض أحد رجال الامن ، وكانت له به معرفة سابقة ، فصاح به قائلاً : هذه رابع مرة تشترك فيها باعتقالي يا ملعون . (من ذكريات رياض الصلح وقـد سمعتها منه بنفسي) .

قابلهم رشيد بيضون وسألهم ماذا يريدون ثم أفهمهم انه ليس الوزير الذي يطلبون فغادروا المنزل . ووقفت فصيلة من الجند بعد قليل امام منزل محسن بيضون في عاليه ودخلوه يفتشون عن عادل ، ولكنهم لم يجدوه هناك ايضاً . وعرفوا انه يقيم في بيت مجاور فقصدوا اليه . وكان قد وصل اليه من انبأه بانهم يبحثون عنه ودعاه إلى التواري . ولكن الوزير أبى ان يفعل ،وبقي ينتظر حتى اهتدوا إلى منزله، فسألهم ما الخبر ؟ فقالوا إنك منذ الآن معتقل . فاستمهلهم ريثما يتناول بعض الطعام ، ثم ركب السيارة وهو يقول : « ظننتكم جئتم تقابلون جيشاً بهذا العدد من الجند لا لتعتقلوا فرداً مثلي .»

اعتقال كميل شمعون[٤٠]

وأحاط الجند بمنزل وزير الداخلية كميل شمعون وقطعوا المرور في الشوارع والمنعطفات المؤدية اليه. وصعدوا إلى المنزل وطرقوا الباب بقوة ، فهبت قرينته مذعورة،فوجدتهم قد دفعوا الباب وأصبحوا في صحن الدار،وهم شاهرون سلاحهم يسألونها بخشونة أين زوجها . وبينما كان بعضهم يدخل على الوزير في غرفته كان الآخرون يسوقون مَن في المنزل من أقارب الوزير بثياب النوم إلى الطريق حيث حجزوهم إلى ان فتشوا المنزل وحملوا الوزير . وقد أبلغوه انهم ذاهبون به إلى راشيا ونصحوا له أن يحمل معه ثياباً شتوية كافية . وركب سيارة صغيرة وإلى جانبه ضابط فرنسي واتجه في طريق عاليه .

اعتقال سليم تقلا

وداهموا منزل سليم تقلا وزير الخارجية في تلك الساعة وأفاقت على الجلبة السيدة

(٤٠) قدم كميل للضابط الذي كلف باعتقاله سيجارة « لاكي سترايك » فسر الضابط بها كثيراً ، وأخذ يتجاذب الحديث مع كميل . وحدثت نكتة للضابط اذ جاء كبير انجال كميل شمعون وقدم له « نقيفة » ، وهي السلاح الذي يصطاد به الاولاد العصافير وهتف به قائلاً : « لعلكم بحاجة الى هذا السلاح ايضاً ... »

حماته فروّعها ان ترى داخل المنزل نحواً من خمسة وعشرين جندياً شاهري السلاح وهم يسألون عن الوزير وقد أسمعتهم السيدة كلاماً قارصاً ثم نبهت صهرها فلبس ثيابه بسرعة وخرج معهم دون ان يوقظ السيدة زوجته . وركب السيارة الى راشيا محروساً حراسة قوية .

اعتقال عبد الحميد كرامي

وكان عبد الحميد كرامي في قرية « مرباطة » القريبة من طرابلس في ذلك اليوم. وفي الساعة الثالثة والنصف من صباح الخميس وصلت الى القرية نحو عشر سيارات شحن كبيرة ونزل منها الجنود،فطوقوا المنزل الذي يبيت فيه، ودخل منهم خمسة وعشرون جندياً أسود ببنادقهم وعلى رأسهم ثلاثة ضباط فرنسيين يسألون عن عبد الحميد كرامي . فخرج هو إليهم بقميص نومه وسرواله القطني وقال :«انا عبدالحميد!» وقد اوحى له مشهدهم وسلاحهم المسدد اليه انهم آتون لاغتياله لا لاعتقاله . وما كاد يعلن اسمه حتى حملوه حملاً الى السيارة وساروا به عن طريق حمص الى راشيا ،ولم يمكنوه من ان يرتدي او يحمل ثوباً . وقد اصطدم فيما هو خارج من الغرفة ببندقية احد الجنود فجرح رأسه وسال منه الدم. وشاهده بعض أبناء حمص في مدينتهم ولكنهم شكوا في ان يكون هو عبد الحميد. ولبث الطريق كله لا ينبس ببنت شفة . وبينما كان هؤلاء يعتقلونه في مرباطة كانت فصيلة من الجند تداهم منزله في طرابلس وتعمل فيه تفتيشاً. وقد حدّث[٤١] عبد الحميد انهم أخذوا منه في مرباطة محفظته وفيها اربعمائة واثنتان وعشرون ليرة وكمية من النقود الذهبية لشريكه العائد حديثاً من اميركة، وقد وجدوها في صندوق كسروه. واخذوا كذلك من منزله في طرابلس نظاراته الذهبية وطقم سفرة كاملاً من الفضة وخمساً وعشرين ليرة انكليزية تخص الطاهي وبدلة ايضاً .

كان الصباح لم ينبلج بعد ، حين اخذت سيارات المعتقلين تتسلق طريق عاليه

(٤١) من حديث لعبد الحميد كرامي مع المؤلف .

وتقطع ضهر البيدر في طريقها الى المعتقل، حتى اذا انحدرت نحوسهل البقاع كانت الشمس تطلع على نهار سيبار كه اللبنانيون الى الابد لانه حمل اليهم الحرية والاستقلال.

وفي ذلك اليوم رأى الناس عجباً — رأوا رئيسين: واحداً يسار به الى الاعتقال فتثور له امة، وواحداً يسار به الى كرسي الحكم فتثور عليه الامة.

صهد مذكرات تشرشل

ويقول تشرشل:

« ان انتخابات تموز وآب عام ١٩٤٣ اعطت للبلدين السوري واللبناني اكثرية ساحقة من العناصر الوطنية المتطرفة، تلك الاكثرية التي طالبت بتعديل الدستور الذي فرضه الانتداب. »

وجرى على أثر ذلك الدم في شوارع بيروت، الامر الذي ادى الى تأثر حكومة بريطانية.

وكان عمل الفرنسيين العنيف يخالف تمام المخالفة ميثاق الأطلسي ويجعل البلاد العربية بأسرها تتساءل: كيف يمكن لفرنسة ان تفسر رغبتها في اجلاء الاجنبي عن اراضيها وهي تبشر بالاستعمار في غير بلادها؟

وفي رأيي انه يجب على اميركة وانكلترة ان تتدخلا بحزم وباتفاق تام لحل هذه الازمة.

وان شدة وقساوة حوادث الشرق هذه خلقت لنا الفرصة السانحة امام الرأي العام العالمي لنبحث جدياً امر دي غول ولنوقفه عند حده.

وبرأيي يجب اطلاق سراح رئيس الجمهورية وجميع المعتقلين واعادتهم الى مراكزهم.

فاذا رفض دي غول هذا الحل نبادر الى الغاء اعترافنا باللجنة الوطنية الفرنسية ونوقف تسليح القوى العسكرية الفرنسية الموجودة في افريقية.

وقد اصدرت اوامري للجنرال ويلسن ان يكون على استعداد لفرض النظام والهدوء في لبنان.

وقد تركت هذه الحوادث أثراً بعيداً في علاقاتنا مع اللجنة الفرنسية ومع دي غول »٤٢

الثورة الحمراء

واستيقظت بيروت على نهار احمر.

افاق الناس مذعورين وطفقوا يسأل بعضهم بعضاً عن النبأ متنادين من الشرفات والنوافذ من بيت لبيت. وخرجوا مهرولين الى كل مكان حيث يقوم كلٌ بواجبه

(٤٢) من مذكرات تشرشل: Winston Churchill dans : L'Etna se referme . Memoires sur la Deuxième Guerre—Tome V. من صفحة ١٨٥ الى نهاية صفحة ١٨٦.

الأول نحو وطنه ورجاله. ولا يقفون إلا ليسأل بعضهم بعضا سؤالاً خاطفاً عن الاعتقال والمعتقلين وعن الاعتداء والمعتدين وعن موقف الحلفاء والديمقراطيين. بكر التاجر الى مخزنه لا ليفتحه بل ليحكم إقفاله، وبكر العامل الى محل عمله او مصنعه ليدعو رفاقه الى الاضراب، وبكر الطالب الى مدرسته ليؤلف تظاهرة من اترابه. وازفت ساعة العمل في العاصمة وكل عامل فيها مضرب وكل عمل فيها معطل.

وها هي الجماهير تندفع من كل صوب لتلتقي في قلب المدينة بالجماهير في كل مكان، بالجماهير آتية من هنا، بالجماهير آتية من هناك، وبالجماهير ايضاً تتدفق من كل ناحية دون انقطاع. لقد اجتمعت الامة في الشوارع، النار في الصدور والشرر في العيون.

وفي ذلك الصباح اندفعت جموع غفيرة من الجماهير نحو بيوت الرؤساء والوزراء مستفهمة مستطلعة كيف اخذوهم؟ الى اين؟ من يعرف الحقيقة؟ قالوا الى الجزائر بطائرة وقالوا بل بغواصة. وقالوا الى القامشلي في شمالي سورية. وقالوا الى راشيا. ولكن يؤكدون ان الفرنسيين لا يستطيعون إخراج طائرة او غواصة الا بموافقة الانكليز. ان بعض الخواطر في قلق ان يذهب الفرنسيون في عملهم الجنوني هذا الى ابعد من الاعتقال لا سمح الله. ولكن يؤكدون ايضاً ان معتمدي الدول الحليفة قد حصلوا من الفرنسيين على تعهد بالمحافظة على سلامة المعتقلين. وظل الغموض يكتنف أمر الاعتقال، ولم يعرف الجمهور الحقيقة إلا في اليوم التالي. انهم في راشيا. وها هم الرؤساء والوزراء السابقون والنواب والزعماء والوجهاء يبادرون الى هذه البيوت مظهرين سخطهم على الاعتداء. ها هم الرؤساء الروحيون يطوفون على عائلات المعتقلين يعلنون احتجاجهم ويعاهدون على النضال حتى يعود المعتقلون وتعود الاوضاع السياسية كما كانت. وكانت الساعة السابعة عندما كان المطران مبارك يدخل منزل رياض الصلح ويلقي على اهل بيته كلماته المشجعة، وعلى الشعب المحتشد الثائر كلماته الوطنية الملهبة، ويعاهده على ان لا يسكت حتى تتحقق إرادة الامة. وكان مفتي الجمهورية في تلك الساعة يدخل منزل بشارة الخوري ليقول مثل ذلك القول ويعلن مثل ذلك الشعور. بل ها هم خصوم بشارة الخوري ورياض

الصلح وسليم تقلا وكميل شمعون وعادل عسيران وعبد الحميد كرامي يبادرون الى بيوتهم مستنكرين الاعتداء ، والى العاملين على رده منضمين. لقد كان هؤلاء الرجال بالأمس خصوماً ، اما اليوم فقد سيقوا معاً الى السجن في سبيل حرية بلادهم .

ستظل هذه البيوت ملتقى للجمعيات والهيئات واللجان التي ألفها الشعب للمقاومة، بل ستظل أندية للشعب يغدو اليها ويروح ليقف على كل ما يجري من الحوادث والتطورات في المدينة وفي الخارج ، ويتلقى التعليمات من قادة الحركة في العاصمة .

وهذه الوفود وهذه الالوف تنطلق الى دور المفوضيات العربية والاجنبية لتظهر سخطها واحتجاجها . انها تستنجد بالاخوة العربية في مفوضية مصر ومفوضية العراق. وهي تسأل المفوض البريطاني والمعتمد الاميركي اين وعودكم للشعب بالحرية؟ اين وعودكم للبنان بالاستقلال ؟ اين ميثاق الاطلنتيك ؟ وتردد لديهم كلمة رئيس الوزراء في بيانه الى صحافة اميركة ، « ان ميثاق الاطلنتيك موضوع اليوم تحت الاختبار . وتجربة لبنان هي التي ستبين للشعوب الصغيرة التي لا تستطيع ان تعتمد على قوة المادة لتحفظ استقلالها مقدار صدق هذا الميثاق وصدق الحلفاء والديمقراطيات [٤٣] .

لقد اعرب هؤلاء المعتمدون منذ الساعة الاولى عن مشاركتهم للبنانيين في شعورهم الأليم. ووعدوا بانهم سينقلون هذا الشعور وكل ماشاهدوه إلى حكوماتهم. ولكن ماذا تجيب هذه الدول التي بيدها الحل اذا شاءت ؟ يجب ان ينتظر اللبنانيون يوماً على الاقل . وباتوا على ذلك ينتظرون ما يأتي به الغد .

صورة دي غول

وتجمع فريق من المتظاهرين أمام دار الافتاء في شارع ويغان ورؤوسهم مرفوعة إلى فوق ،وعيونهم تنظر نحو السماء ،وهم يتآمرون على شيء هناك . لقد نشر الفرنسيون في التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) صور الجنرال دي غول وملأوا بها

(٤٣) راجع تصريح رياض الصلح ص ٥١ .

جدران الشوارع في جميع الأحياء ،كما ألصقوا إلى جانبها مثل هذا العدد من صور المرشال ستالين، وقد قرنوا الصورتين ليوهموا الناس انهم وروسية يدواحدة وانهم في حماية روسية . ولكن اصبحت المدينة صباح العاشر فاذا صور دي غول ممزقة كلها وصورة ستالين الى جانبها سليمة لم تمسها يد بسوء . لقد ارادوا تحدي اللبنانيين بنشر تلك الصور، فردّ اللبنانيون التحدي بفهم وادراك وذوق سياسي . ففاظ الفرنسيين الامر ، وعمدوا الى صورة كبيرة تمثل الجنرال دي غول مساحتها خمسة امتار في ثلاثة ونصبوها فوق بناية الافتاء حيث تلتقي اربعة شوارع في قلب المدينة واكثر نواحيها ازدحاما . واحس كل من رأى تلك الصورة من اللبنانيين كانما نصبت على انفه . فاسرع كل من استطاع منهم لانزالها عن انفه . وصعد صبي في نحو الثالثة عشرة من عمره الى سطح البناية وطفق يعالج تلك الصورة على ضخامتها، فقطع الاسلاك التي تشدها ودفعها، فاذا هي تهوي عن علو شاهق حتى علقت باسلاك الترامواي فتدلت منها ، وقد انقلب اعلاها الى اسفل . وكانت الجموع تتابع حركة الصبي وترشده في عمله وتصفق له وتهتف، اذ انقلب صريعاً برصاصة اطلقها عليه ضابط كان هناك صرعه الجمهور لفوره. وكان الصبي اول شهيد سقط في ذلك الصباح. وكان الضابط اول ضحية من ضحايا الانتقام . وكأن الجمهور لم تشتف منه نفسه فعمد الى الصورة ، واضرم فيها النار ، فاشتعلت الصورة واشتعلت معها الثورة .

ووجدت الجماهير الثائرة في طريقها مركبات الترامواي فرشقتها بالحجارة وهشمتها تهشيما، وما هي الا فترة حتى اصبحت المركبات كالهياكل العظمية وذهبت لاجئة الى مستودعاتها .

حرق السيارات

ثم وجدت في طريقها سيارات الفرنسيين فانقضت عليها تعمل فيها حرقا وتحطيما . وكانت الساعة التاسعة حين تعالى الدخان واللهب في الجو من قلب المدينة واطرافها . وبينما كانت السنة اللهيب تتراقص في الفضاء كان الجمهور يصفق ويهتف ويرقص حول النيران . ورابط الجمهور عند تلك السيارات المحطمة المحروقة يقطع على غيرها

الطريق ليصطادها ويحرقها وكان شديد الحرص على معاني حركته ، فكان لا يتعرض الا للسيارات العسكرية فيتبين جنسيتها اولا ، فاذا وجدها فرنسية انقض عليها يشفي نفسه منها ، واذا وجدها للحلفاء صفق لها وحياها تحية الصديق واخلى لها الطريق . وكان لا يمد يده الى نهب او سلب على كثرة الفقراء فيه .

صرع الجمهور احدى السيارات في ملتقى شارع فوش وويغان واضرم النار فيها وافلتت منها احدى عجلات الكاوتشوك ، فتناولها فقير كان هناك غنيمة ، واندفع وراءه رفاقه من الفقراء ونازعوه اياها ، واذا هم يعودون بها ويطرحونها بين السنة اللهيب وهم يقولون له مؤنبين : نحن هنا طلاب استقلال ولسنا بنهابين .

وامتنعت السيارات الفرنسية على اثر هذه الحوادث من الخروج باستثناء تلك التي تحمل الرشاشات والجنود لقمع الثورة . وكانت الساعة التاسعة حين نزلت الدبابات والسيارات المصفحة والمسلحة بالرشاشات الى الشوارع والطرق . ونزلت سيارات النقل العسكرية الكبيرة تحمل جنوداً من العبيد السنغاليين يقودهم ضباط فرنسيون* وقد تسلحوا جميعاً بالبنادق الحديثة السريعة الطلقات ، وبالمترايوزات الخفيفة . وتوزعت هذه القوات في الشوارع والساحات وانحاء المدينة تطارد الجماهير الثائرة وقد صمد الثائرون في بعض الجهات للقوات المهاجمة ولكن انى لهم ان يثبتوا لنزالها وليس لهم من سلاح الا الحجارة ؟ وهكذا أخذوا يتفرقون ، كلما لحقت بهم القوة المطاردة ثم يتجمعون في مكان آخر .

نزول الجيش واحتلال الشوارع

وفي نحو الساعة العاشرة احتلت القوات السنغالية الشوارع الرئيسية وشارع المعرض وشارع الامير فخرالدين ، واحتلت ساحة البرلمان وجميع الشوارع المحيطة به ، بعد ان هاجمت الجماهير واشتبك الفريقان في عراك دام . ورابطت فصائل منها على مدخل مكتب بشارة خليل الخوري ومدخل بنك فرعون وامام مكاتب الفرنسيين . واحتلت فصائل ساحة المندوبية العامة وقصر العدل والشوارع المحيطة بها ، ووقفت على جميع المنافذ المؤدية إليها الدبابات ونصبت الاسلاك الشائكة على

* الكابتين مرشال وقد لقب بالجلاد .

هذه المنافذ وجدرانها . وهاجمت الدبابات والجنود الجماهير المتظاهرة في محلة البسطة وفي محلة السور وطريق الحرج ، وهاجمتها في ساحة الشهداء وفي طريق النهر وفي باب ادريس ورأس بيروت ، كما هاجمت الجماهير المتظاهرة المرابطة والرائحة الغادية أمام منزل رئيس الحكومة فاحتلته ومنعت المرور في ذلك الشارع . ثم احتلت طريق رأس النبع الشرقي وسدت منافذه بالدبابات والمصفحات ومنعت المرور فيه طول ايام الثورة نوجود بعض الفرنسيين فيه .

وأظهر اللبنانيون في ذلك اليوم من الشجاعة والبطولة ما أدهش الفرنسيين ومناصريهم . لقد قابلوا القوة الغاشمة بايمانهم وفتحوا للنيران صدورهم ، فسقط منهم قتلى وجرحى ذهبت أرواحهم ودماؤهم ضحايا غالية في سبيل استقلالهم وعزهم .

وفي تلك المصادمات التي قيض للبنانيين ان يتعلموا فيها استعمال المسدسات انقلبت الشوارع والمنعطفات الى ساحة حرب حقيقية . وقد كان الاشداء من اللبنانيين يتخذون من السيارات المحروقة متاريس ويعتصمون وراءها يصدون المهاجمين . وكم مرة انقضوا عليهم فهزموهم شر هزيمة على الرغم من رشاشاتهم .

وظلت التظاهرات قائمة على قدم وساق ، وظلت المصادمات والمعارك دائرة ، وظل رصاص البنادق والرشاشات يدوي حتى أرخى الليل سدوله ، وباتت بيروت بعد نهار من الجهاد العظيم خلدها بين المدن وخلدته بين الايام . نهار تطهر بالنيران وتزكّى بدماء الجرحى والشهداء . لقد باتت على نهار رائع لتنهض في الغد على نهار أروع .

●

لم يكن اللبنانيون يفكرون في شكل الحكم الذي يتعمد الفرنسيون اقامته بعد ان اعتقلوا الحكومة الشرعية . فقد كان شغل اذهانهم حادث الاعتداء المنكر ورد هذا الاعتداء . واذا خطر لاحد ان يفكر في ذلك فقد كان اعتقاده يتجه الى ان الفرنسيين سيقيمون حكما عسكرياً مباشراً . ولكن ما لبثت الالسنة ان تناقلت الاذاعة التي صدرت ذلك الصباح عن محطة راديو الشرق وهي تلخص في تعطيل الحياة النيابية ونزع سلطة رئيس الجمهورية والحكومة وتعليق الدستور واقامة نظام حكم على رأسه رئيس دولة رئيس حكومة يعينه المندوب الفرنسي وتعيين اميل

اده رئيساً للدولة رئيساً للحكومة . وهذه هي القرارات :

قرار هللو رقم ٤٦٤

صادر في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ بتوقيف الدستور وحل المجلس النيابي وتنظيم السلطات التنفيذية والتشريعية :

« ان جان هللو سفير فرنسة المندوب العام لفرنسة في الشرق

بناء على مراسيم رئيس الفرنسيين الاحرار بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٤١ .

وبناء على مرسوم لجنة التحرر الوطني الفرنسية بتاريخ ٧ حزيران ١٩٤٣ .

وبناء على صك الانتداب بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢ .

وبناء على المادتين ٩٠ و ١٠٢ من الدستور اللبناني .

وبناء على التصريح الذي القاه في بيروت في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤١ الجنرال كاترو قائد الجيش والقائد العام ، المندوب العام المفوض لفرنسة في الشرق ، بالاعتراف باستقلال لبنان مجدداً التعاون الواجب انشاؤه بين فرنسة ولبنان في روحه وشكله الى ان تعقد معاهدة اتحاد ومودة فرنسية لبنانية يكرس بها نهائياً استقلال البلد .

وبناء على القرار رقم ١٢٩ بتاريخ ٨ آذار سنة ١٩٤٣ المحور بالقرار رقم ١٤٧

وبناء وبناء وبناء الخ... قرر ما يأتي :

المادة الاولى — ان النص الذي قبله مجلس النواب اللبناني في جلسته المنعقدة في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٣ والمشتمل على تعديل المواد الاولى و١١ و٢٢ و٩٥ و١٠٢ والغاء المواد ٩٠ و٩١ و٩٢ و ٩٣ و٩٤ من الدستور خال من كل صفة شرعية فهو لاغ ولا مفعول له .

المادة الثانية — حل المجلس النيابي اللبناني .

المادة الثالثة — اوقف تطبيق الدستور اللبناني ويعاد على أثر انتخابات تجري فيما بعد .

المادة الرابعة — ...

المادة الخامسة — بصفة موقتة والى ان يعود تطبيق الدستور يؤمن ممارسته رئيس دولة رئيس حكومة يعينه المندوب العام ويؤازر رئيس الدولة رئيس الحكومة وزراء دولة يعينهم هو ويكونون مسؤولين تجاهه .

المادة السادسة — ...

المادة السابعة — امين السر العام مكلف تنفيذ هذا القرار الخ...

بيروت في ١٠ تشرين الاول ١٩٤٣

هللو...

اما القرار الثاني فكان :

قرار رقم ٤٦٥ صادر في ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

يعين بموجبه ، بصورة موقتة ، رئيس الدولة رئيس الحكومة في الجمهورية اللبنانية .

ان جان هللو سفير فرنسة المندوب العام المطلق الصلاحية لفرنسة في الشرق .

بناء على مراسيم رئيس الفرنسيين الاحرار .

وبناء ...

وبناء على القرار رقم ٤٦٤ بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ القاضي بتعليق الدستور اللبناني وحل مجلس النواب .

يقرر ما يلي :

المادة الاولى — بصورة موقتة والى ان يعاد الى تطبيق الدستور عين فخامة اميل اده الرئيس السابق للجمهورية رئيساً للدولة رئيساً لحكومة الجمهورية اللبنانية مع تخويله السلطات المحددة في القرار رقم ٤٦٤ .

المادة الثانية — ان السكرتير العام مكلف بتنفيذ هذا القرار الذي يوضع موضع التنفيذ بتعليقه على باب المفوضية العامة نظراً لضرورة الاسراع ،

السكرتير العام	المستشار التشريعي	المندوب العام المطلق الصلاحية
شاتينو	جان شابير	ج. هللو

راديو الشرق لا يعطي الا انباء الشؤم . لقد اذاع قرارات هللو . غريب امر اصحابه . انهم يجرؤون على فعل الاعتقال ولكنهم لا يجرؤون على اذاعته . فلم يشر اليه الراديو هذا الصباح . ولو اشارة ، حين اذاع القرارات المعهودة . على ان هللو اشار اليه ببيانه الموجه الى اللبنانيين والذي اذاعه بواسطة الراديو . وقد القت الطائرات هذا البيان في اليوم التالي من الجو على مدينة بيروت ليقرأه الناس مرة اخرى لعلهم يقتنعون .

بيان هللو

« ايها اللبنانيون ، لقد دقت الساعة التي يجب فيها ان يوضع حد للمناورات الطائشة التي لم يكن لها من هدف الا حرمان لبنان من مساعدة فرنسة التاريخية لتخضعه لديكتاتورية حقيقية ، كان من شأنها ان تقضي عليه . اني والغصة في قلبي قد اضطررت الى اتخاذ قراري الخطير هذا . على انكم لم تكونوا

تنتظرون من فرنسة بالنسبة للاتجاه الذي اتخذته الحوادث ، ترددا وتدابير ناقصة . كنتم تنتظرون منها عزماً صادقاً ورجولة،ولو انها تركت الامور على مجراها لاحتقرتموها . واني على ثقة من انكم ستحمدونها اذ حالت بينكم وبين الخطر الذي كان يتهددكم (خطر الحرية ...)

تعرفون من فحوى القرار الذي اتخذته،الاسباب القانونية التي اوجبت علي ان استعمل صلاحياتي فلن اعود اذاً الى ذكرها.على انه من حقكم ان اقدم لكم شروطا اخرى ادلي بها بصراحة كلية دون خوف من تسمية الاشياء باسمائها .

لقد اطلعت حكومتكم فور تأليف وزارة الصلح على عزمي على الدخول واياها في محادثات ترمي الى تنفيذ الاستقلال الموعود،مؤكداً لها ان هذه المحادثات ستجري من جانبنا نحن باكثر ما يمكن من روح السخاء والتفهم لأماني الشعب اللبناني .

ولما بلغني ان البيان الوزاري يشير الى تعديل الدستور بشكل مغاير لحقوق فرنسة وموجباتها الدولية ناشدت رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء قبل صدور البيان أن لا يتخذوا موقفا علنيا بهذا الشأن .

وفي نهار الجمعة في ٥ تشرين الثاني حددت لجنة التحرر الوطني الفرنسية في بلاغ «تذكرون عباراته الموقف الذي اتخذته . وأخيراً قبل جلسة المجلس المخصصة لدرس مشروع التعديل الدستوري بيضع ساعات ، اقترحت وانا في القاهرة على الحكومة مشروع تأجيل المناقشة مبينا اني عائد من الجزائر حاملاً تعليمات مشبعة بروح السخاء،بشأن المفاوضات التي ستجري .

على ان هذه التنبيهات لم تصادف الا الرفض والتسرع في العمل.ولأجل تأمين النجاح بصورة أوفى لجيء الى التهديد والوعيد في الشارع ضد النواب الذين كان بوسعهم ان يعارضوا المشروع الحكومي (...)

فهل أعادت فرنسة الى لبنان ممارسة الحكم لتسليمه الى استبداد الشارع ؟؟

على انه لم يكن هنالك من شيء يقف في سبيل هؤلاء القوم الذين كرسوا جهودهم لاثارة البغض والتدمير ، فالمؤامرة على فرنسة كانت مدبرة وكان المقصود تنفيذها حتى النهاية .

وهل كان من الممكن أن يبقى شيء من الشك في ذلك بعد ان سمعنا الراديو الالماني يوزع الثناء على رياض الصلح قائلاً : « لقد أذاع الزعيم الكبير رياض الصلح جوابا على بلاغ ألجه ، بلاغا قال فيه ان الدستور سيعدل وها ان الحكومة اللبنانية تقوم بهذا التعديل حتى بدون أخذ رأي الفرنسيين . فان العرب الأحرار لهم ملء الثقة بالزعيم الكبير رياض بك الصلح.»

ذلك هو رأي ألمانية فليسمح لفرنسة أن تبدي رأيها ايضا ...

إن فرنسة لم تكن مقصودة وحدها بذلك فلبنان لم يكن أقل استهدافا منها لذلك،ومن كان بامكانه ان يتخذ بصورة جدية التصريحات العلنية التي كان يدلي بها رجل لم يمر على وطنيته اللبنانية اكثر من ستة اسابيع وهو منذ عشرين سنة يتآمر على استقلال بلاده ؟...

وأي دليل على الوطنية وحب الاستقلال أغرب من ان يحرم المرء بلاده من ضمانة دولية تضمن حدودها ؟ إن الوطنيين اللبنانيين الحقيقيين إنما يعرفون تماما أن احترام الحق والعدل هو ضمانة استقلال بلادهم الاساسية وأن البلاد لا يلحقها إلا الضرر من التحكم والاضطرابات .

ان فرنسة،وهي تشعر بمسؤولياتها الجسام،قد وقفت اذاً في وجه هؤلاء الذين عزموا على السير بلبنان الى الهاوية،وانها بعملها هذا قد قضت على حالة كان من شأنها الاساءة الى استقلال لبنان اساءة نهائية. وبعكس ذلك فالعمل الحازم الذي قمت به باسمها قصدت منه المحافظة على كيفية بلوغ لبنان بصورة اكيدة الى الاستقلال التام مع احترام تقاليد من شأنها ان تحمي هذا الاستقلال حماية فعالة .

واذا كان ثمة من يزعم ان قراري هذا يناقض وعود فرنسة ، فاني اجيبه ان فرنسة هي الدولة الوحيدة التي منحت الاستقلال اثناء هذه الحرب الى بلدان تابعة لسلطتها . وأجيب ايضاً ان فرنسة تحارب كحليفاتها وانها ضحت بنفسها في طليعتهم ، انتصاراً للحرية والحق ، وانها بهذه الصفة يحق لها ان لا تسمح قط بمناورات ضد الامن العام التي هي مسؤولة عنه .

ايها اللبنانيون

في هذه الساعة الخطيرة من تاريخكم اجدد لكم علناً عهد فرنسة بانها لا تزال مصممة على منحكم الاستقلال التام الذي وعدتم به ، وذلك بموجب معاهدة ودية مشبعة بالثقة في حرية تامة من الفكر والعمل .

اننا نفهم امانيكم اكثر من اي كان،ونحن لا نطلب منكم الا الحكمة والتعقل اللذين بدونهما يكون كل عمل سياسي معرضاً للفشل .

وفي الظرف الحالي ارجو ان تظهروا هدوءكم ورباطة جأشكم ،وان لا تعيروا آذانكم للتهويش الذي كان حتى الآن يغدق عليكم اغداقاً . والى الثقة بانكم ستظهرون كفاءة تتناسب مع الظروف وان تقيموا بموقفكم هذا الدليل للعالم على انكم اهل لأن تصبحوا في الغد الاسياد الوحيدين لمقدراتكم.»

تعليقات الشعب على الحوادث

وتناقلت الالسنة هذه القرارات فصدقها اناس وكذبها آخرون . فقد ابوا ان يصدقوا ان رجلاً على شيء من العقل، دع عنك الاخلاق والوطنية ، يقدم على قبول الحكم في هذا الحال . وتساءل القوم حين وثقوا من انهم قد عينوه عن مدى مسؤوليته في هذا الذي جرى كله . اكان عالماً بما حصل قبل حصوله ام كان جاهلا؟ لقد وقف الرجل في جلسة تعديل الدستور موقفا معاكساً لرغبة الامة ،ساخراً بشعورها ،هازئاً بارادتها . بل هو قد سعى قبل ذلك سعياً حثيثاً لعرقلة التعديل .

اليس هو الذي جمع النواب الاثني عشر في مكتبه ليسمعوا تهديد مدير الامن العام الفرنسي غوتييه اذا لم يمتنعوا عن التعديل ؟ اليس هو على اتصال دائم برجال السلطة الفرنسية منذ ذلك اليوم ؟ فكيف يعقل ان لا يكون قد أطلعه على نياته، لا سيما وقد دعاه اليوم الى تسلم الحكم، حكم الاستعمار ؟

ان الرجل محب للكرسي حباً جنونياً . وهو رجل حقود على ما عرف عنه . وعداوته لرئيس الجمهورية عداوة زرقاء ، ولكن هل يبلغ به حقده على خصمه الى هذا الحد ؟ ان الناس يبرئونه من الاشتراك في تدبير المؤامرة . واحسن الظن به بعضهم ، ولكن ما لبث ان كذبهم نزوله الى السراي وشروعه في اقامة دعائم حكمه . لقد تعود الرجل ان يركب الكرسي بفضل حراب السنغاليين ، وها هو يصعد اليه في ظل هذه الحراب ، وها هو يمشي الى السراي على انقاض الدستور والاستقلال ، وها هو يقيم دعائم حكمه على اشلاء القتلى ودماء الجرحى من اللبنانيين الذين يصرعهم السنغاليون . [٤٤]

انباء صحيحة يذيعها راديو آخر

على ان الناس سمعوا في الساعة التاسعة والنصف راديو الشرق الادنى في يافا يذيع النبأ ، فيذكر امر الاعتقال بالتفصيل ، ويعلق عليه تعليقاً محبباً الى القلوب ، لما في النفوس .

---

(٤٤) هذا ما كان يدور على الألسنة ذلك الحين . والذي يخيل إلي ان اميل اده كان رجلاً واقعياً وحازماً ، وكان من الذين يؤمنون ان الصراع كان على المكشوف بين الانكليز والفرنسيين. ولم يكن يعتقد بوجود الروح القومية الاستقلالية . ولذا فكان يفضل انتداب فرنسة على سيطرة بريطانية، وكان من اللبنانيين المتطرفين في لبنانيتهم ويصعب عليه ان يماشي الدستوريين في نزعاتهم القومية المصطنعة على حد قوله .

لذا يمكنني ان ارجع العوامل التي أهابت بأده الى الوقوف ضد شعور البلاد العام الى ثلاثة امور:

اولاً – ايمانه بان ثورة لبنان كانت بدافع انكليزي .

ثانياً – حقده الشخصي على بشاره الخوري .

ثالثاً – اعتداده بنفسه وايمانه ان مصلحة لبنان تقضي بوجوب عقد معاهدة مع فرنسة .

وأترك للتاريخ الحكم على هذا الرجل .

كان الذين يستمعون اذاعة هذه المحطة قلائل قبل اليوم . ولكن الالسنة تناقلت تلك الاذاعة عن حوادث لبنان، فاقبل عليها الناس اقبالا كثيراً حتى بات كل لبناني يصغي اليها حين لا يكون له شاغل هامّ من شؤون الثورة . انه راديو يقول الحقيقة على الاقل ويقولها بسرعة . [٤٥] وهو فوق ذلك ميزان ، ميزان لسياسة بريطانية ، لانه يصدر عن فلسطين وتحت رقابة حكومتها الانكليزية، ولا بد ان يكون راديو لندن مشابهاً لراديو يافا في موقفه من الازمة. ولم يكذب راديو لندن ظن اللبنانيين وان كان اقل حماسة من راديو الشرق الادنى .

وأصغى الناس الى راديو مصر وهم واثقون انه لن يكون اقل حماسة ودفاعاً من راديو لندن والشرق الادنى، فصدق ظنهم .

وكانت هذه المصادر الثلاثة محط اسماع اللبنانيين مدة ايام المحنة وبعدها ، وكان اعتمادهم على الاولين لا ليعرفوا الحقائق فحسب بل ليزنوا ويتعرفوا حقيقة موقف بريطانية .

اضراب الصحافة

لعب الراديو الدور الرئيسي في نقل الاخبار لان الصحافة اضربت عن الصدور. فقد بدأ هذا الاضراب يوم تعديل الدستور ، اذ منعت دائرة مراقبة الصحف في المندوبية الفرنسية الصحف من نشر وصف الجلسة التاريخية التي عدل فيها المجلس النيابي الدستور ومنعتها من نشر نص التعديل او الاشارة اليه ولو اشارة عارضة . وقد رأت المندوبية ان بعض الصحف الوطنية قد تتخطى هذا الامر فتتحدث عن التعديل . فبعثت بمفوضي الامن العام يداهمون مكاتب الصحف وباتوا في بعضها حتى منتصف الليل . وعلى الرغم من هذه التدابير تمكنت جريدة «صدى الانصار» من الصدور خلسة حاملة نص التعديل ووصف الجلسة . فاقفلت السلطة مطبعتها وطاردت صاحبها (حسن عيتاني) تريد حبسه. وحاولت بقية الصحف ان تحذو حذوها فلم تتمكن.

---

(٤٥) أقوال العامة .

فابت – الا عدداً قليلاً منها – ان تصدر خالية من الكلام عن حادث من اخطر حوادث لبنان الوطنية ، لا سيما وهو امر داخلي لا صلة له بالشؤون العسكرية او الحربية . وفضلت الاحتجاب على السكوت سكوتاً يشبه شهـــادة الزور . وبدأ اضرابها من الحادي عشر من نوفمبر،يوم اندلعت نيران الثورة،واستمرت في اضرابها مع الامة الى ان عادت الامور الى مجاريها .

واما الصحف الـــتي لم تنضم الى الاضراب فكانت اربعاً : جريدة لا سيري وصاحبها فرنسي وهي تنطق بلسان المندوبية وتعتبر شبه رسمية ، وجريدة الاوريان الفرنسية ، وجريدة البيرق ، والبشير . وقد هاجم المتظاهرون جريدة الاوريان[٤٦] ورشقوا دوائرها بالحجارة فحطموا ابوابها ونوافذها فاحتجبت مضطرة حتى نهـــاية المقاومة وحل الاضراب . وصدرت البشير مـدة ايام الثورة والقيت عليها القنابل مرتين خلال هذه الفترة ، ولكن بعد انتهاء الثورة وبعد فوز الامة في نضالها اتخذ جماعة الاباء اليسوعيين قرارا باقفالها فاحتجبت . واما البيرق فقد صدرت في اليوم الثالث من ايام الثورة وعادت الى الاحتجاب في اليوم السابع على اثر ما كان من القاء القنابل على ادارة جريدة البشير ومطبعتها .

جريدة علامة الاستفهام

واصدر الشباب الوطني في ايام الثورة جريدة لعلهـــا اول جريدة في تاريخ الصحافة صدرت بدون اسم . فقد توجت هذه الجريدة بعلامتي استفهام فاصبح اسمها « علامة الاستفهام » ،كما انها لم تحمل اي اسم يدل على من يصدرها او ينشرهـا او ينشؤها . وحكاية هذه الجريدة ان الصحفي نعيم مغبغب اصدر قبيل تعديل الدستور جريدته « الاقدام » وحرر يوم تعديل الدستور عدداً شديد اللهجة ، وكاشف وزير الداخلية بانه يريد اصداره بدون مراقبة ، فطلب اليه كميل شمعون ان يمتنع ، لئلا يزيد الامور تعقدا . وكان في هذا العدد خبر له علاقة بالجيش فحذره احد اصدقائه

(٤٦) من الامور المستغربة ان جريدة « الاوريان » نفسها اصبحت في هذا العهد ناطقة بلسان بعض رجال العهد ...

من ملاحقة السلطة العسكرية له ونصحه بان يصدر الجريدة بدون اسم اذا كان يصر على اصدارها. فراقته الفكرة ووضع علامة استفهام محل اسم الجريدة . وفي اليوم التالي التحق صاحبها بالحرس الوطني ،فتسلم الشباب الوطني الجريدة،وتولى اصدارها على انها لسان حال الثورة .[٤٧]

ولقي هذا الشباب عقبات كثيرة ومشقه كبيرة في اصدارها ولا سيا في طبعها. وقد طبع اول عدد منها في مطبعة المعرض فعرفت به السلطة واقفلت هـــذه المطبعة . فاخذت تنتقل من مطبعة الى مطبعة في المدينة وفي الجبل،والسلطة تلاحقها وتطاردها من واحدة الى اخرى، حتى اضطرت الجمـــاعة التي تصدرها ان تلجأ الى المطابع الصغيرة، فتقلص حجم الجريدة حتى اصبح طولها لا يتجاوز خمسة وعشرين سنتيمتراً وعرضها خمسة عشر . واخيراً سدت الحيل في وجه الجماعة فلم تر بداً لحل المشكل من شراء احدى هذه المطابع ونقلها ليلا الى مـــكان بعيد عن العيون في ضواحي بيروت . وقد اضطرت جريدة الثورة للاحتجاب عن القراء يوماً واحداً ولكنها اصدرت عددين في يوم واحد .

وكان الناس يتخاطفون نسخ « ؟ » تخاطفاً ،ويتهافتون عليها تهافت الجياع على الطعام ليطالعوا فيها اخبار الثورة في العاصمة والملحقات ، وانباء الحكومة الشرعية في بشامون،واخبار المعتقلين في راشيا، وتطور الازمة يوما فيوما وصداها في الاقطار العربية وبلدان العالم مضافا اليهـــا تعليقات وارشادات ومقالات تتعلق بالثورة والخطط التي يرسمها قادة الحركة ليتبعها الشعب .

اما الكمية التي كانت تطبع منها فلم تتجاوز اربعة آلاف نسخة من العدد الواحد بسبب قلة الورق وتعذر الحصول عليه، فضلا عن غلائه وغـــلاء الطبع حتى اضطر مصدروها الى توجيه رجاء الى القراء ان يتناقلوها لكي يتسنى لاكبر عدد ممكن ان يطلع عليها . وقد بلغ ما يكلفه العدد احيانا خمسمائة ليرة كان يؤخذ معظمهـــا من التبرعات المجموعة بواسطة المؤتمر الوطني ولجـــان السيدات . وبيعت في اليومين

(٤٧) سليم ابو جمره ، وهو اليوم قائمقام راشيا، استلم تحرير جريدة « علامة الاستفهام » بعد التحاق نعيم مغبغب بالحكومة الشرعية في بشامون وكذلك انطون نبتي .

الاولين النسخة بربع ليرة لبنانية. اما في ما بعد فقد كانت توزع مجاناً لتعذر بيعها بيعا.

ونظم الشباب الوطني امر توزيع الجريدة بواسطة الكتائب والنجادة من جهة، وبواسطة جماعة « اشباح الليل » من جهة اخرى . وقد اشترك في توزيعها سيدات من « اشباح الليل » فكن يطفن ليلا من بيت الى بيت ويوزعنها تحت خطر الحكم العسكري ، تهددهن نيران السنغاليين. وبدا من شجاعة السيدات في هذا العمل ما يندر مثله حتى من الرجال .

وقد ازعجت « علامة الاستفهام » [٤٨] السلطة كثيراً اذ كانت لسان الثورة اللاهب ووسيلة من اخطر وسائل المقاومة، تغذي الرأي العام تغذية روحية فكرية، وتوجهه في كفاحه توجيهاً سياسياً محكما، وتؤمن الصلة بين القادة والشعب. وحاولت السلطة كثيراً ان تقبض على مصدريها وموزعيها لتمنع صدورها او انتشارها فلم تفلح.

ووقعت عين الجمهور ذات صباح على احد الاولاد يحمل اعداداً كثيرة من « علامة الاستفهام » المزوّرة فتهافتوا عليه وتخاطفوها منه. ولم تمض دقائق حتى ثار الغضب في أفراد هذا الجمهور واخذوا يفتشون عن ذلك الموزع فلم يجدوه، فصبوا غضبهم عليه لعنات ، وطفقوا يمزقون الجريدة التي في ايديهم ويدوسونها بارجلهم .

هل خانت « علامة الاستفهام » الثورة ؟ ان السلطة تريد ان توصل الى القراء وجهة نظرها وتحمل الى الشعب دعاياتها المعاكسة للحكومة الوطنية. وقد نبذ الشعب الصحيفتين او الثلاث التي ظلت تحاول الصدور بين يوم وآخر. واتصلت السلطة باصحاب الصحف المحتجبة وهي تتجاوز الاربعين بين يومية واسبوعية في بيروت وحدها، وحاولت اقناعهم باصدار جرائدهم، وبذلت لبعضهم الوعود المغرية والاموال الوفيرة التي بلغت بالنسبة الى جريدة نصف اسبوعية خمسة آلاف ليرة دفعة اولى على الحساب. ولكن اصحاب هذه الصحف ابوا اصدارها تمسكاً بالاضراب العام الشامل الذي كان وجهاً من وجوه الثورة الوطنية . فما الحيلة اذن ؟ ان الجمهور لا يثق الا بعلامة الاستفهام ولا يتعرف الا اليها ، بل هو لا يرضى ان تصدر جريدة غيرها، فاذا اصدر غيرها اعمل بها وفي الموزع تمزيقا . فلجأت السلطة الى اصدار جريدة

(٤٨) راجع مجموعة الوثائق في آخر الكتاب .

توجتها بعلامة استفهام .

مذكرة مزورة : [٤٩]

وفي اليوم التالي لصدور هذه الجريدة نشرت « علامة الاستفهام » الاصلية كلمة عن علامة الاستفهام المزورة تقول فيها انها مضطرة لاتخاذ علامة فارقة بارزة لا تستطيع السلطة تزويرها وهي وضع عبارة « ليسقط اميل اده الخائن » الى جانب علامة الاستفهام بحروف ضخمة .

وهكذا اصبح الناس يميزون بين الجريدتين بهذه العلامة الفارقة .

واصدرت السلطة في الوقت نفسه نسخة فرنسية تحمل علامة الاستفهام ايضاً . وكانت هاتان الجريدتان تطبعان في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين طبعاً متقناً على ورق ممتاز ، وتوزعان بكثرة وافرة في كل انحاء لبنان ، وتحملان حملة شعواء على الحركة الوطنية ورجالها، وعلى الانكليز والاميركيين ومحطات الاذاعة المختلفة ، ولا سيما محطات لندن والشرق الادنى ومصر ، وعلى الصحافة العربية وعلى الصحافة الانكليزية والاميركية .

واصدر بعض الموظفين اللبنانيين نشرة باللغة الفرنسية تطبع على الآلة الكاتبة يردون فيها على علامة الاستفهام الفرنسية — الفرنسية لغة وسياسة .

ومنعت السلطة صحف مصر وفلسطين والعراق من دخول لبنان فلم يصل منها الا بضع نسخ نادرة بطريق التهريب .

ولكنها لم تستطع ان تمنعها من ان تثير مصر والعراق وسائر العالم العربي .

(٤٩) راجع مجموعة الوثائق في آخر الكتاب .

٤ . البلاد ترفض التعاون مع اده

●

اده يحاول تأليف حكومة

وكانت الساعة العاشرة من صباح الخميس حين نزل اده الى سراي البرج وركب سيارته والى جانبه الكولونيل اللبناني سليمان نوفل وامامه رجل شاهر مسدسه [٥٠] يتطلع يميناً وشمالاً يفتش عمن يفرغ فيه رصاصه، وتقدمت سيارة اميل اده مصفحتان وبضع دراجات بخارية وتبعتها سيارة تحمل رجالاً شاهري المسدسات وخلفهم سيارتان مصفحتان . واما سرعة هذه السيارات فكانت سرعة البرق الخاطف . واستقبله عند باب السراي انفار من الدرك مع بضعة موظفين صفقوا له وزادت حراسته عن هذا القدر في الايام التالية عند نزوله الى السراي وعودته منها .

وشرع اده في محاولته لتأليف وزارة ، فالتفت الى النواب اولا ليؤلفها منهم فيكون اشتراكهم فيها تأييداً له من جهة واقراراً لحل المجلس من جهة اخرى . اتصل بعبد الله اليافي فأبى . وبجبرايل المر فأبى . واسمع الذين خابروه كلاماً قاسياً . ثم اتصل بعبد الله بيهم وبعمر الفاخوري من غير النواب فرفضا . واتصل بجواد بولس واسعد البستاني وسواهم ليكونوا وزراء فرفضوا وخاطب احمد الحسيني فاشترط تأليف وزارة برئاسة مسلم سني .

لقد تلفت نحو النواب ليؤلف وزارته فاخفق وتلفت نحو الحياديين فاخفق

(٥٠) الكومندان نسيب دحروج .

وحاول ان يؤلفها من المعتدلين فلم يفلح، وحاول ان يؤلفها من الموظفين فلم يتمكن، حتى ان اصدقاءه ومشايعيه وأفراد حزبه رفضوا ان يشتركوا في حكومته عن قناعة او عن حكمة [٥١] .

وكانت الامة تتابع محاولة اده لتأليف وزارته بقلق . وكان الشباب الوطني يتتبع هذه المحاولة ويقاومها بيقظة ودقة . فكان لا يعلم بدعوة احد حتى يسرع اليه ويناشده الأصفاء لضمير الامة . بل كان يسبق الحوادث فيقصد اولئك الذين قد يُستدعون فيأخذ عليهم العهود والمواثيق. ولم يطمئن بال الامة حتى اذاع راديو الشرق في اليوم الثالث مرسوماً جديداً من اده يغير فيه شكل الحكم الذي وضعه منذ ايام ثلاثة فقط ، ويقضي بتأليف الحكومة من مجلس يضم المديرين وبعض كبار الموظفين بدل تأليفها من مجلس الوزراء [٥٢] . وهكذا بدأت تنهار الاسس التي وضعها المندوب الفرنسي لتثبيت الاستعمار مرة اخرى في لبنان. وكان اول ما انهار منها شكل الحكم الذي وضعه .

تأليف حكومة من المديرين

وشرع اميل اده في تأليف حكومته على الاساس الجديد، فاستدعى اليه المديرين وابلغهم امر تعيينهم اعضاء في الحكومة، فاذا بعضهم يرفض قبول التعيين، واذا البعض الآخر يرفض حتى مقابلته، وكان الرافضون : جوزف شعون مدير المعارف العامة ، اشرف الاحدب مدير الاشغال العامة ، اندره تويني مدير التموين، راشد طباره مدير التجارة والصناعة ، وحليم نجار مدير الزراعة . وقد هددهم اميل اده بالعزل فلم يعبأوا واجابوا : ليس عزلنا ولا تعييننا من شأنك وانما هو من شأن الحكومة الشرعية ولا نعرف غيرها حكومة لنا نتقيد باوامرها . ولكن اميل اده الذي سمع هذا الرفض لم يتورع عن ان ينشر في اليوم التالي تأليف مجلس الحكومة ويذكر فيه اسماء هؤلاء الخمسة وقد نشره بواسطة راديو الشرق في بيروت فاضطر

(٥١) انظر اوجيني ابو شديد ص٩٤ .
(٥٢) انظر مجموعة الوثائق في آخر الكتاب .

هؤلاء المديرون الى تكذيبه بالوسيلة الوحيدة الممكنة في تلك الايام وهي ألسنة الناس ، وكتبوا بذلك رسالة الى الحكومة الشرعية في بشامون [٥٣] .

وكان فوزاً للحركة الوطنية زادها قوة وعناداً . لانها المرة الاولى التي يسجل فيها تاريخ لبنان ان احداً من ابنائه حاول تأليف حكومة فاخفق لان الشعب لا يريد . وقد صرّح اميل اده قائلاً :

انني استلم الحكم في الظروف العصيبة هذه ولا اقوم بهذه المسؤولية الا لمصلحة لبنان . انا اطلب الى الشعب ان يثق بي وان يحتفظ بهدوئه . ان جميع التدابير لصيانة الامن قد اتخذت والذين يحاولون تعكير صفوه يتعرضون لاشد العقوبات [٥٤] .

وكذلك فقد تلقى برقيات تهنئة من المطران بولس عقل، ومن مختلف جهات البلاد [٥٥] .

وتساءل الناس متعجبين : لماذا لم يعتقل الفرنسيون الوزيرين حبيب ابو شهلا ومجيد ارسلان ؟ ... والاول نائب رئيس الوزارة والثاني وزير الدفاع ، وقد اشترك كلاهما في جميع المقررات والاعمال التي قامت بها حكومة رياض الصلح ، وكان شأنهما فيها شأن زملائهما المعتقلين .

ماذا فعل حبيب والامير مجيد ؟ بل ماذا فعل في ذلك اليوم العصيب جميع الرجال المسؤولين الذين ندبتهم الامة ممثلين لها ووكلت اليهم شرف الدفاع عن حرياتها ؟ واي مسلك سلكوه بينما كان الشعب اللبناني يكتب بدم الشهداء اول سطر مشرق في تلك الصفحة الحمراء ؟

تلفّت الناس الى الوزيرين الطليقين، والى مجلس النواب ورئيسه ، فاذا هم جميعاً منذ الدقيقة الاولى في طليعة المجاهدين ، واذا الأمانة التي حملوهم اياها ترتفع بهم الى الذروة وتهيب بهم الى القيام بواجبهم الوطني في غير تردد ، بل في كثير من السرعة والحزم والجرأة .

لقد كان وعي الناس عجيباً في ذلك اليوم . الكبير والصغير يقول ان على

---

(٥٣) راجع مجموعة الوثائق في آخر الكتاب .

(٥٤) انظر البشير تاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ العدد ٦٩٨١.

(٥٥) انظر البشير عدد ٦٩٨٧ تاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

حبيب ومجيد ان يؤلفا الحكومة الشرعية ، وجميع الناس يتساءلون ويتناقشون اينزلان الى السراي ام لا ينزلان؟واعتقد انصار فكرة النزول انهما كانا يستطيعان ان يقبضا على زمام الدرك والشرطة فيقاوم رجالها تحت قيادتهما ، ولكن رجحت كفة الامتناع عن النزول [٥٦] .

اما الجواب على اسئلة اللبنانيين فنراه في هذه الكلمات التالية :

في الساعة السادسة من ذلك الصباح ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، طرق القائد نورالدين الرفاعي مدير الشرطة العام بيت صبري حماده رئيس مجلس النواب ، وقال له : ان الكولونيل سليمان نوفل قائد قوى الأمن العام الداخلي (الدرك والشرطة) قد اوفدني اليكم، لأنبئكم باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة وفريق من الوزراء، ولأقول لكم انه يعتبركم ممثل السلطة الوحيد في غياب رئيس الدولة والحكومة وهو ينتظر أوامركم ، فأجابه رئيس المجلس: أبلغ الكولونيل نوفل انني ذاهب من فوري الى منزل رئيس الجمهورية ثم الى دار البرلمان وسأبلغه أوامري بعد فترة وجيزة [٥٧] .

---

(٥٦) نصح الجنرال سبيرز بقايا الحكومة بعدم النزول للسراي خوفاً من ان يختطفهم الفرنسيون.

(٥٧) لا بد لي من وقفة امام قضية اكتنفها الغموض فاحاول ان اوضحها خدمة للتاريخ وانصافاً لرجل لحقته اهانات وألصقت به أشد أنواع التهم عنيت به سليمان نوفل قائد قوى الامن الداخلي في تلك الايام . فقد قيل انه كان عالما بما يبيته الفرنسيون وانه اشترك في المؤامرة والاعتقال .

وقد قمت بتحقيق دقيق فتبين لي ما يلي :

في الساعة الخامسة والنصف من صباح ١١ نوفمبر، يوم الاعتقال ، كان الكولونيل نوفل نائماً في بيته عندما أيقظته امرأته قائلة : الباب سوف ينكسر من شدة الضرب عليه فقام الكولونيل وفتح الباب فوجد عارف ابراهيم معاون مدير الشرطة مضطرباً واخبره بالحادث العظيم . ولما أراد الكولونيل الاتصال بقيادة الدرك وجد التلفون مقطوعاً فارسل عارف ابراهيم الى الآلاي ثم ذهب الى هناك واعطى اوامره ووزع السلاح على الجند ثم ارسل نورالدين الرفاعي ليعلن صبري حماده ان نوفل ينتظر أوامره كما سبقت منا الاشارة . وبعدئذ استدعاه رئيس اركان حرب القيادة الفرنسية الى غرفة بوغنو وقال له :

أتريد ان تطيعنا أم لا ؟

فأجابه نوفل : انني عسكري أولاً ، واذا كانت الاوامر لا تتعدى مهمتي فانا مجبر على تنفيذها . فقال رئيس اركان الحرب : انني اصادرك ! فاجاب نوفل : أنا انفذ امر المصادرة . وبعد الجلسة الخاطفة اختلى به رئيس الغرفة السياسية المسيو بوغنر وأخبره ان الاوامر كانت صادرة بتوقيفه لكن

وقصد رئيس المجلس الى بيت رئيس الجمهورية فوجد هناك حبيب ابو شهلا نائب رئيس الوزارة – وزير العدلية والتربية الوطنية،ومجيد أرسلان وزير الدفاع الوطني والزراعة والصحة والاسعاف العام، وبعض النواب ، وجمهوراً كبيراً من الناس . وكان الجميع مقبلين على السيدة عقيلة الرئيس يسألون تفاصيل الاعتقال ، وقد ساور الجميع القلق على الرئيس وصحبه . ذلك ان الشائعات المتضاربة كانت تملأ المدينة ، فقيل ان الفرنسيين أرسلوا المعتقلين في غواصة الى الجزائر ، وقيل انهم نفوهم الى القامشلي في شمالي سورية ، وقيل انهم زجوا بهم في إحدى قلاع لبنان .

ولم تنتصف الساعة السابعة حتى امتلأت الدار على رحبها بالوافدين عليها ، وغصت الشوارع المحيطة بها بجمهور صاخب، يهتف بحياة المعتقلين ويتظاهر ويطالب بعودة زعمائه . فخرج رئيس المجلس والنواب والوزيران الى الشرفة وخطب حبيب ابو شهلا في الشعب خطبة حمل فيها حملة شعواء على الذين اعتدوا على الدستور واستهانوا بالحريات،وخرقوا حرمة المنازل،وروعوا النساء والأطفال، ودعاالشعب الى التمسك برئيس البلاد وبرلمانها وحكومتها الشرعية وإسقاط الخونة. وقد تركت كلماته في الشعب موجة من الحماسة لم ير لها لبنان مثيلاً من قبل .

رئيس اركان الحرب قد شفع به . لذلك رجاه ان لا يخالف القوانين وان يقوم بمهمته العسكرية المطلوبة منه . فأجاب نوفل ان الدرك والبوليس تحت تصرفي وأنا ارفض استعمالهما لاي هدف سياسي . وان مهمتي هي المحافظة على النظام فقط .

فقال : يجب عليك ان ترافق الرئيس اده وتطيع اوامره .

هذا ما كان من امر الفرنسيين مع نوفل .

ويضيف نوفل قائلاً : ان موقفي كان حرجاً للغاية وانني كنت بين هذه الامور:

اولاً – لو انني تمارضت لكنت جباناً لتهربي من المسؤولية ولأصاب الدرك الفوضى .

ثانياً – لم يكن لدي سلاح كاف لمقاومة فرنسة عدا عن كون مهمتي كانت حفظ النظام لا محاربة جيوش محتلة خصوصاً وان قوى الدرك ليست قوى حرب .

ثالثاً – كانت حياة المعتقلين في راشيا في خطر وعرضة للانتقام لو كان موقفي غير ذلك الموقف، خصوصاً وان اتفاق عكا بتاريخ ١٤ تموز عام ١٩٤١ ينص على وجوب وضع البلاد تحت الاشراف العسكري الفرنسي بقيادة عامة للجنرال ويلسون قائد الجيش التاسع الانكليزي .

المؤلف : أترك هذه القضية للتاريخ يصدر حكمه بشأنها .

المجلس والحكومة الشرعيان يشرعان في العمل

بعد ان فرغ حبيب ابو شهلا من خطبته ، دخل إحدى غرف الدار مع زميله أرسلان حيث كان رئيس المجلس قد سبقهما مع النواب الحاضرين ، فعقد الجميع جلسة وضعت فيها خطة العمل المشترك . وفي ذلك الاجتماع تقرر ان تمضي الهيئتان التشريعية والتنفيذية في عملهما ، وان يقوم مجلس الوزراء مقام رئيس الجمهورية المعتقل ، عملاً بالمادة الثانية والستين من الدستور ، وان يضطلع الوزيران الطليقان وكالةً بأعباء الوزارات التي اعتقل وزراؤها ، كما تقرر ان تقود الحكومة الشرعية الشعب اللبناني في جهاده ، وتخابر باسمه الدول العربية والأمم الديمقراطية [٥٨] .

ونشط المجتمعون الى العمل حالاً على تنفيذ القرارات الخطيرة التي اتخذت في ذلك الاجتماع ، فانصرف أبو شهلا الى وضع صيغة المرسوم والى كتابة مذكرة احتجاج شديدة الى سفير فرنسة، جان هلو ، ومذكرات أخرى الى ممثلي دول الأمم المتحدة والأقطار العربية الشقيقة [٥٩]. وغادر المنزل رئيس المجلس وزملاؤه والنواب قاصدين الى دار النيابة ، فبلغوها في منتصف الساعة الثامنة ، ووجدوا امين سر المجلس العام [٦٠] وبعض موظفي المجلس في انتظارهم هناك .

انعقاد المجلس النيابي

ولحظ الرئيس عدم وجود أحد من أفراد القوة التي تحافظ عادة على دار البرلمان، غير ان قائد قوة شرطة المجلس كان حاضراً [٦١] ، فكلفه الرئيس ان يتصل بمدير الشرطة العام ويطلب اليه إيفاد خمسة عشر شرطياً الى المجلس . فذهب القائد بنفسه الى مدير الشرطة ، وأبلغه الأمر ثم عاد بعد هنيهة يقول ان مدير الشرطة اتصل بالكولونيل نوفل وأبلغه أمر الرئيس فطلب الكولونيل أمراً خطياً ، فكتب الرئيس أمراً خطياً حمله الى مدير الشرطة رسول خاص ، فلا الرسول عاد ، ولا

(٥٨و٥٩) انظر مجموعة الوثائق في آخر الكتاب.

(٦٠) خليل تقي الدين وهو اليوم وزير لبنان المفوض في موسكو.

(٦١) حليم غرغور وهو اليوم مفوض في السياحة والاصطياف وقد كان موقفه خلال الازمة مشرفاً

الشرطة جاؤوا ، وظل المجلس بلا حراسة .

وفي الساعة الثامنة وجه الرئيس دعوة خطية الى النواب لعقد جلسة مستعجلة ، حدد موعدها في تمام الساعة العاشرة من ذلك النهار نفسه ، وحمل اوراق الدعوة حجاب المجلس وبعض موظفيه ، وراحوا يطوفون على منازل النواب ليبلغوهم اياها، وكانت الجماهير قد احتشدت في ساحة البرلمان والشوارع المحيطة به ، وهي تهتف هتافات عالية متصلة بحياة المعتقلين (بدنا بشاره – بدنا رياض) .

وكان رئيس المجلس والنواب القلائل الذين في داخل المجلس ، يطلون من نوافذ مكتب الرئيس على الشعب الهائج ، فيحييهم ويهتف لهم ، ثم يقبل على النوافذ يريد ان يتسلقها ، لينفذ الى داخل المجلس ، فيطلب اليه النواب ان لا يفعل ليفسح لهم مجال العمل ، فيرتد الشعب ويذعن لما يريد نوابه . وفي احدى هذه المرات ، حين اقترب المتظاهرون كثيراً من نوافذ مكتب الرئيس ، لمح بعضهم صورة اميل اده معلقة على الحائط مع صور رؤساء الدولة السابقين ، فأخذ الجمهور يطالب النواب بان يرموا بالصورة اليه، فانتزعها احد النواب من مكانها ، وقذف بها الى الشارع فتلقفتها مئات الايدي ، واعملت فيها تمزيقاً وتحطيماً ، واخذت تتناثر قطعاً .

نائب يدخل المجلس من النافذة

في تلك الساعة اقبل الجنود السنغاليون ، وشرعوا يطوقون المجلس ويحولون دون دخول احد اليه . ورابط عدد كبير منهم ، بادىء ذي بدء ، امام الباب الكبير ، ووضعوا جنـــدياً تحت كل نافذة ليمنعوا كل اتصال بين المتظاهرين والنواب . واقبل سعدي المنلا نائب طرابلس ، واراد الدخول من الباب الكبير، فمنعه السنغاليون،فاشار عليه الجمهور ان يدخل من النافذة الى مكتب الرئيس مباشرة. ولما رأى النواب ، من داخل المجلس ، زميلهم قرب النافذة يهم بتسلقها ، اشاروا على الشعب ان يحمله على الاكتاف ، فاندفع الجمهور وحمل النائب على المناكب ، ورماه رمياً على حديد النافذة فتعلق النائب بالحديد بكلتا يديه، واصبح نصفه داخل المكتب ونصفه خارجه . وفي تلك اللحظة ، هجم الجندي المكلف بحراسة النافذة

على النائب ، يريد به شراً او يريد ان يحول بينه وبين الدخول ، وصوب اليه رأس الحربة المركزة في فوهة البندقية ، فيا لها من دقيقة حرجة ، رأى النائب الموت فيها بعينيه . وفجأة شق الجمهورَ فتى مفتول الساعدين ٦٢ ، ووثب عـــلى الجندي واخذ عنقه بكلتا يديه ، فكان يدقها بينما كان النواب يجذبون اليهم زميلهم .

ومنذ تلك الساعة اطلق على النافذة اسم « شباك سعدي المنلا » ، وهو الاسم الذي اصبحت النافذة تعرف به في دار البرلمان .

وكانت هذه الحادثة كافية لتنبيه الفرنسيين ان يضاعفوا الحراسة على البرلمان ، فطوقه الجنود السود تطويقاً تاماً محكماً ، ومنعوا اياً كان من الدخول اليـه . فكان النواب الذين تلقوا الدعوة الى عقد الجلسة ، يصلون الى دار النيابة فيحول الجند بينهم وبينها فيرتدون عنها ٦٣ ، ثم يذهبون الى دار رئيس الجمهورية . واما النواب الذين في داخل البرلمان فكانوا سبعة : الرئيس صبري حماده والنواب هنري فرعون ، صائب سلام،رشيد بيضون، مارون كنعان، محمد الفضل ، سعدي المنلا.

مذكرة احتجاج يحملها الرسول في حذائه

ولما فقد رئيس المجلس كل امل بالاتصال بالخارج ، دعا النواب الستة الى الاجتماع في قاعة الجلسات الكبرى ، حيث انصرفوا جميعاً الى وضع مذكرة شديدة . فلما انتهوا من وضعها وتوقيعها في جو من الحماسة ، نادى الرئيس مرافقه الخاص ، وهو شرطي امين لم يترك سيده لحظة ، وسلمه اربع نسخ منها ليوصلها الى سفيري بريطانيا العظمى ، والولايات المتحدة ، وممثلي مصر والعراق ، فخلع الشرطي حذاءه ووضع المذكرة في داخل الحذاء وخرج من باب البرلمان الكبير فلم يعترضه الجنود وقد رأوا بزته الرسمية .

وكان النواب وهم يعملون داخل البرلمان ، يسمعون ازيز الرصاص في الخارج

(٦٢) حسين السجعان وهو اليوم يمتهن التجارة في بيروت .

(٦٣) أراد الجند الفرنسي ان يمنع النائب رشيد بيضون من الدخول الى قاعة البرلمان لكنه استطاع ان يدخل الى المجلس بعد ان ضرب الجندي وبعد ان تجمهر الناس لمساعدته.

وهتاف الجماهير فيقتربون من النوافذ ليروا ما يجري ، ولكن العبيد كانوا كلما رأوا نائباً مطلا من النافذة صوبوا اليه البنادق وهددوه باطلاق النار ، فيرتد النائب الى الوراء ، ويحتمي بأعمدة البرلمان ليرى من غير ان يكون هدفاً لرصاص السنغاليين . ولم تكد تبلغ الساعة الحادية عشرة ، حتى كانت البنايات الكبيرة المواجهة لدار البرلمان قد تحولت الى ثكنات عسكرية ، حشد فيها الفرنسيون عدداً كبيراً من الجنود وركزوا على سطوحها المدافع الرشاشة .

العلم اللبناني الجديد يتحرر من الالوان الفرنسية

وفجأة ارتفع صوت احد النواب في أروقة المجلس ، يدعو زملاءه الى دخول قاعة الاجتماع لأمر خطير . وكان الرئيس على كرسيه هادئاً كعادته — فلما عقد الاجتماع ، وقف النائب واقترح تغيير العلم اللبناني وتحريره من الألوان الفرنسية ، كما حرر الدستور من كل أثر للانتداب [٦٤] . فضج الحاضرون بالهتاف والتصفيق . وكانت فكرة تغيير العلم ، مختمرة في رؤوس اللبنانيين ، فضلاً عن ان الحكومة في بيانها أشارت الى عزمها على تنفيذها . وخشي النواب ان يدهمهم الوقت ، او يدخل عليهم العبيد ، فاشتركوا جميعاً في تنفيذ الاقتراح . وقر رأيهم على جعل العلم أرزة لبنانية خضراء في بياض محفوف بالأحمر القاني ، رمزاً الى الدم الطاهر البريء المسفوك في سبيل الحرية والاستقلال . وما هي الا هنيهة ، حتى وضعت صيغة الاقتراح بتعديل المادة الخامسة من الدستور . وجيء بقلم رصاص أحمر وأخذ النائب سعدي المنلا مهمة رسم العلم الجديد . ولم يجد النواب قلماً أخضر ، فرسموا الأرزة بالقلم الرصاصي العادي ، ثم وقعوا بامضاءاتهم على الرسوم وعلى الاقتراح . ووقف الرئيس ووقفوا ، وأقسم الجميع على ان تكون هذه الألوان علماً للبنان المستقل ، وان يطلعوا بها على الأمة حالما تسمح الظروف ليصير تقريرها في أول جلسة يعقدها البرلمان . وتفجرت العواطف في الصدور ، فراح النواب يهنيء بعضهم بعضاً ويتعانقون .

(٦٤) انظر رسم العلم اللبناني الجديد في أول هذا الكتاب .

وفيما يلي نص المذكرة التاريخية [٦٥] :

ان رئيس مجلس النواب، قد وجه الى اعضاء المجلس في الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس الواقع في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ تحت رقم ١٩٣، دعوة الى عقد جلسة مستعجلة ، فمنع الجنود الفرنسيون الذين طوقوا البرلمان باسلحتهم الكاملة ومعداتهم الحربية ، النواب الشرعيين الدخول الى بناية البرلمان.

لذلك فان النواب الموقعين ، الذين تمكنوا من الوصول الى المجلس يعتبرون انهم ينطقون باسم المجلس كافة الذي انتخب فخامة الشيخ بشاره الخوري رئيساً دستورياً شرعياً للجمهورية اللبنانية بالاجماع، والذي منح حكومة دولة رياض الصلح ثقته بالاجماع ، والذي عدل الدستور اللبناني بما يتفق مع كرامة الامة بالاجماع — ان هؤلاء النواب المجتمعين برئاسة فخامة صبري حماده رئيس المجلس ، قد وقفوا على الاعتداء الغاشم والتدابير المستنكرة التي اقدم عليها جنود فرنسيون مسلحون في ليل ١٠—١١ تشرين الثاني على اشخاص فخامة الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية المعظم ودولة رياض بك الصلح رئيس الوزراء واصحاب المعالي الوزراء ، واقتحام هؤلاء الجنود المسلحين منازل رؤساء الامة ووزرائها الشرعيين، وترويع نسائهم واطفالهم، مما تستنكره مدنية القرن العشرين، وهم اذ يحتجون بشدة وعنف على هذا التدخل الفاضح، من قبل الجنود الفرنسية الغاشمة، ومن ورائها من الآمرين ضد الدستور ، وممثل الدستور، ويعتبرون ان الدستور قائم ، وان البرلمان يمثله تمثيلاً شرعياً ، رغم اعتداء المعتدين ، وان السلطات الفرنسية والجنود الفرنسية المسلحة ، اقدمت على هذه الاعمال المستنكرة يقابلها النواب بالاستفظاع والتقبيح ، ويرسلون هذه المذكرة الى الدول الحليفة العظمى التي اعلنت استقلال لبنان وضمنته، ويتوجهون بها الى البلدان العربية الشقيقة التي اعترفت بهذا الاستقلال . وفي هذه الدقيقة ، التي يوقع فيها رئيس المجلس والنواب الذين تمكنوا من الحضور هذه الوثيقة ، قد صدرت اوامر لا نقرها باخراجنا من البرلمان . وسنبقى هنا ولن نخرج الا بقوة السلاح ، ونحن نضع هذه الوثيقة بين ايدي حكومة الولايات المتحدة وبريطانية العظمى وجمهورية روسيا المتحدة ، وبين ايدي اخواننا في الاقطار العربية وملوكهم ورؤسائهم وحكوماتهم .

حررت هذه المذكرة في قاعة اجتماع مجلس النواب برئاسة فخامة صبري بك حماده رئيس المجلس وحضور النواب الآتية اسماؤهم الموقعين : سعدي المنلا نائب الشمال، هنري فرعون نائب البقاع، صائب سلام نائب بيروت، مارون كنعان نائب لبنان الجنوبي، محمد الفضل نائب لبنان الجنوبي ، رشيد بيضون نائب لبنان الجنوبي .

وقد قام باعمال امانة السر الشيخ خليل تقي الدين امين السر العام لمجلس النواب .

تحريراً في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة الف وتسعماية وثلاث واربعين .

سعدي المنلا	هنري فرعون	صائب سلام
رشيد بيضون	محمد الفضل	مارون كنعان

رئيس مجلس النواب
صبري حماده

(٦٥) انظر مجموعة الوثائق في آخر الكتاب .

نحمه هنا بارادة الشعب

وعند الساعة الثانية بعد الظهر ، اقتحم الجنود البرلمـــان . ويظهر ان السلطة الفرنسية ضاقت ذرعاً بوجود النواب في داخله وأدركت ان بقاءهم فيه رمز لمـــا يجب ان يكون في بلد مستقل ، يحمي حرمة الدستور . فقررت اخلاء البرلمان بعد ان حاصرته ست ساعات . وسمع النواب وقع خطى السنغاليين ترن في اروقـــة المجلس الخالية ، فأخذ كلٌ مكانه واستوى الرئيس على كرسيه . وذكر النواب في تلك اللحظة كلمة ميرابو الشهيرة لرسول الملك — اذهب وقل لسيدك اننا هنـا بقوة الشعب ولن نخرج الا على رؤوس الحراب . والتفت بعضهم الى بعض وقالوا : ويزعمون مع ذلك ان ميرابو كان فرنسياً ! ؟ ! [٦٦] ، ودخل القاعـــة نحو عشرين جندياً ، يتقدمهم ضابط شاهر مسدسه ، فلم يتحرك الرئيس ولا تحرك احـــد من الاعضاء . فلما توسطوا القاعة صاح الرئيس بالقائد قائلًا : من أذن لك بالدخول على رئيس مجلس نواب لبنان وممثلي الشعب تحت قبة البرلمان ؟ قال القائـد : يا حضرة الرئيس ، لدي أوامر تقضي باخلاء البرلمان، فأرجو منكم ان تساعدوني على تنفيذها. قال الرئيس : اننا لا نذعن لامر أحد ، فنحن في بلد مستقل ، ولا شأن لـكم معنا فعد من حيث اتيت . فكرر القائد قوله : يا حضرة الرئيس انني جندي وعـلي ان أطيع الاوامر . وقد أبلغتكم اياها . فأجاب الرئيس : اننا هنا ولن نخرج من هذه القاعة بمحض ارادتنا فافعل ما تريد . قال القائد : فستخرجون اذن بالقوة . واشار على الجنود ، فأكره رئيس المجلس والنواب والموظفون على الخروج عنوة، فلمـــا بلغوا بهم الباب الكبير خلوهم وشأنهم ، بعد ان اقفلوا وراءهم الباب الحديدي الكبير .

موكب كرامة وعزة

وما كادت الجماهير المحتشدة حول البرلمان ، منذ الصباح ترى الرئيس والنواب، حتى سارت وراءهم في مظاهرة صاخبة وهتافات متعالية بحياة نواب الامة والمعتقلين،

(٦٦) من حديث لمحمد الفضل احد النواب الذين حضروا تلك الجلسة التاريخية مع المؤلف .

واخترق الموكب شوارع بيروت في طريقه الى بيت بشارة الخوري ، والهتافات تشق عنان السماء ، فكانت النسوة يطللن من الشرفات وينثرن على النواب الزهور ويصفقن لهم طويلًا .

كانت دار رئيس الجمهورية مكتظة بالخلائق . الغرف والممرات والحديقـــة والشوارع تعج بالناس من ساعة الى ساعة ، تطالب الجماهير بسماع صوت الامـــة فيخطب فيها وزير او نائب او شاب او طالب والنفوس ثائرة والمدينة تغلي كالمرجل. وها هم النواب وقد وصل رئيسهم يجتمعون في احـــدى الغرف بالرئيس ابي شهلا وزميله الامير ارسلان .

وفي الدار سبعة عشر نائباً كلهم ناشط يعمل ، ولكن الاكثرية لم تتم بعـد ، ويجب ان تتم . لذلك اخذ النائبان المر ووديع الاشقر على نفسيهما مهمة جمع سائر النواب ، فغادرا منزل الرئيس، وراحا يطوفان على منازل زملائهم. واخذ الرئيس ابو شهلا يطلع النواب على المذكرات التي ابلغهـا ، والمرسوم الذي اتخذه ، وما تنوي الحكومة ان تقوم به من اعمال [٦٧] .

استنفار الضغط على بيت الرئيس

ولكن بينما كان كل ذلك يجري ، كانت السلطة الفرنسية تركز المدافع الرشاشة على سطوح المنازل المجاورة لمنزل رئيس الجمهورية وتصوبها اليه . وكانت طلقات الرصاص تلعلع في فترات جد مقتربة . وفجـأة حوالى الساعة الرابعة مرت سيارة عسكرية فرنسية فيهـــا ضابط وثلاثة جنود ، فوقفت هنيهة امام البيت، وصوب الجنود مسدساتهم الى حديقة منزل رئيس الجمهورية المكتظة بالنـاس ، واطلقوا الرصاص على الجمهور فسقط ثلاثة شبان ، حملوا حالاً الى داخل المنزل ، وهربت السيارة العسكرية لا تلوي عـــلى شيء ، لكنها قبل ان تمضي اطلق عليها احـــد المتظاهرين ست طلقات نارية من مسدسه فقتل احد الجنود من راكبيها [٦٨] ، وبين

(٦٧) راجع مجموعة الوثائق في آخر الكتاب.

(٦٨) عندما اطلق الجند الرصاص على الحشد الموجود داخل القصر صاح مجيد ارسلان قائلًا :

الجرحى الثلاثة الذين حملوا الى بيت رئيس الجمهورية فتى شاحب اللون لا تزيد سنه على العشرين . ان دمه ينزف بغزارة ، وقد لطخ السلالم وانتشر على المقعد الحريري الذي اجلس عليه . لقد اصيب الفتى برصاصتين في بطنه . الحضور يصيحون باعلى اصواتهم : طبيب . طبيب . تقدم ثلاثـــة اطباء واخذوا يسعفونه ، واخيراً جيء بسيارة احد النواب ، فحملت الجرحى الثلاثة الى المستشفى الوطني ، لكن الفتى قضى في الطريق .

انتقال الحكومة والمجلس الى دار سلام

تحرجت الحالة واشتدت خطورتها في بيت الرئيس بعد هذه الحادثة ، ولا سيما بعد مصرع الجندي الفرنسي ، وخشيت الحكومة والنواب ان يداهم الجنود المنزل ، فقرروا الانتقال الى نقطـة اقل تعرضاً للخطر . ووقع الاختيار على دار النائب صائب سلام ، وتواعد الوزيران والنواب على الالتقاء فيه بعد نصف ساعة ، على ان يذهبوا فرادى او اثنين اثنين ، لـكي لا يثيروا الشبهات . لكن من يخرج من الدار الآن ، يتعرض لرصاص الجند . ولم تمض نصف ساعة ، حتى كان النواب يلتقون والحكومة في دار سلام الرحبة ، فيستقبلهم اصحابها والجماهير المحتشدة فيها بالتهليل والهتـــاف ، وقد التقوا في طريقهم الى الدار ، ببضع تظاهرات كانوا يتحاشونها حتى لا يلفتوا اليهم الانظار . وكان يوجد في كل طريق كمين للجنود ، وفي كل منعطف او سطح بيت وكر للمدافع .

وفي دار سلام ، وضع محضر اول جلسة عقدها مجلس النواب في ابان الثورة خارج الندوة النيابية . وليس في الدستور نص يحول دون اجتماع المجلس في اي مكان كان ، سواء داخل البلاد اللبنانيـة او خارجها ، تحت قبة البرلمان ، او قبة السماء . ووقع المحضر عدد من النواب زاد عن الاكثرية النيابية المطلوبـة ، وهي

ألا يوجد رجل في هذا الجمع يدافع عن كرامتنا؟ فاندفع شابان احدهما اديب البعيني وخرجا شاهرين مسدسيهما يطلقان الرصاص على الفرنسيين الذين ولوا الادبار بعد ان خلفوا وراءهم قتيلاً . وقد حرم هذان البطلان فيما بعد من وسام الجهاد الذي اغدق على المحاسيب والمنحنثين !!

ثمانية وعشرون صوتاً ، اذ بلغ عدد الموقعين ثلاثة وثلاثين [٦٩] .

وفجأة في تمام الساعة السادسة ، اذاعت محطة راديو الشرق في بـيروت ، التي يسيطر عليها الفرنسيون ، ان التجول قد منع منذ السادسة والنصف مساء ، وان من يُرى في الطريق بعد تلك الساعة يطلق عليه الرصاص .

(٦٩) انظر مجموعة الوثائق في آخر الكتاب . و لقد كان بين الموقعين : كمال جنبلاط ، وديع الاشقر ، جبرائيل المر ، وغيرهم ممن كانوا يناشون اميل اده في الانتخابات النيابية كما مر معنا . لكن موقفهم بعد الاعتقال كان مشرفاً فاستحقوا شكر الوطن .

٥ . الفرنسيون يستمرون في التحدي

محاولة توقيف حبيب ابي شهلا

قضى حبيب ابو شهلا رئيس الحكومة الشرعية ليلة في منزله ، على الرغم من الحاح اصدقائه عليه بان ينام خارج بيته . وهبط درجات السلم في صباح ١٢ تشرين الثاني ، وهو خارج من منزله ليذهب الى مكان اجتماع الحكومة والبرلمان في دار سلام ، فرأى خمسة من مفتشي دائرة الامن العام الفرنسية ، يرابطون على الباب فاستوقفوه ، ودعوه الى مقابلة غوتييه مدير الامن العام في مكتبه، فسألهم : وماذا يريد مني غوتييه؟ قالوا اننا لا نعلم ونرجح انه يريد ان يسألك عن الخطبة التي القيتها صباح امس في منزل الشيخ بشاره . فقال ابو شهلا : ليس لرئيسكم ان يدعوني اليه، وانا رئيس حكومة قائمة باعمال رئيس الجمهورية ، فان كان له ما يقول فليأت الي . فحاول الموظفون ان يلحوا في الطلب ، فحال بينهم وبين القيام بمهمتهم ، وصول بضعة شبان اشداء[٧٠] ، ما كادوا يترجلون ويرون موظفي الامن العام ويعرفون المهمة التي كانوا قادمين من اجلها ، حتى استشاطوا غيظاً واغلظوا لهم في الكلام ، ثم دعوا رئيس الحكومة الى الركوب معهم في سيارتهم ، وذهبوا معاً الى دار سلام، حيث كان النواب وفريق كبير من اعيان البلاد وشبابها مجتمعين .

(٧٠) كان على رأس هؤلاء الشباب محمد فستق وهو فلسطيني المولد يدير كاراجاً للسفريات بين سورية ولبنان .

وعند الساعة الحادية عشرة اكتمل عقد النواب ، فعقدوا جلسة برئاسة صبري حماده ، واستعرضوا حوادث الامس. وكان بعض النواب ممن لم يتصل بهم نبأ اجتماع اليوم السابق قد اقبلوا من مناطقهم البعيدة ، فاطلعوا على محضر الجلسة ووقعوه . غير ان النائب يوسف سالم لم يشأ ان يوقع محضر الجلسة ، الا اذا حذفت منه العبارة القائلة ان اميل اده قد اقترف جرم الخيانة العظمى .

وكان النواب بحاجة الى اكبر عدد ممكن من التواقيع ، فنزلوا عند رغبة زميلهم ، على كره منهم ، وحذفوا عبارة الخيانة ، فوقّع عند ذلك يوسف سالم المحضر . ثم روى ابو شهلا محاولة دائرة الامن العام استدراجه الى مقابلة مديرها لاعتقاله ، كما فعلوا ببطرس الجميل ، رئيس الكتائب الاعلى ومنظمات الشباب ايام الثورة . واضاف ابو شهلا الى ذلك قوله : انه كان متردداً بين قبول الاعتقال الانضمام الى رئيس الدولة ورئيس حكومته وزملائه الوزراء ، ومقاسمتهم السجن والتشريد ، وبين البقاء حراً طليقاً ، وها هو يستشير المجلس في هذا الامر وهو مستعد للاذعان لقراره .

وعند ذلك ارتفعت جميع الاصوات، طالبة الى الرئيس ان يظل حراً، ويتابع الجهاد مع زميله وزير الدفاع، بصفة كونهما يؤلفان حكومة شرعية، تعمل بالاتفاق التام مع مجلس النواب . فقال ابو شهلا لنتابع الجهاد اذن ، كان الله بعوننا وعون البلاد[٧١] .

منذ تلك اللحظة ، ادرك الجميع ان الحكومة مطاردة ، وان الفرنسيين سيبذلون الجهد للقبض عليها ، ليقضوا على فكرة بقاء الحكومة شرعية حرة طليقة ، تقود جهاد الأمة ، وتتكلم بلسانها ، وتغذي الثورة ، حكومة ليست بالمرتجلة او المستحدثة ، لكنها مؤلفة من وزيرين ، كانا الى ساعات خلت يحكمان ويتصرفان بشؤون هذه البلاد ، وباعتراف الدول جمعاء واعتراف فرنسة نفسها ، لا سيما وان هذه الحكومة الشرعية تتمتع بثقة الأمة باجماع رائع عظيم . ومنذ تلك الدقيقة ، نبتت فكرة انتقال الحكومة الى مكان امين ، تكون فيه في مأمن من كل اعتداء.

(٧١) أشار الجنرال سبيرز على الحكومة ان تتابع الجهاد ليتمكن من الاخذ بناصر لبنان .

اما ذلك المكان فلم يحدد ، ولكن الفكرة وضحت في الرؤوس . وكان فريق من النواب يرون ان تنتقل الحكومة الى خارج البلاد اللبنانية ، وبعضهم يرى ان تظل في لبنان. على ان المجلس اجمع على وجوب العمل بجميع الوسائل على بقاء الحكومة حرة طليقة .

مطاردة بقايا الحكومة الشرعية

ما كادت الحكومة والنواب يتناولون طعام الغداء ، حتى بدأ الشبان ينادون قائلين ، ان الجيش الفرنسي اخذ يسد منافذ الشوارع والطرق المؤدية الى الدار ويقيم الأسلاك الشائكة ، وان الوصول الى تلك الدار اصبح متعذراً ، وكذلك الخروج منها ، وان الحكومة اذا شاءت ان تتحاشى الاعتقال والوقوع في قبضة الأمن العام ، فعليها ان تغادر حالاً المكان الذي هي فيه . ثم تكاثرت الاشاعات عن امكانية القبض فوراً على الحكومة ، وعلى رئيس المجلس ، لكن الرئيس ابي شهلا كان يصغي الى إذاعة مصر تسرد بياناً لرئيس وزارتها فلم يقبل ان يترك المذياع حتى يستكمل الاذاعة. وكانت جوارح جميع من في الدار وهم يصغون اليها ، تهتز فرحاً وإعجاباً بملك مصر وشعب مصر .

عند سفير بريطانيا

ولم تدق الساعة الثالثة، حتى نهض صبري حماده وحبيب ابو شهلا ومجيد ارسلان ومعهم خليل تقي الدين ومحمد سلام ، شقيق النائب صائب ، وركبوا سيارتين اخترقتا بهما زقاقاً ضيقاً ، نفذتا منه الى دار السفارة البريطانية . فلما ترجل الجميع رأوا السفير يهبط سلم السفارة ، فقالوا له انهم قادمون لابلاغه نسخة عن محضر جلسة مجلس النواب ، فرحب بهم ودعاهم الى الدخول وهو يقول : لدي عمل مستعجل يتعلق بقضيتكم . ولكن تفضلوا . وجلس السفير ، واحاط به زائروه فتكلم رئيس المجلس قائلا : لي الشرف ان احمل اليكم يا حضرة السفير المقررات التي اتخذها مجلس النواب اللبناني في الجلستين اللتين عقدهما مساء امس وصباح اليوم . وقد وقعها

ثلاثة وثلاثون نائباً . فاذا اضفنا اليها تواقيع رياض الصلح وزملائه الوزراء المعتقلين الثلاثة ونائب طرابلس عبد الحميد كرامي ، يكون عدد النواب الذين يقرونها ثمانية وثلاثين نائباً يؤلفون اكثرية دستورية تفوق ثلثي اعضاء المجلس ، وهذه الاكثرية صالحة لاقرار القوانين ، بل هي صالحة لتعديل الدستور نفسه . وتناول الحديث ابو شهلا فقال : لقد منح المجلس الحكومة التي لي شرف ترؤسها بالوكالة ثقته التامة ، واعتبر ان الدستور لا يزال قائماً وان العمل الذي أقدم عليه الفرنسيون ، بمثابة لجنة الجزائر ، باطل لانه عمل طغيان وعدوان ، يقابلهما الشعب اللبناني بالثورة والسخط. واعتبر ان الحكومة القائمة تضطلع باعمال رئيس الجمهورية المعتقل ، وذلك عملا باحكام الدستور. وقد تشرفنا امس بتقديم مذكرة اليكم ولم نكن قد حصلنا على تأييد، وها نحن اولاء قد حصلنا على هذه الثقة ، ونحن نعتبر ان حكومة اميل اده حكومة وهمية ، وان كل عمل تأتيه او مرسوم او قرار تتخذه لغوٌ لا يعتد به ، ونحن نرجو ان تأخذوا علماً بذلك وان تبلغوه الى حكومة صاحب الجلالة البريطانية . ثم اطلع السفير على محاولة اعتقال ابي شهلا في الصباح وعلى مطاردة الفرنسيين للحكومة . فتسلم السفير نص المحضر وانصرف زائروه .

في المفوضية العراقية

ولما غادروا دار السفارة البريطانية قصدوا من فورهم الى المفوضية المصرية . فقيل لهم ان احمد رمزي في مصر ، فقر رأيهم على اللجوء الى المفوضية العراقية لان السلطة الفرنسية لا تجرؤ على اقتحام دار مفوضية تتمتع بالحصانة الدولية ، ولان العراق وهو البلد العربي الشقيق يمثله في لبنان رجل عرف بتحمسه للقضية اللبنانية الاستقلالية ، وهو تحسين قدري [٧٢].

رحب تحسين قدري بممثلي لبنان الشرعيين ، ولما علم بمطاردة دوائر الامن العام لرجال الحكومة والمجلس قال : ان داري هي داركم كما ان العراق بلدكم فاهلاً

(٧٢) استقبل تحسين قدري الحكومة اللاجئة ، ثم صرفها بنعومة ولباقة يحسد عليها .

وسهلًا ، ولكنني اخشى ان تخرق السلطة الفرنسية حرمة المفوضية وحصانتها فتقعوا في ايديها ، وسلامتكم وحريتكم ضروريتان للجهاد ومتابعة الكفاح في سبيل القضية التي لا تهم لبنان وحده ، بل تهمنا جميعاً ، ولكم بعد هذا ان تقرروا ما تشاؤون .

فتشاور رئيس المجلس والحكومة فيما بينهم . وكان رأي صبري حماده ان يذهب هو في تلك الليلة الى الهرمل (بعلبك) حيث يتمتع بزعامة قوية فيعتصم هناك ، ويقاوم بالقوة ان مست الحاجة . ولكن بعضهم قال : بل نذهب جميعاً الى مكان امين غير بعيد عن بيروت ويظل رئيس المجلس برفقتنا لانه يمثل السلطة التشريعية ، وفي وجوده الى جانب السلطة التنفيذية معنى كبير وقوة لا يستهان بها . فوافق الرئيس على الرأي ، وقررت الحكومة ان تغادر العاصمة في الحال ، وتقصد الى مكان يقرب من بيروت ، وان يصحبوا معهم خليل تقي الدين امين سر المجلس العام ، ليساعد الحكومة في عملها .

في الطريق الى بشامون

كانت الشمس قد غابت عندما غادرت سيارة الحكومة بيروت وهي تنهب الارض نهباً في طريق الشاطيء ، من ناحية رأس بيروت ، مخلفة وراءها مدينة ثائرة ، قاصدة الى قرية هادئة ، لا تدري ان الاقدار هيأت لها ان تصبح بعد ساعات مقراً لحكومة شرعية تطاردها قوى الطغيان ، وان تصبح بعد ايام حديث الصحف والاذاعات وشغل العالم الشاغل .

اخذت السيارة وجهتها في طريق صيدا ، فلما بلغت غابة الزيتون المعروفة باسم « صحراء الشويفات » على مسافة بضعة عشر كيلومتراً من بيروت ، انحرفت الى اليسار في طريق الجبل ، فاخترقت قرية الشويفات فقرية عين عنوب ، ثم توغلت في طريق ضيقة ما لبثت ان نفذت منها الى قرية صغيرة تدعى بشامون .

وترجل رجال الحكومة امام اول بيت وقفت عنده السيارة ، فما كاد اصحابه يرون القادمين حتى خفوا لاستقبالهم والترحيب بهم ، ترحيباً لا يمكن ان يصفه الكلام . وحسبك ان تعرف ان القرية كلها بعد هنيهة من الزمن ، زحفت الى

البيت الذي نزلته الحكومة ، وراح الاهلون وقد أدركوا ان الامر خطير يتسابقون لذبح الذبائح وإعداد الطعام وتوفير أسباب الراحة لضيوفهم . فلما علموا بان الحكومة المطاردة قد قررت ان تتحصن في البلدة مع الحكومة الشرعية ، غاب الفتيان قليلًا ثم عادوا شاكي السلاح ، في ايديهم البنادق الحربية وقد تمنطقوا بصفوف من القذائف اليدوية ، ولمع في عيونهم بريق القوة والبأس وقالوا : منذ هذه الدقيقة اصبحنا مسؤولين عن راحتكم وسلامتكم فأنتم في ضيافتنا ، فان حدثت احداً نفسه بالقبض عليكم ، فلا بد ان يمشي اولاً على جثثنا وجثث ابنائنا قبل الوصول اليكم .

وقضى أفراد الحكومة اول ليلة من ليالي بشامون ، متوسدين فرشاً بسطت على الارض ، كانت في منتهى النظافة . واحاط بالمنزل اكثر من ثلاثين شاباً مسلحين يحافظون على سلامة الحكومة .

الباب الثالث

دَم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلم أنهُ نورٌ وحَقُّ

١ . بشامون

●

وصفها

قرية صغيرة تقع على مسافة بضعة وعشرين كيلومتراً الى الجهة الجنوبية من بيروت ، لا يزيد عدد سكانها على ألف وخمسمائة نفس وبيوتها على مئتي بيت . والكثرة الساحقة من ابنائها مزارعون او فلاحون ، ولكن عدداً منهم يملكون سيارات شحن كبيرة ، يشتغلون عليها بنقل البضائع بين لبنان ودمشق ، وبعضهم يقتني سيارات اجرة صغيرة تعمل نهاراً في بيروت ، وتأوي الى بشامون اذا جن الليل .

ولها طريق عربات واحدة تصل اليها وتنقطع فلا تتجاوزها الى ما بعدها من قرى، وهذه الطريق تمتد مسافة كيلومترين من قرية عين عنوب الى داخل بشامون مارة بين غابات الزيتون . وقد اطلق الشباب اسم البوغاز على مدخل بشامون ، لان المدخل ضيق مهيب ، تحدق به وتظلله اشجار الزيتون ، وكلما اقترب المرء من القرية اتسعت الطريق وانفرجت . واما الطرق الموصلة الى عين عنوب فثلاث : طريق بيروت – الشويفات – عين‌عنوب، وطريق عاليه – عيتات – عين‌عنوب ، وطريق سوق الغرب – شملان – عين عنوب .

وتخفي غابات الزيتون ، بشامون عن الانظار فلا يراها القاصد اليها الا اذا بلغها . لكنها واقعة في منخفض من الارض يجعلها عرضة للاغارة عليها من جهة

الطريق الممتدة من شملان الى عيناب فاذا استطاع المدافع عن بشامون ، ان يحصن هذه الطريق ويحميها ، أمن شر مهاجمتها من علُ . واما البوغاز ، فقد كان مدخلاً ضيقاً ، يكفي ان يتحصن فيه بضعة عشر مقاتلاً ليردوا طابوراً بكامله . والى غربي بشامون هضبة عالية كان الشباب يطلق عليها اسم « القلعة » في لغة اللبنانيين العامية، وهي في عرف الفلاحين الارض الصخرية التي لا تحرث والتي تغطيها الاشجار البرية كالصنوبر والملول والسنديان ، وهي ارض وعرة المسالك. وتنتهي طريق السيارات في اسفل القرية لجهة الغرب ، وتبدأ طريق المواشي والسائمة وهي مسالك ضيقة وعرة تتعثر فيها الماعز فكيف ببني الانسان ؟ وتمتد هذه الطريق الى البراري والقفار والاحراج والادغال التي تبدأ حالاً فور خروج المرء من بشامون غرباً. ويستطيع الانسان ان يسير ساعات بطولها في هذه الجهة وينحدر الى محاذاة نهر يجف في الصيف حتى يبلغ البحر ، دون ان يصادف في طريقه قرية او منزلاً او اثراً لانسان او حيوان .

اختفاء الاهالي بحكومتهم

وصلت الحكومة الى بشامون ، واستقرت فيها فسرت في نفوس اهليها هزة من الزهو والغبطة والاعتزاز ، وكيف لا يفرحون ، وقد ضمت منازلهم رجالاً كباراً كانوا يسمعون عنهم ويقرأون ، ووزراء كانوا يعرفونهم من امتداد شهرتهم وصيتهم [١] ولا يتسنى لهم ان يروهم الا في الصور والرسوم . واعترت القرية نوبة عصبية لا مثيل لها ، فسهرت النسوة والشيوخ والشبان والاولاد طول الليل لم تغمض لاحد منهم عين ، فاما النسوة فقد انصرفن حالاً الى طهي الاطعمة وايقاد النار واعداد الخبز المرقق على « الصاج » وتهيئة بيوتهن للضيوف والوافدين . واما الشيوخ فقد راحوا يشحذون الفؤوس والسيوف ويفحصون البنادق وينظفونها ويسلمونها الى الشبان معدة للقتال ، بينما انصرف هؤلاء الى الحراسة والتأهب

(١) لا يزال اهل بعض القرى يقيمون هالة من التعظيم لموظفي الحكومة واصحاب الالقاب الطنانة ...

للحرب ، واما الأولاد فقد ألهتهم هذه الحركة كلها فسهروا مع الساهرين . لقد احس ابناء بشامون احساساً غامضاً انهم مقبلون على امر خطير فاستعدوا له ، وكانوا في حركة دائمة طول الليل، حتى اذا اقبل الصباح وفدوا على الحكومة وقالوا: « ليس لنا شيء بوجودكم ، فبيوتنا وما نملك وارزاقنا رهن اشارتكم، واما ارواحنا فقد بعناها منذ زمن بعيد . »

ولكن كيف عرفت القرى المجاورة بوصول الحكومة الى بشامون ، وكيف اتصلت بها الانباء وسرى اليها تيار الحماسة الذي هز بشامون ؟ هذا سر من أسرار القرى . والواقع انه ما كادت تشرق شمس يوم السبت في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣ ، حتى بدأت وفود المحاربين تتدفق على بشامون ، وتطلب مقابلة أركان الحكومة .

جلس الشباب على شرفة البيت الذي قضت الحكومة ليلتها فيه ، وتمنطقوا ببنادقهم الطويلة وهي من طراز سنة ١٩٤٢ — آخر طراز من البنادق وصل الى لبنان عن طريق صحراء ليبيا — وراحوا يستعرضون الوافدين .

وكان هؤلاء الشبان الذين أقبلوا في الليل، طليعة المحاربين الذين لم ينقطع سيلهم منذ تلك الليلة . كانوا ينتمون الى قرى عديدة . فكان أبناء كل قرية ، يتقدمون معاً ، فيحيون رئيس الحكومة ورفاقه ، وينتخون من النخوة أمامه ، وذلك بأن يصطفوا ويهزوا البنادق بأيديهم هزاً متصلاً عنيفاً ثم يصيحوا : « ياما عندك يا رئيس نحن ضحاياك ، نحن فداك . يا أمير ، اليوم يوم الشرف . اليوم يوم العرض . اليوم ولا كل يوم » . ثم يخلون المكان إلى أبناء قرية اخرى . هذا ورئيس الحكومة ورفاقه يحيونهم : « نحن قدامكم — عاش الشجعان — نحن معكم إلى الموت » . فاذا كان في الوفد شيوخ ، دعاهم الرئيس والأمير مجيد إلى الجلوس بجانبهم هنيهة من الزمن .

في تلك الساعات ، كانت تتجلى حقاً سذاجة الشعب وإيمانه بالدستور والواقع أن هؤلاء الشباب الذين كانوا يعتمرون الكوفية والعقال ، والذين يحملون المسدسات في وسطهم ، ويغمر الرصاص صدورهم العريضة أثاروا حماسة القوم، ولا عجب فأهل

القرى يؤثرون مظاهر القوة على كل شيء[٢] .

لماذا اختيرت بشامون ؟

تساءل الكثيرون لماذا اختارت الحكومة قرية بشامون مقراً للثورة والجهاد على قربها من بيروت وتعرضها لنيران الفرنسيين . وكان اول المتسائلين افراد الحكومة انفسهم ، وهم لم يكونوا يعرفون بشامون ، ولا سمعوا بها من قبل ، حتى ان اللبنانيين عندما اتصل بهم خبر انتقال الحكومة من العاصمة ، الى جهة مجهولة ، قدروا انها استقرت في منطقة نائية عن بيروت مسافة بعيدة ، لكنهم لم يخطر في بالهم قط ، انها على بعد عشرين دقيقة عن بيروت، فلما عرفوا ان الحكومة استقرت في بشامون ، قلقوا وخافوا ان يهاجمها الفرنسيون ، وكان من حقهم ان يساورهم القلق والخوف .

لقد كان رأي صبري حماده ، رئيس المجلس ، منذ الليلة الاولى التي قضتها الحكومة في بشامون، ان تنتقل الحكومة الى بعلبك او الى الهرمل، حيث تكون في مأمن من كل خطر ، وحيث يمكنها ان تحاصر شهوراً بكاملها ، في منطقة تفصلها عن بيروت مائة وعشرون كيلومتراً ، ويمكنها ان تجند جيشاً كبيراً ، تستطيع سائر مناطق لبنان ان تمده دائماً وتغذيه . والح رئيس المجلس في طلبه وكرره مراراً ، وكثيراً ما عزم على مغادرة بشامون ، والتوجة الى بلاد الهرمل وبعلبك ، ليثير العشائر الكثيرة ، التي تدين له بالطاعة والاخلاص والولاء ، فكان زميلاه يثنيانه عن عزمه ويقولان له : اذا تحرجت الحالة ، وطالت الازمة فامامنا

(٢) مهما قيل في بشامون فانها في رأيي كانت صورة عن ايمان الشعب وصدقه . ان عقلية القروي اللبناني الصافية تجلت في بشامون . ولم يكن الشباب المتطوع على علم بالمناورات التي دفعت بالزعماء الى القيام بحركتهم الثورية — اولئك الزعماء الذين ثبت فيما بعد ان غالبيتهم كانت تدافع عن مصالحها الخاصة ومصالح بعض الدول لا عن كرامة البلاد واستقلالها .

يدلنا على ذلك ، الحالة التي وصل اليها لبنان اليوم ...

ووالله لو أتيح للشعب الساذج آنذاك ان يعلم الغيب ، لانقلب اولاً على أعدائه الداخليين قبل ان يثور على اعدائه الخارجيين ...

وامامك متسع من الوقت لاشعـــال نار الثورة ، لا في بعلبك والهرمل والبقاع فحسب ، بل في سائر انحاء لبنان . فكان الرئيس يسكت على مضض ، ذلك انـه منذ الدقيقة الاولى ، ادرك ان هذه الازمة التي يواجهها لبنان فاصلة في تاريخه، وانه اذا لم تثر البلاد كلها ، فقد تضيع فرصة للتحرر والاستقلال ، ربما لم لن تتكرر مرة ثانية ، وكان يخشى ، كما كانت الحكومة تخشى ، ان تضعف بيروت ، او تهمد الحماسة في الصدور ، فيكسب الفرنسيون المعركة ، ويظل النير على اعناق اللبنانيين أحقاباً طويلة .

اختار الشباب الوطني بشامون مقراً للحكومة الشرعيـة ورجال الاستقلال لاسباب عديدة ، منها ان القرية واقعة في قلب منطقة تسمى منطقة الغرب ، كان يتمتع فيها بعض رجال العهد ، وعلى رأسهم مجيد ارسلان ، بزعامة لا ينازعهم فيها منازع ، فنشأ اهلها على حب الاستقلال . وكانت ناحية الغرب هذه ، تجمع عـلى انتخابهم في جميع العهود ، حتى في العهود التي كانت تشوه فيها الانتخابات ، فتبدل صناديق الاقتراع ، وتقرأ الاسماء على غير ما هي ، وتزور نتائج الانتخابات في جميع المناطق ، إلا في ناحية الغرب ، حيث كانت السلطة تعزف عنها ، مخافة ان تصطدم باهليها ، وهي تعرف معنى اصطدامهـــا . وشاءت الاقدار ان لا تحرم « الغرب » من هذه الفرصة ، فهيأتها لها على يد واحد من ابناء فرنسة يسمى هللو .

والسبب الثاني الذي حدا بالشباب الى اختيـار بشامون ، معرفتهم بابنائها وابناء القرى المجاورة لها ، وانهم رجال بأس اشداء ، وان المنطقة قد توفر لها من الاسلحة والذخائر ، ما لم يتوفر لغيرها من مناطق لبنان . ففي نواحي بشامون وسرحمول وعرمون وهاتيك البطاح ، اعلن وقف القتـال بين الحلفاء والفيشيين في تموز سنة ١٩٤١ ، فترك الفيشيون من الاسلحة والمعدات والذخائر ، ما تركوا ، واستولى الاهلون على كميات هائلة من الاعتدة ، احتفظوا بها الى مثل هذا اليوم [٣] .

(٣) كان في قرب بشامون معسكر لليونانيين التابعين للجيش التاسع ، وكثير من أفراده كانوا يوزعون الخرطوش على أفراد الحرس الوطني. وفي رأيي ان قيادة الجيش التاسع لم تكن غريبة عن هذا الامر . يضاف الى ذلك ان اميل مرشد بستاني قدم مترااليوزين وأسلحة لا بأس بها لأفراد الحرس الوطني .

والسبب الثالث ، قرب بشامون من بيروت . فقد اثبتت الحوادث ، ان الشعب يجب ان لا يترك بدون حكومة قوية تقوده وتلهب في صدره نار الحماسة والثورة ، فضلاً عن ان هذه الحكومة ، يجب ان تظل على اتصال بالاقطار العربية الشقيقة من جهة ، وبالدول الديمقراطية من جهة اخرى ، لتشرح وجهة نظر لبنان وعدالة مطالبه وامانيـــه ، وتقدم المذكرات والاحتجاجات . ثم ان قرب بشامون من بيروت ، يتيح للبرلمان ان يجتمع فيها اذا شاء ، ويسمع العالم صوت الامة الرسمي ، بعد ان اسمعه الشعب زئيرها . وقد اجتمع البرلمان في بشامون فعلاً على ما سنرى في سياق الحديث .

وقد كان قرب بشامون من بيروت ، عاملاً قوياً في اذكاء الحماسة في الصدور والقيام بالدعاوة الواسعة لجهاد لبنان ، اذ تسنى للبنانيين ان يظلوا متصلين بحكومتهم الطليقة ، يزورها من شاء منهم ، في اي ساعة من ساعات الليل والنهار. واقبل مراسلو الصحف الحربيون ، من القاهرة وفلسطين وطهران ، ونقلوا الى العالم اخبار الثورة والجهاد ، فكانوا يأتون بشامون في الصباح ، ثم يطيرون الى عواصم الشرق الادنى ، فيبعثون بأنباء الثورة الى جرائدهم ، فتذيعها على ملايين القراء في اقل من اربع وعشرين ساعة .

وفي جملة الاسباب التي حدت بالحكومة الى اختيار بشامون ، والتي جعلها توافق على البقاء فيها ، حرص الحكومة على أن تفهم العالم ، انها انتقلت من عاصمة بلادها انتقالا ، ولم تهرب هرباً ، وانها فعلت ذلك ، لتظل طليقة تتابع الجهاد ، لا خوفاً من الاسر والعذاب او الموت، فمن كان يخشى هذا كله ، لا يبتعد عن عدوه مسافة عشرين دقيقة فقط ، ويعيش في الجبال الوعرة ، ويثور ويدعو الى الثورة ، ويعلن عن محل اقامته ، ويتحدى عدوه ان يأتيه اذا شاء، ويهاجمه اذا سولت له نفسه ذلك.

ارادت الحكومة ان لا يخدعها القوم ، كما خدعوا الرؤساء والوزراء والنواب بالامس ، حين اقسموا لهم انهم في مأمن من كل خطر ، ثم دهموا منازلهم الآمنة في الليل وقبضوا عليهم وهم عزل من السلاح نائمون في اسرّتهم .

واخيراً كان من اسباب انتقال الحكومة الى بشامون كونها ذات طريق

واحدة ، ومن ورائها تترامى الغابات والادغال ، فالدفاع عنهـا اسهل من الدفاع عن قرية توصل اليها عدة طرق . وكان من المتعذر تطويق بشامون تطويقاً تاماً ، ولا سيامن جهتها الغربية الا اذا جُردت لهذا الغرض حملة كبيرة تحميها الطائرات .

حكومة بشامون

تألفت حكومة بشامون من حبيب ابي شهلا رئيساً لهـا وقائماً باعمـال رئيس الجمهورية ، ومن صبري حمـاده رئيس مجلس النواب ، ومن مجيد ارسلان وزير الدفاع الوطني .

واتخذت الحكومة لهـا مستشارين ، الاول عسكري وهو الكولونيل فوزي طرابلسي ، والثاني سياسي وهو خليل تقي الدين .

وكان حبيب ابو شهلا في حكومة رياض الصلح نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للعدلية والتربية الوطنية والفنون الجميلة ، فتولى بالاضافة الى ذلك بصورة موقتة لمدة الثورة وزارات المالية والتموين والتجارة .

وكان مجيد ارسلان وزيراً للدفاع الوطني والزراعة والصحة والاسعاف العام ، فتولى كذلك بالوكالة وزارات الداخلية والبرق والبريد والاشغال العامة .

وأما رئيس المجلس فقد اشترك في اعمال الحكومة كلها ، وكان يوقع مع زميليه ابي شهلا وارسلان جميع المذكرات والمراسلات والاحتجاجات والمناشير ليعطيها قوة السلطة التشريعية ، لكنه لم يشأ ان يشترك في توقيع المراسيم على رغم اشتراكه في تقريرها ، حتى لا يطعن فيها فيما بعد من الوجهة القانونية ، فكانت المراسيم تصدر بتوقيع ابي شهلا وأرسلان وحدهما .

وأما الكولونيل فوزي الطرابلسي فقد عينته الحكومـــة بتاريخ ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) قائداً لقوى الامن الداخلي في لبنان[٤] ، ولكنه لم يبلغ هذا التعيين إلا بعد ظهر السبت في ١٣ منه ، إذ حمله اليه رسول[٥] إلى بيروت ، وأبلغه رغبـــة

(٤) راجع مجموعة الوثائق في آخر الكتاب .

(٥) المؤلف هو الذي حمل الكتاب من بشامون وأوصله للكولونيل طرابلسي في بيروت .

الحكومة في التحاقه حالاً ، فلم تمض ساعة حتى كان الكولونيل في بشامون ، يدخل على الحكومة ويضرب رجلًا برجل ، ويرفع يده بالتحية العسكرية ويقول : لقـد امرتني حكومتي الشرعية بالمجيء فحضرت ، وها انا اضع نفسي تحت تصرفها . ولم يكن للكولونيل طرابلسي علاقة بالحرس الوطني الذي كان يدافع عن بشامون ، لان الحرس الوطني لم يكن جيشاً منظماً حتى يقوده ضباط ، وانما كانت تنحصر مهمة الكولونيل باصدار الاوامر الى قوى الدرك والشرطة في بيروت والابقاء على الاتصال بين هذه القوى وبين الحكومة وابلاغ الدرك الاوامر والارشادات التي كانت الحكومة تطلب الى الكولونيل ان يبلغها اياها ، فكان هو يصدر بها اوامر خطية ، يحملها الشباب الى العاصمة في الحال .

واما خليل تقي الدين فقد كان امين سر مجلس النواب العام . لم يفارق البرلمان ورئيس المجلس منذ ان اتصل به خبر الازمة في الساعة السادسة من صباح ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ، وكذلك رافق افراد الحكومة الى بشامون عندما هبطوها في ليل ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) .

وفي بشامون طلب رئيس الحكومـة من رئيس المجلس موافقته على انتداب خليل تقي الدين للقيام باعمال امانة سر الحكومة ، على ان يكون في الوقت نفسه مديراً بالوكالة لغرفة رئاسة الجمهورية ومستشاراً سياسياً للحكومة ، فوافق رئيس المجلس على ذلك .

وكان المستشاران العسكري والسياسي يحضران اجتماعات الحكومة كلهـا ، ولكنهما لم يكونا يبديان رأيهما، او يشتركان في المباحثات والمقررات الا اذا سئلا.

مقر الحكومة في بشامون — غرفتاه بهو وسراي

اختارت الحكومة بيت حسين الحلبي مقراً لها في بشامون . وكان البيت يقع في اعلى القرية وهو يتألف من جناحين ، جعل احدهمـا للنوم واستقبال الوفود ، والاخر لاجتماع مجلس الحكومة وللعمل . وكانت غرفة النوم بهواً كبيراً كلـــه نوافذ وابواب ، فاذا كان النهـــار ، بسط فيه السجاد ووصفت المقاعد والكراسي

واديرت على الوافدين عليه ، وهم يعدون بالمئات في كل يوم ، القهوة العربية . فاذا اقبل الليل ، فان ما حسبته هواً معداً لاستقبال الوفود ، كان يصبح بضرب من السحر غرفة للنوم . وعلى الرغم من ان الفرش كانت تبسط فيه على الارض فقد كانت وثيرة وغاية في النظافة ، وكانوا يعدون للحكومة اربعة فرش يبسطون الواحد منها الى جانب الاخر . فيقول الرئيس للامير مجيد ضاحكاً : وما تريد مني ان افعل بهذه البندقية ؟ اترائي اطلق الرصاص اذا هوجمت وانا لم امسك بندقية في حياتي قط ؟ وكان الجميع ينامون في البهو ما خلا رئيس المجلس ، اذ كان ينام وحده في غرفة ملاصقة للبهو فيها سرير حديدي .

وكان الجناح الخاص بالعمل ، يتألف من غرفتين ، الاولى فيها بضعة مقاعد وسرير حديدي ومنضدة خشبية بسيطة ولها باب واحد ونافذتان ، والثانية عارية إلا من بضعة كراسي عتيقة .

اما الغرفة الصغيرة التي اتخذتها الحكومة مركزاً للعمل ، فقد أطلق عليها الاهلون وافراد الحرس الوطني اسم « السراي » وكان يحفر بابها شابان مدججان بالسلاح ، يمنعان دخول اي كان اليها الا باذن من الحكومة . فاذا صدر الاذن فلا بد من تفتيش الداخل تفتيشاً دقيقاً ، الا إذا كان صديقاً لا شبهة فيه [٦] .

ولم يكن لدى الحكومة في اليوم الاول اوراق رسمية معنونة باسم الجمهورية اللبنانية ، ولكن الموظفين ارسلوا اليها من العاصمة ، كثيراً من الورق الابيض الرسمي باسم رئاسة الوزارة ، وباسم جميع الوزارات حملها الى بشامون موظف مخلص امين [٧] . وكذلك لم يكن لدى الحكومة في الايام الثلاثة الاولى آلة عربية طابعة ، فكان رئيس الحكومة وافرادها يشتركون جميعاً في كتابة المراسيم والمذكرات ، وينسخونها بايديهم . وكان بعض الشبان يحملون القرارات او

(٦) وهذا التدبير كان من جملة الاخراج التهريجي الذي ابتدعته بعض المخيلات في بشامون. وكان القصد منه ايقاع الرهبة في نفوس الزائرين .

(٧) فؤاد لاوندس ولا يزال حتى اليوم كاتباً مهملا في مجلس النواب . وكان يرافقه ايضاً بديع رعيدي احد موظفي مجلس النواب اليوم .

الرسائل الى بيروت فيضربونها على الالة ، ويعودون بها الى بشامون لتوقيعها .

غير انه في اليوم الرابع ، بعث امين سر الحكومة بطلب موظفين من موظفي المجلس يتقنان الضرب على الالة الكاتبة ، فحضرا وأخذا يقومان بهذا العمل منذ ذلك الحين . وكان رئيس الحكومة واعضاؤها يعملون في السراي باستمرار ، حتى كانوا يتناولون وجبات الطعام فيها ، لكي لا يلهيهم الاكل عن الشغل ، وكانوا يدعون الى مائدتهم كبار الزائرين والوافدين من بيروت ، كما كان يشاركهم طعامهم الدكتور مزهر — طبيب الثورة .

واقيم حرس شديد حول مقر الحكومة . فعهد بالمحافظة عليه الى عشرات الشبان من أشدهم بأساً وأعرفهم بمخارج بشامون ومداخلها ومسالكها وطرقها . كما بث حول المنزل الى مسافة بعيدة العيون والأرصاد . وكانت تنقل الى رئيس الحرس الاخبار ساعة فساعة . فاذا جن الليل فلا بد من الاتصال به كل ربع ساعة .

وكان الشبان يتناوبون الحراسة ليل نهار . ولهم في كل يوم كلمة سر يجب ان يقولها المارّ أو يقبض عليه ويفتش . وكلمة السر هذه تتألف حسب الاصول من كلمتين : واحدة يهتف بها المار والثانية يجيب بها الخفير . وقد كانت كلمة السر في اليوم الاول (بشاره — رياض) وفي اليوم الثاني (راشيا — بشامون) . وهكذا دواليك ...

الحرس الوطني نواة جيش لبنان

ما كادت الحكومة تستقر في بشامون حتى تولى القيادة العامة وزير الدفاع الوطني .

وما هي إلا ليلة وضحاها ، حتى تصايحت الأودية والهضاب والجبال ، صياح الحرب ، وتجاوبت بنداء واحد هو نداء الجهاد : من كان قادراً على القتال فليأت إلى بشامون .

ورددت النداء هاتيك البطاح ، ودوت به القرى والدساكر ، فأيقظها وهداها . فترك الشبان والشيوخ بيوتهم وحقولهم ومزارعهم واعمالهم ، وتناولوا اسلحتهم

واقبلوا زرافات على بشامون لا فرق بين مسيحييهم ودروزهم .

وهرعوا الى بشامون وصدورهم عامرة بايمانين من وطنية هادرة وتعلق بجبل عليه ولدوا وفي سبيله يموتون ، ونفوسهم ثملة بنشوتين من فخر و كبرياء . اذن فليست المدن وحدها، بيروت وطرابلس وصيدا ، هي التي تغلي ، وهي التي تكافح، وهي التي تثور ، واذن فقد جاء دورهم هم أيضاً أبناء الجبال ، ليساهموا بنصيبهم في بناء الاستقلال ، وفي الموت دون حياض الوطن المقدس [٨] .

لا فرق بين هذا الفتى المراهق ، الذي لم يطر شارباه بعد ، والمكتسي وجهه بحب الصبا ، وهذا الشيخ الذي أحنت ظهره السبعون ، فقوّمه النداء ، ومشى على قدميه ثماني ساعات ، وعمامته البيضاء على رأسه ، ببندقيته ومسدسه وسيفه ، تحت عباءته القصيرة .

لا فرق بين هذا الشاب الأنيق ، الذي هجر عمله وغادر مكتبه في بيروت ، وهرول الى قريته ، فتناول بندقيته ، وهذا التاجر الذي لا يملك من حطام الدنيا سوى حانوت صغير ، في قرية صغيرة ، باعه في ليلة ، فاذا كل ما يملك ، لا يزيد على ثمانمائة ليرة ، اشترى بها بندقية وجاء الى بشامون ، ملبياً نداء الوطن ، نداء الحكومة الشرعية .

كانت كل ساعة تمر ، تحمل الى بشامون عدداً جديداً من المحاربين ، لا يكادون يقبلون على القرية ، حتى يموج الوادي بالحداء والزغاريد ، فتعلم الحكومة الشرعية أنه قد جاءت النجدات ، فتشيع الغبطة في النفوس ، وتزداد الثقة في بلوغ البلاد أمانيها الحقة [٩] .

فما ان أقبل يوم الأحد في الرابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ، حتى أصبحت بشامون تعج بعدد غير قليل من المقاتلين ، وأضحت دورها أشبه بثكنات عسكرية

(٨) ان من طبيعة القروي اللبناني التفاني والاخلاص في سبيل المثل العليا . وهو شديد الحساسية ساذج يؤمن بزعمائه ولا يشك باخلاصهم . أما اليوم فقد يصعب على القوم خداعه ولن يلبي النداء .

(٩) خدمة للتاريخ أقول ان اكثر القادمين كانوا عزلا من السلاح .. ولكنهم كانوا يشجعون الأفراد المسلحين بنخواتهم وحداثهم ..

لا ترى فيها الا المسلحين ، ولا تسمع إلا صلصلة البنادق . فكان لا بد والحالة هذه من تنظيم هذا الجيش وتعيين قواد له والتفكير في أمر إعاشته والسهر على راحته .

قواد الحرس الوطني

وكان في جملة من وفد على بشامون ، ثلاثة شبان مختلفي العقلية والأخلاق والنشأة ، ولكنهم متفقون في حماستهم وتعلقهم بالاستقلال ، وتفانيهم في سبيل قضية بلادهم .

كان أولهم نعيم مغبغب، وهو مسيحي من عين زحلتا في لبنان، يحمل شهادة الحقوق من الجامعة المصرية، وهو لبناني الأصل مصري المولد والنشأة، وفد على لبنان ليحترف الصحافة ، فلما انفجرت الحوادث وهب نفسه للثورة والجهاد ، فرأته البلاد صحفياً يحرر علامة الاستفهام ، فيطارده الأمن العام ، فينتقل بجريدته السرية الثورية من مطبعة إلى مطبعة كل ليلة . وأخيراً ذهب الى بشامون يضع نفسه تحت تصرف الحكومة . ولعمر الحق أن نعيم هذا أبلى بلاء لا ينكر في أثناء الأزمة ، وقد كان أيضاً من الذين غمط حقهم فيما بعد ، حتى انه حرم من وسام الجهاد .

وثاني هؤلاء الفتيان ، منير تقي الدين ، كان يدرّس في العراق عام ١٩٤٠ ، وعاد ليلتحق بالجامعة الأميركية عام ١٩٤١ ليتابع دروسه في صف الجونيور . ولما كانت أزمة تشرين الثاني ١٩٤٣ التحق بالحكومة الشرعية متطوعاً .

وثالثهم أديب البعيني [١٠]، وهو جندي من رجال الدرك اللبناني كان مركز وظيفته في جرود عكار على بعد مائة وثلاثين كيلومتراً من بيروت ، فما كاد يسمع بحوادث نوفمبر حتى هرول الى بيروت ومنها الى بشامون. وأديب هذا آية في القوة والشجاعة : عريض المنكبين ، واسع الصدر ، كبير اليدين ، له أصابع كأنها الفولاذ ، اذا نظرت اليه خلته قطعة قدّت من صخر . وهو الى ذلك خبير بانواع

(١٠) رحم الله أديباً . لقد قتل في ليلة رأس السنة في ٣١ كانون الاول ١٩٤٣ في حادثة عادية في بيروت . وكم كان يود لو يقتل في بشامون . ان اديباً مثال رائع للشباب . يرحمه الله.

السلاح، عارف باسرارها، وقد وهبه الله قوة بدنية لا تدانيها قوة رجل من الرجال. ومما يروى عنه انه كثيراً ما يكون مسافراً من بيروت الى عكار في سيارة اجرة قديمة ، فتثقب عجلة من العجلات ، وينزل السائق ليرفع السيارة على الآلة الرافعة ، فينحدر أديب من مقعده ويأخذ السيارة بكلتا يديه فيرفعها هنيهة من الزمن ريثما يثبت السائق تحتها الآلة الرافعة .

هؤلاء الفتيان الثلاثة اختارتهم الحكومة لقيادة الحرس الوطني ، لكن القيادة الفعلية كانت لنعيم .

جيش دفاع لا جيش هجوم

وانصرفت الحكومة بعد ذلك الى تنظيم المحاربين يعاونها في ذلك القواد الثلاثة ، ثم راحت توضح لهم المهمة الملقاة على عاتقهم ، وهي الدفاع عن الحكومة الشرعية المتحصنة في بشامون وردكل اعتداء عليها . وكانت الحكومة تحرص على ان يعرف كل قائد وكل مقاتل ان جيش الحرس الوطني جيش دفاع لا جيش هجوم ، وان الحكومة لا تريد ان تهاجم احداً او تقاتل احداً او تعتدي على احد [11] وانما هي حكومة شرعية دستورية تريد ان تظل طليقة لتتابع الجهاد باسترداد الدستور واعادة المعتقلين الى مراكزهم ، وهي قد عهدت الى الحرس الوطني ، بالمحافظة على سلامتها . وكان مجيد ارسلان يكرر عبارات الحظر على رجاله ، من مهاجمة الفرنسيين ، لمعرفته بالمحاربين الذين تحت تصرفه . فقد كانوا متعطشين الى القتال ، وكانت صدورهم تغلي بالحماسة والثورة ، وكان افراد الحكومة جميعاً ، يعرفون ان هؤلاء المقاتلين ، عندما غادروا بيوتهم ونساءهم واطفالهم ، كتبوا وصاياهم ، وودعوا اهلهم ، على انهم غير عائدين الا منتصرين ، او جثثاً محمولة على الاعناق .

وكان بين افراد الحرس ، كثيرون من الشبان المثقفين ، الذين يتقنون عدة

(١١) شدد الجنرال سبيرز على افراد الحكومة هذا الامر قائلا ان الحكومة ليست عصابة بل يجب ان تظهر امام العالم انها صاحبة الحق في النزاع وليست مغتصبة .

لغات اجنبية ، كما كان بينهم ، كثير من ابناء اكبر الاسر ، من مسيحية ودرزية . وكان بينهم اطباء اسنان واطباء ومحامون ، يأبون الا ان يناموا في الخنادق مع رفاقهم المحاربين ، ويأكلوا من طعامهم ، ويقوموا بالخدمة العسكرية مثلهم .

وكانت اسلحة الحرس الوطني ، تتألف في كثرتها الساحقة ، من البنادق الحربية من مختلف الاجناس وبعض المترايوزات [12] .

وكان مع المحاربين قنابل يدوية كثيرة ، وهي قذائف يحسن ابناء الجبل استعمالها على خطرها الشديد ، وكثيراً ما فجروا عدداً كبيراً منها ، في افراحهم واعراسهم ، كما فعلوا قبل ذلك بمدة وجيزة ، يوم فوز بشاره الخوري بالرئاسة ، ويوم تعديل الدستور في ٨ تشرين الثاني .

وأما عدد أفراد الحرس الوطني ، والعناصر التي كان يتألف منها فهذه حكايتها : وفد مراسل حربي اميركي على بشامون ، في الخامس عشر من شهر نوفمبر ، وطلب مقابلة وزير الدفاع ، فأذن له فقال المراسل : «يزعمون ان حركة المقاومة التي تقودها الحكومة تصطبغ بصبغة طائفية ، وانها تعتمد في القتال على أبناء الدروز ؟» فضحك الوزير ، وبعث بطلب نعيم ، فلما حضر ، قال له وزير الدفاع : « أجب على سؤال المراسل» ، وأعاد عليه السؤال ، فقال نعيم : « أنا مسيحي من لبنان ، ويزيد المحاربون المسيحيون في الحرس الوطني ، على خمسة وعشرين بالمائة ، من مجموع القوات.» فالتفت المراسل الى رئيس الحكومة وقال: «وكم يبلغ عددهذا الجيش ؟» قال الرئيس : « هذا سر لن أفشيه ، ولكن ساني ما هي القوة التي تستطيع الحكومة ان تصدها؟» . قال المراسل ، وقد احمرت وجنتاه : «عذراً ياسيدي لقد أخطأت ، فهل لي بالجواب على السؤال الذي ذكرته أنت ؟ » قال الرئيس : « اننا قادرون على رد عشرة آلاف مهاجم ، بكامل المعدات . وسترى إذا هوجمنا صدق قولي هذا [13] ».

(١٢) اكثر البنادق الحربية كانت من صنع انكليزي والماني .

(١٣) ان نكتة الأمير مجيد كانت ضرورية في ذلك الوقت . لكن الحقيقة ان عدد الافراد المسلحين لم يتجاوز المائتين.وقد تضاربت الاقوال فيما بعد عن عدد الحرس الوطني . وانا كرجل كان في جملة أفراد الحرس اؤكد ان ما أقوله هو الحقيقة دون مبالغة .

اعاشة الحكومة والجيش

كان أفراد الحرس الوطني ، يقضون أيامهم ولياليهم في الخنادق ، بين أشجار الزيتون وراء المتاريس التي أقاموها ، ولم يتركوها لحظة ، فكان من الواجب إيصال الطعام والماء والسجائر والأغطية الثقيلة اليهم ،لأن البرد كان شديداً ، ولاسيما في الليل . وأما أسرّتهم فكانت الأرض يفترشونها ، ويسندون رؤوسهم الى الحجارة ، ويستغرقون في النوم ، حين يؤذن لهم به ، وأيديهم على بنادقهم لا يتركونها دقيقة .

وكانت بشامون ، تضيق بالوافدين عليها من بيروت ومن مختلف الأنحاء . فتطوعت القرى المجاورة ، ولا سيما عين عنوب وشملان وعيناب ، لتخفيف ضغط الأهلين عن بشامون ، ففتحت منازلها لاستقبال الوافدين ، وأرسلت الى المحاربين كل ما تملك من أغطيه وفرش ولحف ووسائد ، كما راحت تعجن الدقيق وتصنع الخبز بعشرات ألوف الأرغفة . ثم لم يكد يمضي يومان على استقرار الحكومة في بشامون ، حتى شرعت القرى البعيدة ، ترسل الى بشامون ، على سيارات الشحن الكبيرة ، مقادير عظيمة من السكر والأرز والبطاطس والحنطة والدقيق والسمن والعسل والموز والعنب والتين المجفف . فكانت السيارات تفرغ قسماً من حمولتها في عين عنوب ، ثم تتابع سيرها الى بشامون ، فتفرغ فيها الباقي وتعود على أعقابها لتأتي بشحنات جديدة .

ومن أروع ما حدث ، أن وفد على بشامون شيخ متهدم يقود حماراً محملاً مؤونة قليلة متواضعة ، هي كل ما كان يملكه الشيخ في منزله من مؤونة ، لفصل الشتاء. حتى اذا بلغ القرية ،حط حمل حماره في ساحة بشامون ،ونادى أحد الغلمان ، وقال له : أدعُ من يوصل هذه المؤونة للحكومة . قال ذلك وقفل راجعاً من حيث أتى ، دون ان يعرف اسمه احد ،وربما قضى الشيخ ليلته تلك على الطوى ليطعم رجال الثورة[١٤] .

---

(١٤) ان التخمة التي اصابت غالبية رجال الاستقلال فيما بعد جعلتهم يتناسون هؤلاء الناس الذين اهملوا وأحرقوا ليضيئوا قصوراً كانت ستبقى مظلمة لولا ايمانهم .

وتلقت الحكومة يوماً رسالة موجهة الى حبيب ابي شهلا ، رئيس البلاد ، من سيدة في الدامور ، ارسلت الى الحكومة ثلاث دجاجات هي كل ما تملك ، وقرطاً من الموز ، وحفنة من الزبيب الجاف ، وعشرة أرغفة ، وطوت هديتها تلك على رسالة تقول فيها : هذا كل ما عندي ، فمتى عاد زوجي من شغله على طريق فلسطين ، اشتريت لكم هدية جديدة . فلما وصل الرسول ، واطلعت الحكومة على الرسالة بعث ابو شهلا الى المرأة بخمسين ليرة وناول الرسول خمس ليرات . ثم كتب بطاقة شكر للسيدة وصرف الرسول . وكان الرئيس يقول ويردد :ان أمة فيها مثل هذه المرأة لا تموت [١٥] .

وتدفقت الهدايا ، وتوالى مجيء سيارات الشحن ورواحها : هذا قطيع من الغنم والماعز ، يزيد على مائة رأس ، هو هدية ثلاث قرى ساهمت في شراء القطيع ،وهذه اكياس من السجائر ، فيها ما يزيد على عشرة آلاف سيجارة ، مرسلة من المؤتمر الوطني في بيروت ، باسم الحرس الوطني . ثم ها هو السمك يصل الى بشامون ، رأساً من البحر ، بكميات هائلة ، بحيث استطاع اكثر من الف شخص ان يأكلوا سمكاً طازجاً في ذلك اليوم [١٦] .

ان لبنان لم ير في تاريخه حماسة تشبه حماسة الشعب للجهاد . فالمقاتلون يتلقون الأطعمة والسجائر في مواعيدها ، ويتناولون وقعاتهم الثلاث في اليوم ، فلا يعوزهم شيء ، وأكثر من الف شخص يأكلون على أسمطة مدت في بشامون ، ولا تزال المؤن تتدفق والأقبية تفيض بها . ان حكومة الثورة ، تواجه مشكلة اسمها مشكلة الاعاشة والتموين[١٧] . كانت العاصمة مقفلة، ولكن الشبان كانوا يقصدون الى المزارعين

---

(١٥) هذه السيدة هي امرأة الاستاذ فهد الغريب، من قصبة الدامور وزوجها معلم في المعارف اللبنانية، لا يتجاوز راتبه المائتي ليرة لبنانية .

(١٦) جورج عجرم ارسل السمك ، وهو صاحب صالة للرقص في بيروت ، ورفول موقدية ، صاحب اوتيل نورمندي ، وشريكه بشاره تابت .

(١٧) من حظ لبنان ، ان الازمة لم يطل أمدها ، ولولا ذلك لكان الرخاء عم القرية ، وتخمت بعض الزعماء . ومن ذلك الوقت ، شعرنا ان الثورة ناجحة حتما ، وان لبنان قد تقرر مصيره سلفاً ، وسوف يعطى الاستقلال حسب الخطة المرسومة.

في ضواحي بيروت، فيطلبون اليهم ارسال محاصيلهم الى بشامون، فيهب المزارعون هبة واحدة لتلبية الطلب . وكثيراً ما كانت تقدم على موائد بشامون ، أطعمة وثمار حرمت منها بيروت ، طيلة مدة الأزمة ، فكانت الحكومة تستبقي زائريها على مائدتها .

٢. الحكومة تعمل

وضعت الحكومة منذ ان استقرت في بشامون ، خطة للعمل ترمي الى بلوغ هدف واحد لا ثاني له ، وهو اعادة الحياة السياسية الى ما كانت عليه قبل اعتداء ١١ نوفمبر . اما الوسائل الى ذلك ، فهي وقوف البلاد صفاً متراصاً وراء زعمائها المعتقلين ، ونوابها المجاهدين ، وحكومتها الساهرة ، وإفهام الفرنسيين ان كل محاولة لشق الأمة ، بعضها على بعض يُقضى عليها بالاخفاق ، وكل سعي الى فرض حل غير الاستقلال ، لا يزيد النار الا اشتعالاً ، وان لبنان لا يرضى عن الدستور بديلا ، وانه مستعد لبذل الدم والأرواح ، في سبيل حريته واستقلاله .

وكان على الحكومة وهي في بشامون ، ان تعنى بمسائل رئيسية ثلاث ، اذا عالجتها على الوجه الأكمل ، فقد ضمنت تحقيق اماني البلاد . واولها المحافظة على سلامتها ، لتبقى حرة طليقة ، تعمل على تنفيذ خطتها ، وبلوغ هدفها . وثانيها الحرص على وحدة الأمة ، واتفاق كلمتها ، لتظل واقفة وقفة الجبابرة ، في وجه المعتدين . وثالثها إسماع العالم كلمة لبنان عن طريق حكومته الشرعية ، ومجلس نوابه ، كأبلاغ الهيئات السياسية العالمية والأقطار العربية ، وجهة نظر الشعب اللبناني ، في ازمة كان لبنان فيها من اولها الى آخرها ، المعتدى عليه ، وكان الفرنسيون هم المعتدين .

فأما المحافظة على سلامة الحكومة ، فقد تكفل بها الحرس الوطني ، واطمأنت الحكومة الى التدابير التي اتخذها ، وانصرفت الى عملها الاداري والسياسي .

كان على الحكومة قبل كل شيء ، ان تظل متصلة بالعاصمة ، اتصالاً مستمراً غير منقطع ، في أي ساعة من ساعات الليل والنهار ، مطلعة على ما يجري فيها ، وان تقود الشعب ، وتوجهه وتحافظ على اضراب المدن اللبنانية ، وتشلّ كل حركة فيها ، ليفهم العالم ان لبنان بلد اذا عُطل دستوره، تعطلت كل حياة فيه . ولم تكن الحكومة في حاجة الى كبير عناء للوصول الى هذه الغاية ، فقد كان الشعب شاعراً بعظم التبعة الملقاة عليه ، وكان يسبق رغبات الحكومة في كثير من الاحيان .

كانت بشامون على صلة دائمة بالامة ، بواسطة منظمات الشباب والنواب ، وجماهير الزائرين الذين جعلوا بشامون كعبة لهم ، يحجون اليها بالمئات كل يوم .

وكان شباب المنظمات ، خير من يعتمد عليه في اذاعة مقررات الحكومة ، وابلاغ اوامرها الى مختلف الجهات ، والمحافظة على الاسرار التي يؤتمنون عليها ، وكم مرة غادر فتى من فتيان الكتائب او النجادة بيروت تحت جنح الظلام ، مجازفاً بحياته وحريته ، ليبلغ الحكومة رسالة ، او يطلعها على اذاعة تعنى بلبنان ، او ليسألها سؤالاً ينتظر اصحابه الجواب عليه في بيروت ، او طرابلس او صيدا ، فما ان يصل الى بشامون ، ويؤدي الرسالة ويتلقى الجواب ، حتى يقفل راجعاً من حيث اتى ، فيوصيه افراد الحكومة ، ان يكون على حيطة وحذر ، ويشيعونه بابصارهم وقلوبهم ، حتى يبتلعه الليل [١٨] .

وقع رسالة ملك مصر في بشامون

وتشاء العناية ، ان تشرع الحكومة في عملها ، في جو من الحماسة غمر الجميع ، إذ ما كادت تستقر في بشامون ، حتى وافتها برقية الفاروق ملك مصر ، الى رئيس الجمهورية المعتقل ، وربما كانت هي المرة الاولى ، التي يتخطى بها الملك التقاليد ، فيخاطب رئيساً معتقلاً ، فكان وقع البرقية عظيماً على الحكومة والمقاتلين والناس جميعاً . وتفاءل اللبنانيون بها ، وعدوها فاتحة خير عميم ، في بدء محنتهم

(١٨) زهير عسيران من النجادة، عبده صعب من الكتائب ، وعدنان الحكيم وغيرهم ممن فاتني ذكرهم . وقد اطلقت الحكومة على زهير عسيران لقب البوليس التركي لنشاطه واخلاصه واقدامه .

تلك . وكان يطاف بالبرقية على المحاربين ، فيصغون اليها ، حتى اذا ذكر اسم الفاروق قابلوه بالزغاريد والرصاص . فاما الحكومة فقد راح اعضاؤها يهنئون بعضهم بعضاً ويقولون : لقد اصبحت قضيتنا قضية مصر، واخذها الفاروق بكلتا يديه وانا لواثقون من انه لن يتخلى عنها ، حتى يراها قد حلت على الوجه الذي يريده اللبنانيون .

جهاد مصر وجهاد لبنان

وكان يوم السبت في ١٣ نوفمبر، وهو عيد الجهاد الوطني في مصر، وكان الرئيس ابو شهلا قد قال في ذلك اليوم ، انه يراهن على ان النحاس باشا رئيس الوفد ، ورئيس حكومة مصر ، سيذكر لبنان في خطبة العيد ، واضاف الرئيس الى ذلك قوله : اليس جهادنا في سبيل حريتنا واستقلالنا يشبه جهاد مصر وزعيمها الخالد سعد وخليفته النحاس في سبيل مصر واستقلالها ودستورها ؟

فلما اقبل المساء ، حمل الشبان الى بشامون نص خطبة النحاس ، ورأت الحكومة كيف حوّل رئيس الحكومة المصرية عيد الجهاد المصري ، الى عيد جهاد في سبيل لبنان . فكان رئيس الحكومة واعضاؤها ، يعيدون تلاوة الخطبة عبارة عبارة ، وكلهم فرحون مغتبطون مستبشرون. ويلتفت الرئيس ابو شهلا الى زملائه ويقول : ألم اقل لكم ان النحاس لن ينسى لبنان ، وها هو رفعته طوق عنقنا بجميل جديد ، واسدى الينا يداً بيضاء لن ينساها اللبنانيون ابد الدهر . لقد نفذت الى جميع القلوب ، تلك العبارات التي اضفى عليها النحاس من عاطفته الجياشة بالوطنية ، ما جعلها تخفق وتنبض بالحياة .

وراح ابو شهلا يقرأ على الجماهير المحتشدة ، في بشامون ، مقاطع برمتها من خطبة رئيس الحكومة المصرية الجليل ، فيصفق الناس ويستعيدون الخطبة .

لو يدري مصطفى النحاس اي تحية حارة ارسلها اليه في تلك العشية ألوف من اللبنانيين ، من قرية صغيرة تدعى بشامون !

لو يدري كيف آمنت الحكومة اللبنانية، منذ تلك الساعة، بان قضيتها منتصرة، باذن الله، وقد سارعت الى تأييدها حكومة مصر وشعب مصر!

بدأت الحكومة عملها في هذا الجو من الحماسة، فوجدت في برقية مليك مصر، وخطبة النحاس خير حافز لها على الجهاد، فمضت تعمل لا تفتر لها همة، ولا يعتريها كلل.

منع اميل اده من الانفاق من اموال الامة [19]

ارسلت الحكومة امرين، للحؤول دون مدّ إميل إده يده الى اموال الأمة، الأول: الى المدير العام لمصرف سورية ولبنان. وهذا المصرف هو مصرف الدولة الرئيسي، وهو في الوقت ذاته بنك الاصدار في سورية ولبنان، والثاني: الى امين صندوق الخزينة اللبنانية.

فحمل احد الشبان الأمرين لابلاغهما. فلما تلقى المصرف كتاب الحكومة، دعا اعضاء مجلس إدارته في الحال، للنظر في ما يجب عمله. فاجتمع مجلس الادارة وظل يتناقش اكثر من ثلاث ساعات. واخيراً أجمع رأيه، على وجوب الاذعان لأمر الحكومة الشرعية، وإصدار تعليماته بهذا المعنى، إلى جميع موظفي المصرف للتقيد به.

واما امين صندوق الخزانة اللبنانية، وهو موظف في وزارة المالية، فقد تلقى الأمر وحمله من فوره الى مدير المالية فاحتفظ هذا به ولم يؤشر عليه بشيء [20].

(١٩) راجع مجموعة الوثائق في آخر الكتاب.

(٢٠و٢١) راجع مجموعة الوثائق في آخر الكتاب. ولقد عجبت لاختفاء ذكر جورج حيمري، الذي كان يشغل وظيفة مدير غرفة الرئاسة. فقصدت اليه، وسألته عن هذا الأمر، فأفاد بما يلي: يوم اعتقال الرؤساء استدعتني المفوضية العليا، وأبلغتني وجوب تعاوني مع اميل اده. وطلب الي السيد بوغنر، أن أنزل الى السراي برفقة الرئيس الجديد، فلما وجدت نفسي عاجزاً عن مخالفة أوامره، ذهبت الى بيتي وتمارضت. وهذا أضعف الايمان. أما فريد حبيب، الذي عين محافظاً للجنوب في ذلك الوقت، فقد أخبرني انه قدم كتاب استقالة من وظيفته حين بلغ مرسوم تعيينه، واما كتاب الاستقالة المشار اليه فموجود في اضبارات وزارة الداخلية بتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٣.

وكان من نتيجة هذا التدبير، ان إميل إده لم يستطع ان ينفق من اموال الأمة، طيلة الأيام الأحد عشر التي تولى فيها رئاسة الحكومة غير الشرعية، سوى مائة واثنتي عشرة ليرة لبنانية، دفعتها وزارة المالية سهواً، إلى أحد أصحاب الحوانيت، تعويضاً له عما ألحقه بمحله المتظاهرون من ضرر، حين رشقوه بالحجارة، واكرهوه على إقفاله.

وهكذا حافظت الحكومة على اموال الأمة، كما حافظت على دستورها.

على موظفي الحكومة ان يضربوا عن العمل [21]

وابلغت الحكومة جميع الموظفين، وجوب الامتناع عن الحضور الى مكاتبهم، وعدم التعاون مع حكومة غير الحكومة الشرعية. فنفذ الموظفون في كثرتهم الساحقة هذا الامر. وتعطلت اعمال الدواوين، واقفلت وزارات كثيرة ابوابها، طيلة ايام الازمة، ولم يستطع إميل إده، ان يجد في السراي احداً يعاونه، او يتلقى اوامره، إلا بضعة موظفين صغار.

صورة اميل اده على طوابع البريد

واصدرت الحكومة مرسوماً بابطال طوابع البريد اللبنانية التي تحمل صورة إميل إده، واعتبارها غير صالحة. وهي طوابع كانت إدارة البرق والبريد قد اصدرتها، يوم كان إميل إده رئيساً للدولة اللبنانية في سنة ١٩٣٧.

وعينت الحكومة، بناء على اقتراح الكولونيل فوزي طرابلسي، الليوتنان كولونيل فليمون خوري، قائداً لموقع بيروت. وأبلغه الكولونيل هذا التعيين، وارسل اليه تعليمات تقضي بان يتخذ الدرك موقفاً ايجابياً من حركة الثورة والاضراب. وقد كان لهذه الارشادات، أثر كبير في هذا الموقف.

(٢١) راجع مجموعة الوثائق في آخر الكتاب.

توزيع الاعاشة على الاهلين [٢٢]

وخشيت الحكومة، ان يحول اضراب المدينة ، دون توزيع الاعاشة على الأهلين ، ووصول الحنطة اليهم في مواعيدها ، فأرسلت الى مدير التموين الكتاب التالي :

حضرة مدير التموين المحترم – بيروت

نرغب اليكم ان تبادروا الى توزيع الاعاشة على الاهلين عن شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الجاري، وذلك في أقرب وقت ، وان تجري اعمال التوزيع بمنتهى الدقة والسرعة . واقبلوا فائق احترامنا .

صدر عن مقر الحكومة اللبنانية الدستورية الشرعية في بشامون – لبنان .

وزير التموين
مجيد ارسلان

باسم مجلس الوزراء والقائم باعمال رئيس الجمهورية
حبيب ابو شهلا

الى الشعب

وكانت الحكومة تخاطب الشعب ، وتطلع الأمة على ما تتخذه من مقررات واجراءات ، وتطلب اليها ان تساعدها على تنفيذها . فكان الشبان ، يتولون طبع بلاغات الحكومة ، وتوزيعها على الشعب ، فكانت تقابل بحماسة لا حد لها ويقبل الجميع على التقيد بها ، والعمل على ان لا يشذّ عنها أحد.

(٢٢) لبنان الاستقلال «١١» الجامعة الاميركية .

٣. من مذكرات بشامون

●

الاحد في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣

الساعة الثانية بعد الظهر – الحكومة تفكر في احتلال بيت الدين

رئيس الحرس ، يلقي على حرس السراي ، أوامر شديدة سريعة . حذار ان يدخل على الحكومة احد ، أو يعكر عليها خلوتها . ليظل طعان ومعروف على اتصال بالقائد نعيم ، وليبلغاني رسالة منه كل نصف ساعة . وإذا جاءنا زائرون من بيروت ، فاستقبلوهم في البهو الخاص بالنوم ، وابعثوا إلي باسمائهم .

دخل أفراد الحكومة « السراي » ، وعلى وجوههم امارات التفكير . فانعقد مجلس الحكومة على الفور ، ثم طرح مشروعاً يرمي الى الزحف على بيت الدين ، واحتلال دار الحكومة فيها ، ودعوة الموظفين ورجال الدرك والشرطة الى الالتحاق بالحكومة هناك . قال وزير الدفاع : ان بيت الدين مركز ممتاز لنشاطنا وجهادنا ، فاذا بلغناها ثار الشوف كله وثار لبنان ، ثم اننا نطرح الصوت على اخواننا ابناء حاصبيا وراشيا ، فيلبون النداء . فاذا استقرت الحكومة في بيت الدين ، واحاطت نفسها بالحرس الوطني القوي، فيمكننا ان ندخل سراي الحكومة في بيروت ، في أقل من ثلاثة أيام . والتفت الى رئيس المجلس مبتسماً وقال : وتفتح امامنا ابواب البرلمان ، يا صديقي الرئيس ...

تلقت الحكومة الفكرة بحماسة كبيرة، وطرب لها الرئيس ابوشهلا بنوع خاص، وكان في جملة ما قاله : ان بيت الدين تبعث في نفوس اللبنانيين ذكريات مجيدة، فهي سراي الأمير بشير الشهابي الكبير ، وكثيراً ما طالب اللبنانيون حكومتهم بان تجعلها مصيفاً لها ولموظفيها . وأضاف ابوشهلا الى ذلك قوله : لقد فكر رئيس الجمهورية بشاره الخوري نفسه ، في جعلها مصيفاً ، فلماذا لا ننفذ نحن فكرته الآن ، ونوافق على ان تنتقل الحكومة الشرعية الى بيت الدين ، يحميها من جهة ابناء دير القمر الأشداء ، ومن جهة ابنـاء بعقلين ، ويحنو عليها المسيحيون والدروز سواء بسواء ، فتكون الحكومة الشرعية ، قد وثقت عرى الألفة والاتحاد بين اللبنانيين، واللبنانيون اليوم جميعاً قد عقدوا الخناصر ، وألفوا القلوب على تأييد قضيتهم ، وهي قضية الكرامة والعزة والاستقلال .

طرب ابوشهلا للفكرة ، وحبذها صبري ، ولكنه عاد الى فكرته الأولى،وهي ان ينتقل الى بلاد بعلبك والهرمل وقال : اعطوني مهلة ثلاثة ايام ، فاوافيكم الى بيت الدين على رأس قوة لا يستهان بها من الفتيان المسلحين .

ظلت الحكومة خمس ساعات ، تدرس خطة احتلال بيت الدين . اما من الوجهة العسكرية ، فقد كانت الخطة سهلة التنفيذ، لان القادمين من هاتيك النواحي وصفوا للحكومة حماسة الاهلين ، وان رجال الدرك مستعدون حالاً للانضمام الى الحكومة.وكان اجمل مافي الفكرة ، ان ابناء دير القمر وهم « جمرة المسيحيين » في لبنان ، متحمسون للحكم الوطني تحمساً كبيراً ، وانهم مضربون منذ يومين ، ويتظاهرون احتجاجاً على اعتقال رئيس البلاد الاعلى وافراد حكومته ، ولا سيما ان بين الوزراء المعتقلين ، وزير الداخلية كميل شمعون ، وهو ابن دير القمر ، وفتى فتيانها المحبوب . ولم يكتف ابناء الدير بالاحتجاج ، بل تسلحوا وارسلوا العشرات من فتيانهم الى بشامون ، فانضموا حالاً الى قوات الحرس الوطني ، واتخذوا مكاناً لهم في المتاريس ، مع رفاقهم فتيان بني معروف .

وبعد تقليب المسألة عـــلى شتى وجوهها، وافقت الحكومة على الفكرة، وكان عندها في بشامون عدد من سيارات الشحن الكبيرة، فضلاً عن سيارات الركاب ،

وارسل الرئيس رسلاً الى القرى المجـاورة ، ليأتوا بسياراتهم ، وملئت خزانات السيارات بالبنزين ، وتقرر ان يزحف المقاتلون ، امام الحكومة الى بيت الدين في منتصف الليل، فيحتلوها عند الفجر ، فلا تشرق شمس الاثنين حتى تكون الحكومة في سراي الامير بشير .

ولكن حوالى الساعة السابعـة مساء ، وصل فريق من اعضاء مجلس النواب ، يحملون الى الحكومة آخر الاخبـار . قالوا ان وزير بريطانية في مصر ، كايزي ، يصل الليلة او غداً الى بيروت ، وهو قادم خصيصاً لحل الازمة ، وجميع المواطنين يشيرون على الحكومة ان تبقى في مكانها ، وتحيط نفسها بالقوة الكافية ، لرد كل اعتداء قد يقع عليها. واضافوا ان اليوم التالي، الاثنين ، سيكون فاصلاً في تاريخ هذه الازمة ، فعلى الحكومة ان تتريث وتنتظر .

عند ذلك سأل الرئيس النواب : ما رأيكم في ان تحتل الحكومة سراي بعبدا، او بيت الدين ؟ فقالوا لا تفعلوا شيئاً ، ولا تأتوا بحركة . البلاد ملتفة حولـكم ، ودول العالم لاتعترف الا بالحكومة الشرعية ، المقيمة في بشامون ، وملوك العرب وامراؤهم وحكوماتهم وشعوبهم يزمجرون زمجرة الاسود ، فاما ان ننال مطالبنا ، او نشعلها ثورة دامية ، لا تبقي ولا تذر، فدعونا نأخذ الامور بالتأني. فلما انصرف النواب ، قررت الحكومة ان تظل على قدم الاستعداد وان تستفيد من هـــذه المهلة، فتبعث الرسل ، وتبث العيون والارصاد حول بيت الدين ، والطرق المؤدية اليها، وتؤجل الى الليلة التالية امر الزحف عليها ، لترى ما يكون من شأن كايزي ، وقدومه الى بيروت .

ثم وصل شابان قادمان الى بيروت من عاليه ، عن طريق سوق الغرب ، واخبرا الحكومة ان الفرنسيين قد حشدوا قوة كبيرة من السنغاليين والقناصة في سوق الغرب ، وان احد افراد القناصة اللبنانيين ، اخبروه انهم ربما هاجموا بشامون هذه الليلة ، وكلفه ان يحيط الحكومة علماً بذلك لتكون على حيطـــة وحذر . واضاف الرسولان : يقول لـكم جنود القناصة اللبنانية، وكذلك رفاقهم السوريون انهم اذا تلقوا الاوامر باطلاق النار عليكم ، فسوف يعصون الامر . انهم يفضلون ان

يديروا افواه بنادقهم الى صدورهم ، وينتحروا من ان يصوبوها الى صدور الحرس الوطني ، حماة الحكومة الشرعية .

جاءت هذه الاخبار بعد نصائح النواب ، فعدلت الحكومة نهائياً عن الزحف على بيت الدين . وكان من اهم الاسباب ، التي أهابت بها الى البقاء في بشامون ، خوفها ان يعزى انتقالها الى بيت الدين، الى تهربها من مقاتلة الجيش ، فيسمى انتقالها هزيمة وفراراً ، وكذلك تسلموا نصيحة سبيرز ، بعدم تنفيذ الفكرة [٢٣] .

في خطوط القتال

اخذ قواد الحرس الوطني يتفقدون خطوط القتال . ولما عادوا بعد ساعتين ، قبيل منتصف الليل، رووا على أعضاء الحكومة ما رأوا وسمعوا. وكانوا قد حذروا المحاربين ، ان السنغاليين قد يشنون هجوماً على بشامون هذه الليلة، فأخذتهم النشوة، وراح كثير منهم ، يرقصون ويزغردون ، ويقذفون بنادقهم في الهواء، ثم يلتقطونها ويقومون بحركات عصبية غريبة . ثم توسلوا الى القيادة ان تأذن لهم بان يهاجموا هم سوق الغرب ، قبل ان يهاجمهم الفرنسيون . وقالوا : نأتيكم برؤوسهم ، ولو كانوا من الجن ، لا من الانس . وقد لقي القواد عناء كبيراً في اقناعهم، بوجوب انتظار العدو ، ورده اذا هاجم ، وافهامهم ان مهمتهم تنحصر في الدفاع عن الحكومة المستقرة في بشامون ، لا اكثر ولا اقل . قال القواد : اذا كنا نخشى شيئاً ، فاننا نخشى أن يفلت زمام الأمر من ايدينا ، وتتغلب الحماسة على الشباب فيهجموا على السنغاليين ، لا يقف في وجههم احد ، ولا يردهم عن ذلك شيء .

الفرنسيون يهاجمون بشامون

فلما كانت الساعة الثالثة والنصف ، من اصيل يوم الاثنين الخامس عشر من

(٢٣) كتاب اللايذي سبيرز ص ٩٩ . حيث تقول : « وفي كل مرة كان ادوارد ينجح في وقفهم. لقد نزلوا عند نصيحته واحجموا عن القيام بأي عمل. وبذلك حقنت الدماء التي سالت في سنة ١٩٢٥ ...»

شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٣ ، وصل من سوق الغرب فتى يعدو ، وقد قطع بضعة كيلومترات ركضاً ، فارتمى على ارض السراي لاهثاً خائر القوى ، وقال ان حملة فرنسية كبيرة ، تزحف في تلك الدقيقة على بشامون ، تتقدمها بضعة سيارات مصفحة ، ووراءها كميونات مشحونة بالجنود ، وامامها دراجات نارية ركزت فيها الرشاشات . فما كاد الرئيس يسمع الخبر ، حتى ارسل بطلب القواد ، ليصدر اليهم اوامره ، ويقرر ان تنسحب الحكومة الى سرحمول . وذهب خمسة شبان مسلحين يرافقون الرئيس أبي شهلا وصحبه .

وكان المتخلفون في بشامون ، من المقاتلين يمرقون كالسهم في تلك اللحظة ، أمام الحكومة، في طريقهم الى الخطوط الامامية . واذا بالجميع يرون صبري حماده رئيس المجلس ، ينتزع من احد أفراد الحرس بندقيته ويتقلدها ، ويهرع في طريق الجبهة ، يريد أن يقاتل مع المقاتلين ، وهو يقول: « لن يقال يوماً أن ابن حماده هرب من الشر!» (والشر هنا معناه الحرب). لكن ادركه المقاتلون من أفراد الحرس. فلما رأوه عرفوه فتعلقوا به قائلين: « اننا لن ندعك تقاتل . ففي ذلك اهانة لنا. انك لن تقاتل ، وانت رئيس من رؤساء البلاد ، الا اذا أصبحنا جميعاً جثثاً ، قد مزقها الرصاص . وعند ذلك ، افعل ما تريد . »

وظلوا به ، حتى أقنعوه ورافقوه إلى حيث كانت الحكومة على أهبة ان تنسحب من بشامون ، بناء على اقتراح ارسلان .

وكان القواد قد وصلوا الى جبهة القتال ، فأخذوا يلقون الأوامر السريعة على أفراد الحرس : « دعوهم يقتربون منكم ما شاؤوا ، ولا تطلقوا النار عليهم الا إذا بادأوكم هم بأطلاق الرصاص. لكن حذار أن يأخذوكم على غرة ؛ ويدخلوا بشامون. ان مهمتنا عسكرية وسياسية في آن واحد . يجب أن لا يقول الفرنسيون غداً ، اننا نحن الذين بدأنا القتال . لكن اذا اطلقوا عليكم الرصاص ، فالقوا بهم إلى جهنم ، واذا انسحبوا ، فدعوهم وشأنهم . »

تلقى أفراد الحرس الأوامر ، وطاروا الى الخطوط الاولى ، بينما كان الأمير يتخذ مكانه على هضبة عالية بعيدة ، ليشرف على مواقع القتال ، وفي يده منظاره،

فيرى ويشاهد كل شيء ، ومعه بضعة عشر شاباً . وما هي إلا دقائق ، حتى ظهرت طليعة القوة الفرنسية ، فكانت الدراجات البخارية تتقدمها مسافة خمسين متراً ، وتروح أمامها وتجيء ، مستكشفة حذرة ، فلا ترى شيئاً . ثم اقتربت المصفحات ، ووراءها الكميونات بعضها مشحون بالزنوج ، وبعضها بجنود القناصة ، وظلت تقترب من البوغاز ، حتى أصبحت على مرمى من بنادق الحرس الوطني . وكان أفراده المختبئون وراء المتاريس ، يصوبون الى الجنود بنادقهم ، ولو شاؤوا لصادوهم صيد العصافير . لكنهم كانوا قد تلقوا أمراً ألا يطلقوا النار الا اذا صدر الأمر ، وان من يخالف ذلك يعدّ جباناً خائناً ، ويقصى عن ميدان الجهاد . فكان هذا التهديد ، أبلغ من التهديد بالعقاب .

وفجأة ، فتحت السيارة المصفحة النار من مدفعها ، وأخذت تصوب الرصاص على بشامون ، وعلى مرابض الحرس الوطني . فانهال عليها الرصاص في لحظة ، كالمطر المتساقط . وكان الزنوج الذين في الكميونات ، يطلقون الرصاص بدون هدف منظور ، فلا يصيبون أحداً ، بل يتساقط الرصاص على حجارة المتاريس . وراح اديب ، يقذف المصفحات بطلقات سريعة من المترليوز ، وهو دائم الحركة ، وسريع التنقل ، والمترليوز على كتفه ، لا يطلق الفوج من الطلقات المتتالية هنا ، حتى يقفز الى مسافة خمسين متراً ، فيطلق الفوج الثاني ، وذلك لكي يلقي في روع الفرنسيين ، ان بضعة مترليوزات ، تعمل في آن واحد .

ولم تدم المعركة إلا دقائق معدودة ، إذ اصيب الجنود المشحونون في الكميون ، وهم لم يترجلوا بعد ، اصاباتٍ عديدة ، فتراجعت المصفحات ، كما تراجعت ايضاً الكميونات ، ولم تستطع هذه أو تلك ، ان تدور على نفسها ، لتواجه طريق الانسحاب ، فانسحبت متقهقرة ، والجنود منبطحون بعضهم فوق بعض ، في الكميونات .

الهجوم الثاني

ولم تمض ساعة ، حتى أعاد الفرنسيون الكرة ، بسبع مصفحات ، ولكن ظلوا على بعد خمسمائة متر من مدخل بشامون ، واطلقوا من مدافع المصفحات ، فوجاً

واحداً من الطلقات ، فقابلهم الحرس الوطني بطلقات سريعة محكمة ، فعادوا على اعقابهم .

ولم يفقد الحرس الوطني احداً من رجاله في هاتين المناوشتين . واما الفرنسيون ، فقد اصيب منهم سبعة جنود في الهجوم الأول ، مات منهم ثلاثة ، على وجه التأكيد . واما في الهجوم الثاني فلم يفقدوا احداً .

الهجوم الثالث

وفي الساعة السابعة ، من صباح اليوم التالي ، الثلاثاء ، السادس عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٣ ، انحدرت من عيتات ، عشر مصفحات مملوءة جنوداً ، ومجهزة بالمدافع . وكان رجال الحرس الوطني ، قد أقاموا الحواجز في الطريق ، وسدوا مدخل بشامون بالحجارة الضخمة والصخور . فتقدمت ثلاث مصفحات دون ان تطلق النار ، حتى بلغت البوغاز ، ورجال الحرس يرونها من مكانهم . وأما المصفحات الأخرى ، فقد رابطت واحدة منها على مفرق شملان ، والثانية ظلت تحت عيتات ، والثالثة كانت تروح وتجيء على الطريق .

فلما اعترضت الصخور طريق المصفحة الاولى ، ترجل منها جنديان ، راحا يحاولان رفع الحجارة من الطريق ، بينما أخذت المصفحة تطلق النار ذات اليمين وذات اليسار ، لتحمي نزول الجنديين . فقابلها الحرس بالمثل ، فصرع الجنديان حالاً ، وأخذ الرصاص يتساقط على المصفحة المتقدمة ، والمصفحتين المتأخرتين . فلا يعمل فيها شيئاً . عند ذلك ، خرج من وراء المتاريس شاب قفز الى الطريق ، وقذف المصفحة بقنبلة يدوية ، كانت في يده ثم هجم عليها بالسيف يريد أن يفتك بمن فيها ، ما دام الرصاص لم يفعل فيها شيئاً . فانهال عليه رشاش من الرصاص مزقه تمزيقاً [٢٤] .

وترجل بعض الجنود من المصفحتين المتأخرتين ، وتحصنوا وراءها ، وراحوا

(٢٤) سعيد فخرالدين من عين عنوب . وقد رأيته بام العين يخاطر بنفسه ويقوم باعمال يعجز اللسان عن وصفها . رحمه الله .

يطلقون النار . لكنهم لم يكونوا يعرفون من أين يأتيهم الرصاص . وكانوا يسمعون في تلك الدقيقة ، زغردة الرجال وقد استروحوا رائحة البارود فأسكرتهم . وراحوا يقاتلون ، وهم يغنون كأنهم في عرس ، فتسري قشعريرة الخوف الى قلوبهم ، ولا يدرون أجناً يقاتلون ، أم بشراً . وهذا الذي هجم بالسيف ، على سيارة مصفحة ، تقذف الموت ، أإنسان عاقل هو أم أسد ضار ؟

ولو شاء رجال الحرس الوطني في تلك الساعة ، أن يأسروا المصفحة الاولى لاستطاعوا ، لان المصفحتين المتأخرتين انسحبتا ، وهما تحملان من أصيب من جنودهما . وكان في وسع المقاتلين ، أن يقطعوا خط الانسحاب على المصفحة ، لكنهم تلقوا أمراً بان يتركوها وشأنها ، إذا كفت عن إطلاق النار . وهذا ما حدث ، فانه حوالي الساعة الثامنة إلا ربعاً ، تقهقرت المصفحة ، والتحقت برفيقتيها ، بعد أن التقط من فيها القتيلين ، وألقوهما في مؤخرة المصفحة .

الهجوم الرابع

وحسب رجال الحرس ، ان الفرنسيين لن يهاجموا بشامون مرة أخرى ، ولن يهاجموها على الاقل ، في ذلك النهار . وقد أخطأوا التقدير . ففي تمام الساعة العاشرة ، ظهرت طليعة قوة مهاجمة جديدة ، سائرة على طريق عيتات . لكنها لم تتقدم كثيراً ، وفعلت فعل القوة التي هاجمت الحرس للمرة الثانية . إذ وقفت عند مدخل عين عنوب ، وراحت تطلق الرصاص على مواقع الحرس ، وتطلق المدافع على بشامون . فصدها رجال الحرس بسهولة ، لانها ما كادت تتلقى أول فوج من الطلقات ، حتى قفلت راجعة من حيث أتت .

وفي هذين الالتحامين ، فقد رجال الثورة رجلًا واحداً هو المرحوم سعيد فخر الدين ، وسقط من جنود الفرنسيين أكثر من خمسة عشر جندياً ، بين قتيل وجريح .

بلاغ الثورة الحربي الوحيد

بعد ظهر ذلك النهار ، أصدر مجيد أرسلان ، باعتباره وزيراً للدفاع وقائداً

عاماً ، البلاغ الحربي الذي حمل رقم ١ ، وسلمه الى الشبان ليذيعوه ، فرددته صحف العالم ، وأذاعته أكثر من خمسين محطة ، بجميع اللغات وكان له دوي عظيم [٢٥] .

بينما كان الرصاص يلعلع

كانت الحكومة قد انتقلت الى سرحمول . وسرحمول قرية صغيرة ، تقع الى غربي بشامون ، وكان الرئيسان وهما يسيران على الاقدام ، في طريق جبلية وعرة ، ثم يجلسان ليستريحا على صخرة منخفضة ، او يسندان ظهريهما الى جذع شجرة عالية ، يعانيان كثيراً من التعب والمشقة والارهاق ، ولكنهما من حين الى حين ، كانت تفلت منهما كلمة طائرة ، يلتقطها من معهما — « أي سياسة حمقاء هذه ، دفعت بالفرنسيين الى اقتراف الآثام التي اقترفوها ، حتى أسالوا الدماء البريئة ، اشباعاً لشهوة موظف احمق ، لا يعرف ما يفعل ، وارضاء لطموح سياسي محترف ، يحرق سيجارة ليشعل بلداً . لقد قطعوا جميع الجسور بيننا ، واقاموا حاجزاً يستحيل هدمه . لقد خسروا كل شيء ، وأما بلادنا ، فستربح كل شيء » .

وينحدر الرئيسان ورفيقاهما في طريق الوادي ، والحصى يتطاير تحت اقدامهما ، في شعاب ضيقة كثيرة المزالق ، حتى يبلغا مجرى النهر الجاف ، فيجلسا هنيهة ، ريثما يستريحان ، ويرفعان الابصار ، ليريا أين هما من الدنيا ، اين هما ؟ في وادٍ بين جبلين ، حكومة تضرب في الفيافي والقفار والأودية والجبال ، وفتية جعلوا صدورهم سياجاً لها .

وينهض الرئيسان ومن معهما ، فيشرعون في التصعيد نحو سرحمول ، حتى اذا بلغوها ، في الهزيع الاول من الليل ، استلقوا على المقاعد ، واستسلموا الى النوم .

الاستقلال يخط بالدم لا بالحبر

وفي سرحمول ، تلقت الحكومة انباء الهجوم على بشامون . تلقتها من فم

(٢٥) انظر مجموعة الوثائق في آخر الكتاب .

(شفيق) [٢٦]، الذي ختم روايته بقوله :«هكذا يكتب الاستقلال بالدم ، لا بالحبر» ويبتسم ابو شهلا ويقول:« لقد كتبنا اول سطر في صحيفة استقلالنا بالاحمر القاني.»

حتى اذا كان اليوم التالي ، تلقت الحكومة رسالة من القيـــادة ، تدعوها الى العودة الى بشامون .

ابن تسعة لا يموت ابن عشرة

وفي الطريق ، لحق بها شيخ طاعن في السن ، فحيا ومضى في طريقـه لا يلوي على شيء . فاستوقفـه رئيس المجلس ، وقال : اين ياعم ؟ قال : الى بشامون، الى الحرب ! قال الرئيس : وأين بندقيتك ؟ قال : هذا كل ما عندي ، وامتشق سيفاً طويلًا وهزه في يمناه قائلًا : هذا الخلوش (السيف) ، يساوي الف بندقية ، لقـد اطعمني في الماضي ، وسيطعمني اليوم . بخاطركم . ابن تسعة لا يموت ابن عشرة .

لعن الله صه اصرنا

وفي الطريق ايضاً ، التقت الحكومة بفتى يسوق حماره ، فروى انه كان قادماً من سوق الغرب ، فاوقفه افراد القناصة وفتشوه ، وانه قال لهم : كيف تأكلون لحمكم بايديـكم ، وانتم لبنانيون وسوريون ، وتطلقون النار على ابناء وطنـكم ؟ فقالوا : اذهب عنا يا رجـــل ، لعن الله من أمرنا ، وأرسلنا الى هنا . وطأطأوا رؤوسهم خجلين .

جماهير الزائرين في بشامون

جذبت انباء المعارك التي وقعت في بشامون ، جماهير الزائرين . القرية تستقبل المئات كل يوم . بين الزائرين سيدات كثيرات ، انهن متحمسات جداً . الرئيس ابو شهلا يخطب مراراً وتكراراً في الجماهير ، بمعدل عشر خطب في اليوم الواحد .

(٢٦) شفيق نور الدين شاب من قرية سرحول .

مرحباً بالموت

زار بشامون وفد من الطلاب في جامعات بيروت[٢٧] ، فانشدوا القصائد الحماسية والقوا الخطب . فاجابهم الرئيس ابو شهلا بخطبة جاء فيها : « ليست القضية اللبنانية، قضية بشاره الخوري ورياض الصلح ورفاقهما ، انها قضية استقلال و كرامة . إما ان يعتقلونا جميعاً ويمشوا على جثثنا ، أو يعود الينا حقنا السليب. شكراً لـكم على تطوعكم ،لكن عليكم اليوم ، ان تعودوا الى مدارسكم، فاذا مست الحاجة دعوناكم».

وحاول كاترو، منذ وصوله الى لبنان، ان يفاوض ليكسب الوقت . ولكنه أنّى توجّه ، اصطدم بارادة حديدية لا تلين . وقد حاول ان يتصل بنا فجبهناه . ويقولون عنا اننا ثوار معتصمون بالجبال . اننا مجاهدون ، واذا كانت جريمتنا ، اننا نعمل على تحقيق استقلال بلادنا ، فمرحباً بالموت في سبيل الاستقلال . اما يوم ١١ نوفمبر ، فاننا نباركه ، لأنه يومٌ أيقظ امة ، وحمل اليها الاستقلال .

مراسلو حربيو صه انحاء الشرق كله

ووفد على بشامون عشرات المراسلين الحربيين، يريدون ان يروا كل شيء، ويصوروا كل شيء ، ويروا الحكومة ، ويقابلوا افراد الحرس . انهم يتنقلون في بشامون ، دهشين معجبين غير مصدقين .

هذه صحافية اميركية ، تطلب الى احد افراد الحرس الوطني ، أن يوقع لها امضاءه على دفترها الصغير ، وهذا صحافي يسأله أسئلة كثـيرة ، فيبتسم ويقول : تريد حديثاً مني ، اكتب اذن : اننا لسنا اعداء احـد ، ولا نريد ان نعتدي على احد ، لكننا اصدقاء وطننا قبل كل شيء . وفي سبيل وطننا ، نحن مستعدون ان نموت .

ولد حرم القتال فبكى

روى أحد قواد الحرس الوطني ، للحكومة القصة التالية :

(٢٧) وفد الطلاب من الجامعة الاميركية وقد عرضوا التطوع في الحرس الوطني .

ان ضيعة درزية ، أوفدت الى بشامون ، جميع من فيها من الرجال ، وعددهم خمسون ، جاءوا مسلحين . ولم يبق في القرية ، سوى النساء والشيوخ الطاعنين في السن ، والأطفال ، وجاء احدهم ومعه ابنه وهو في الثانية عشرة من عمره . فأخذ الأب مكانه ، ووزع سائر الرجال على المتاريس، وبقي الفتى ينظر إلي . فلما انتهيت سألني : وأنا ؟ فقلت انت تذهب الى احد منازل بشامون فتنتظر والدك هناك . فبكى ولم يتحرك من مكانه ، ثم أكب على يدي يقبلها وقال : اريد ان احارب . وظل يبكي حتى أرسلته الى الكمين مع ابيه ، فجلس فيه ، وقضى الليل ساهراً يلمس البندقية بيديه ، ولا يزال هناك يفعل فعل المحاربين ، ويعيش كما يعيشون [٢٨] .

حوار في الليل

وهذه الحكاية الثانية : ذكر احد قواد الحرس ما يلي :

في الليلة الماضية ، مرت سيارة حربية كبيرة ، فأوقفها رجال الحرس . فلوّح سائقها بمنديل . لكن المحاربين لم يتبينوا لون المنديل ، ثم قادوا سائقها إلي وسألته عن هويته ، فقال السائق : انه انكليزي ذاهب من الشويفات إلى سوق الغرب . ودهش الانكليزي عندما كلمه المحارب بالانكليزية ، فقال : انتم الدروز تحبون حرب الخنادق وتتكلمون الانكليزية جيداً . فقال المحارب : أنا لست درزياً بل مسيحيّ من دير القمر . وقد ناول الانكليزي على سبيل الذكرى بطاقة وعليها اسمه ، وتحتها صنعته (طبيب اسنان – دير القمر – لبنان) فانصرف الانكليزي معجباً [٢٩] .

قلي الباذنجان

حدث في صباح يوم الجمعة، في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، أن وفد على بشامون فتى قادم من سوق الغرب وقال : إن قوة كبيرة من السنغاليين،

(٢٨) الولد هو محمد ابن سلمان عبد الخالق ، من قرية مجدل بعنا ، قرب صوفر . وهذه القصة سمعتها بأذني. وأصبح الولد شاباً الآن .

(٢٩) الدكتور بدّوره ، طبيب أسنان من دير القمر .

قد حطت رحالها في سوق الغرب ، ورابطت فيها . وكان الفتى قد مر في طريقه ، بعدد وافر من أفراد الحرس الوطني ، وأخبرهم بما رأى فثار ثائرهم . ولم تمض دقائق ، حتى وصل إلى مقر الحكومة وفد من الحرس الوطني ، مؤلف من ثلاثين رجلاً مسلحاً ، وطلبوا مقابلة الحكومة . فلم يؤذن إلا لخمسة منهم بالدخول على الحكومة، فدخلوا وأمارات البأس والعزم تبدو على قسماتهم. قالوا انهم يتكلمون بلسان جميع قوات الحرس الوطني . انهم أصبحوا لا يطيقون البقاء مسمرين في أماكنهم ، بينما السنغاليون يحشدون قواتهم على مسافة قريبة منهم . وراحوا يتوسلون أن يسمح لهم بمهاجمتهم ، ويقولون :« دعونا نُري عبيد السنغال ، كيف يكون قلي الباذنجان ، هجمة واحدة نشفي فيها غليلنا ، ونقسم أننا لا نطلب سواها» فخرج رئيس الحكومة الى حيث كان وفد الحرس الوطني منتظراً ، فلما رآه المحاربون ، أصابتهم الحماسة، فراحوا يرمون بنادقهم في الهواء ، ثم يلتقطونها بايديهم، وهي طائرة ، ويصيحون« بدنا نحارب ، بدنا نقاتل ، بدنا نقلي باذنجان ، بدنا نحارب» ثم أخذوا يرددون مقاطع من غناء متقطع سريع ، لم يكن يفهم منه أحد سوى هذا البيت :

بدنا نهز سيوف العزّ واللي بدو يصير يصير

لكن الرئيس قال بحدة :« عودوا إلى أماكنكم ، ونحن أدرى منكم بما يجب أن تعملوا . » فانصرف المحاربون على مضض ، وما كادوا يبتعدون خطوات، حتى راحوا يحدون حداءهم المشهور :

ما في أمل تحيا البلاد إلا بحياة دستورها
من لمع ووهج سيوفنا لبنان شعشع نورها
بكرة انشا الله عن قريب تبقى السرايا نزورها

الباب الرابع

وللحرّية الحمراء باب
بكلّ يدٍ مُضرّجةٍ يُدَقُّ

١ . العاصمة اللبنانية واشتعال الثورة فيها

●

ننتقل بالقارىء قليلًا من بشامون ، الى العاصمة لنستعرض الحوادث التي وقعت فيها ، ولنصف موقف الامة اللبنانية وتضامنها ووحدة صفوفها ، وكيف حاول الفرنسيون بما بذلوه من جهد ومال ، القاء بذور الانقسام بين الصفوف فأخفقوا .

مظاهرات السيدات السائغة

تسارى في المدينة نبأ مظاهرة كبرى، اعتزمت السيدات القيام بها في اليوم الثاني من ايام الثورة ، فأثار في النفوس حماسة لا توصف ، واخذت الجموع تحتشد في الشوارع الرئيسية ، والساحات ، والجنود السود يطاردونهـــا ، فيفرقونها ، ثم تعود فتتجمع .

لقد فاجأ نبأ الاعتـــداء السيدات امس ، كما فاجأ رجالهنّ ، فهالهن امره ، وروعت له قلوبهن ، والتهبت بثورة الوطنية نفوسهن ، فتنادين لتأدية الواجب نحو الوطن . وأول ما فكرن فيه ، القيام بمظاهرة كبرى نهار الجمعة ، وقضين نهـــار الخميس في إعداد العدة لها . وشهدت العاصمة في ذلك اليوم ، مشهداً لم تعهد مثله روعـة وتأثيراً ، اذ نزلت الى الشارع ارقى سيدات لبنـان ، من نساء الكبراء والوزراء والوجهاء والاغنياء ، وبنات البيوتات ، يتظاهرن الى جانب المجهولات والمغمورات من بنات العامة ، وقد اجتمعن من مختلف الطوائف ، تغمرهن روح الوطنية. هذه سيدة اثقلتها السنون، تهزأ بضعف الشيخوخة، وتسير مع المتظاهرات

وهذه اخرى تحمل نفسها ، والحمى معها من فراش المرض، لتسير في موكب الجهاد. بل هؤلاء السيدات اللواتي لم تحتمل احداهن في يوم من ايامها المشي بضع دقائق ، ليطفن المدينة على اقدامهن ، ويمشين الساعات ، بل ها هن يتعرضن للنيران ، غير آبهات ولا وجلات .

لقد هانت عند ربات الحجال ، حياة الرفاه والدلال ، فخرجن من بيوتهـن ، وانصرفن عن مشاغلهن وملاعبهن ، إلى الكفاح مع الرجال ، كفاح الرجال .

مشت مظاهرتهن من بعض أطراف المدينة ، وتقـــدم الشبان لحراستهن من تعرّض قوات الامن ، فأبين وأصررن على السير وحدهن ، فنزل الشبان عنـد إرادتهن ، ورضوا بان يتبعوا المظاهرة عن بعد ، استعداداً للطوارىء . ولم يبلغن ساحة البرج ، وهو قلب المدينة ، حتى كان الحشد كبيراً جداً ، إذ كان السيدات يسمعن الهتاف من بيوتهن ، فينزلن مسرعات للانضمام إلى أخواتهن . واتجهن نحو البرلمان، فتلقاهن الجنود السنغاليون ، وصوبوا اليهن البنادق ، فاذا الجموع والحلائق تتجمع حولهن ، في مثل لمح البصر ، وتأتي لنجدتهن وافتدائهن ، وكادت تكون معركة دامية ، لولا حكمة ألهمت أولئك الجنود ، فخـــلوا للنساء الطريق وتابعن سيرهن في موكب يتعاظم ، وجماهير تتكاثر ، حتى وصلن إلى أول مفوضيـة في طريقهن ، وهي المفوضية البريطانية . وصعد منهن وفد قابل الوزير المفوض الجنرال سبيرز . فأسمعنه شكواهن ، وشكوى لبنان ، وقدمن له احتجاجاً شديداً ، على ما أتاه الفرنسيون من اعتداء منكر ، فكان لوفودهن عليه ، واحتجاجهن اعظم الوقع في نفسه . وتحدث اليهن حديثاً أفعمهنّ أملًا وثقة . وكانت المفوضية المصرية الثانية في طريقهن ، فدخلنها ، فتلقاهن نائب القائم باعمال المفوضية ، فأسمعهن قولاً أعرب فيه عن شعور مصر الكريم ، وعن موقف مصر العظيم ، وأطلعهن على برقية ملك مصر . وتلا عليهن احتجـــاج رئيس الحكومـــة المصرية ، فهتفن للفاروق هتافاً عالياً ، صدر عن اعماق القلوب، وصفقن لمصر ، بالجوانح قبل الأكفّ، ودعون لعرشها بالعز والتأييد ، وهتفن للنحاس وحكومته ، هتافـــاً كثيراً ، ودعون له بالخير والتوفيق ، وخرجن ينشرن نبأ تلك المعونة الخطيرة ، التي تسديها

مصر لشقيقها لبنان في محنته .

وانصرفن من هناك ، الى دار الاعتماد السياسي للولايات المتحدة ، فاستقبلهن المعتمد ودسورث ، فأسمعنه واسمعهن مثل الحديث الذي دار بينهن وبين الوزير المفوض البريطاني . وأبدى لهن ، عنايته العظمى ، وعناية حكومته بالأزمة اللبنانية ومشاركته لهن في شعورهن وسخطهن على الاعتداء كل المشاركة .

وبينما كان هؤلاء المئات من السيدات ، يدخلن دار الاعتماد الأميركية ، إذ وصلت سيارة عسكرية مكشوفة تحمل جنوداً فرنسيين وسنغاليين ، شاهري السلاح ، فوقفت امام المفوضية ، وصوب الجنود بنادقهم ورشاشاتهم نحوالسيدات، مهددين باطلاق النيران عليهن ، فذعرن ذعراً شديداً ، وإذا بسيدة تنبري من بين الصفوف ، وتتقدم بغضب نحو الجنود ، صائحة فيهم : على من تستأسدون ؟ أعلينا نحن ١ ؟ نحن نحرر بلادنا ، فاذهبوا انتم وحرروا بلادكم من اعدائكم ، إن كنتم رجالاً ! وإذا بسيدة أخرى تنبري من هناك ، وقد فتحت ذراعيها ، وتقدمت نحو الجند صائحة : اضربوا ، اطلقوا رصاصكم يا جبناء . يا اذلاء ٢ .

وأطل موظفو دار الاعتمادالأميركية ، ليشهدوا ويسجلوا بآلات الفوتوغراف، كيف يصوب أولئك الجنود ، من بيض وسود ، سلاح « الاعارة والتأجير »الذي تقدمه لهم حكومة الولايات المتحدة ، الى بيت حكومة الولايات المتحدة ، في عاصمة لبنان ٣ . وفي اللحظة نفسها ، وقفت سيارة بريطانية تحمل آلة سينمائية ، فسجلت المشهد وانصرفت .

وبعد دقائق ، اضطر الجند الى مغادرة مدخل المعتمدية ، لمطاردة مظاهرة أخرى ، قامت في مكان آخر ، فانتقلت السيدات الى المفوضية العراقية ، فدخلنها وكأنهن دخلن بيتاً من بيوتهن ، ودار امانٍ لهن ، ولبني قومهن . فتلقاهن تحسين قدري القائم باعمال المفوضية واعوانه الموظفين فيها . فألقى عليهن كلمة ، شعرن فيها

---

(١) السيدة آفلين بسترس .

(٢) انظر لبنان الاستقلال (٩) ، الجامعة الاميركية .

(٣) كان الحلفاء يقدمون الاسلحة للجنة الفرنسية في الجزائر للمساهمة في طرد الالمان .

بغضبة الشعب العراقي الباسل وقوة بأسه . وحدثهن عن ثورة النفوس في العراق ، وعن الاهتمام الذي يهتمه سمو نائب الوصي ، الأمير زيد ، لمحنة لبنان ، واهتمام حكومته ، واتصال الوصي ورئيس الحكومة تلفونياً بالمفوضية العراقية ببيروت . وعدن من هناك يثرن الحماسة في الشعب ، وينشرن في صفوفه انباء التأييد الذي يجده لبنان من شقيقاته العربية ، والدول العظمى الديمقراطية .

لقد كان يوم المرأة رائعاً ، وكانت مظاهرتهن الأولى باهرة ، شددت روح المقاومة ، وأمدتها بقوة نفسية عجيبة ، دفعتها إلى الأمام اياماً . وغذت القوة المعنوية في الشعب على اختلاف جماعاته، فقال خطباؤه ونوابه في ذلك اليوم : « ان وطناً هذه نساؤه ، لن ينام بعد اليوم على ضيم ، ولن يبيت على ذلك . انه لن يموت . »

ومثل هذا قال الأجانب .

كان منزل الرئيس ، محل اجتماع السيدات . انتهى بهن المطاف اليه بعد الظهر ، ليصادفهن فيه مشهد يثير السخط ، ويقفن موقفاً يثير الاعجاب . لقد اخذت السلطة سيارات رئاسة الجمهورية ، وجردت البيت من الحراس ، فأقام الشبان من افرادهم حراساً ، يتناوبون السهر والمحافظة عليه ، حتى يعود الى البيت ربه وحاميه. ولم يبق من المظاهر ، إلا العلم . جاءت فصيلة من الدرك لانزاله ، وكان ما يزال على شكله القديم . فهاج الأمر الحرس المتطوع ، والشبان المجتمعين هناك ، فانبروا لحمايته، موطنين النفس على الموت دونه . وان النفوس لفي أشد غليانها، والمعركة على وشك النشوب ، اذ شقت الصفوف سيدة متحمسة وصاحت في الشبان: « دعوهم يأخذونه. هذا ليس علمنا. » وتنبه الشبان للمعنى الذي تريد ، فتقدموا عندئذ ، وانزلوه بايديهم. وانقضت السيدة الثائرة على العلم، فمزقت منه القطعة الزرقاء ، وألقت بها إلى الجند، بين هتاف الجمهور وحماسته الصاخبة ، ودفعت بما تبقى الى الشبان ، فاذا هو الاحمر والأبيض ، تتوسطه الأرزة ، فرفعوه على مدخل الدار، في احتفال مرتجل، منشدين النشيد اللبناني ، تحية للعلم المحرر .

وبينما كانت شرذمة من الجنود السنغاليين ، تطارد السيدات من مفوضية الى ثانية ، كانت شرذمة اخرى، تخوض المعارك الدامية في بعض الانحاء . لقد ضاعف

الفرنسيون في ذلك اليوم قواتهم المعسكرة ، كما ضاعفوا قواهم الطوّافة ، ليفرقوا المظاهرات والتجمعات . وماذا يفرقون وبيروت كلها قد خرجت الى الشوارع ، وتجمعت في الأزقة والساحات ؟ بدأت المعارك في البسطة ، حيث كان رجالها يصطادون السيارات العسكرية الفرنسية ويحرقونها ، قاطعين عليها الطريق بالمتاريس ، وجثث السيارات المحروقة أمس . وجاءت دورية وصبت نيرانها على الاهالي ، فصرعت احد ابناء المحلة الاشداء الذين يقودون حركة الثورة . واذا برصاصة تنطلق من مسدس احد الشبان فتصيب الضابط فترميه قتيلاً ، وتثأر للشاب القتيل .

حصار البسطة

واندفع الاهالي على اثرها بالحجارة ، ورصاص عدد قليل من المسدسات ، فانهزم الجنود ليعودوا بوحدة كاملة ، تتقدمها الدبابات والمصفحات ، واخذت تصب نيران رشاشاتها ، فتفرق الاهالي الذين لجأوا الى بيوتهم . وترجل من السيارات بضع مئات من الجنود السود ، فاحتلوا المقاهي ، ومخفر الشرطة . ثم أقبلت قوات على المحلة ، من جهاتها ، فطوقتها تطويقاً ، بينما زحفت فصائل اخرى ، زحفاً حربياً ، كأنما هي في ساحة حرب تماماً ، حتى أكملت احتلالها . وقامت بعض هذه الفصائل ، بتفتيش البيوت فاعتقلوا بعض ابنائها ، وساقوهم الى السجن . ومنع المرور في الشارع الممتد من محطة النويري الى بناية (الهلال) ، مسافة كيلومتر تقريباً ، منعاً مطلقاً إلا باذن عسكري . فأقفر هذا الشارع ، الذي يعد من أحفل شوارع المدينة بالمارة ، إقفاراً كاملاً ، فلا يسمع فيه الا « وقع سنابك » الجنود السنغاليين . لقد كانت هذه المحلة زاهرة زاهية ، فخيمت عليها الكآبة القاتمة . كل شيء هناك حزين رهيب . لقدماتت فيها الحياة والحركة . هو ثوب الحداد على القتيلين ، اللذين فقدتهما المحلة ذلك اليوم .

ودام حصار البسطة على هذا النحو ، اربعة ايام ، واهلها محبوسون في بيوتهم ، لا يستطيعون الخروج او الاتصال بأحد ، وقد تهدد الجوع فقراءهم ، في اليومين الاخيرين ، اذ لا مؤونة لديهم مدخرة . حتى الجنازات ، منع السير فيها لغير عدد

محدود من اقارب الميت ، وفي هذا الشارع تقع الجبانة الكبرى للمسلمين .

وعلى أثر منع احدى الجنازات من المرور كثرت الاشاعات في المدينة ، وكان من اخطرها اشاعتان . أما الاولى فهي ان الجنود استوقفوا المشيعين وفتشوا النعش ، خشية ان تكون الجنازة مكيدة دبرها الاهالي ، وان يكون المنقول سلاحاً او متفجرات ، ولكنهم وجدوا جثمان الميت . وأما الثانية فهي انهم فتشوا المشيعين فوجدوا مع احدهم — وهو من عائلة سوبره — مسدساً فنزعوه منه واوقفوه عند حائط الشارع ، واطلقوا عليه النار فقتلوه . وقد هزت الشائعة الاخيرة المدينة هزاً عنيفاً . وانتهت الثورة وكتب هذا الكتاب ، وما يزال في بيروت من يعتقد بصحتها . أما الحقيقة ، فهي ان الشاب المذكور سيق الى السجن ، وهو ما يزال حياً يرزق . وأما حادثة تفتيش النعش ، فلم يقم عند واضع هذا الكتاب ما ينفيها من الادلة او يثبتها .

ومع ذلك كله ، فقد وجد أهل البسطة — بفضل المحتلين — شيئاً يتسلون به ويضحكون .

موسوليني الصغير

الى جانب المقهى الكبير ، عند مفرق الطرق في محلة البسطة الفوقا ، دكان من دكاكين بائعي التبغ ، التي من شأنها ان تكون صغيرة في كل بلد . ويمتاز صاحب هذا الدكان بخطه الجميل ، وله هواية شهرته في المدينة ، هي ان يرفع فوق دكانه ، لوحاً كبيراً أسود ، من الخشب ، ويكتب عليه بحروف ضخمة ، كل يوم ، آية من آيات القرآن الكريم ، أو حكمة أو عبارة ، مما يوافق مقتضى الحال السياسي في البلد . وفي اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، كتب الرجل على اللوح : « لا رئيس إلا بشاره ، ولا زعيم إلا رياض » وأطل الناس من شرفات بيوتهم ونوافذها ، في صباح اليوم التالي ، فوجدوا على اللوح ، بدل ذلك الخط الجميل ، خطاً بشعاً لا هو بالمغربي ، ولا بالمشرقي ، كتب به : « رياض الصلح موسوليني الصغير » . هو ايضاً أراد أن يطعن في الظهر . ونام الجنود على هذه

العبـارة وأفاقوا في الصباح ، فوجدوها ممحوة ، وقد اعيدت العبارة الاولى الى مكانهـــا ، ففاظهم الأمر ومحوها وكتبوا كلمتهم مرة اخرى . و تكرر الحادث ليلتين ، فوضعوا في الليلة الثالثة ، جنديين خاصين لحراسة اللوح حتى نهاية الثورة .

وعاد كل شيء الى مثل ما كان عليه ، وعاد الى صاحب الدكان لوحه وقلمـه ، فكتب « إن ينصركم الله فلا غالب لـكم . لا رئيس إلا بشاره ولا زعيم إلا رياض ».

معارك في الجميزة

وبينما كانت البسطة تخوض معركتها ، كانت محلة الجميزة تشهد معركتها هي كذلك ، بل كلاهما كانتا تشهدان معركة الوطن . في آن واحد ، سالت في المحلتين دماء ابنائهما ، وفي وقت واحد كانت ارض الوطن في المحلتين ترتوي بها . وهكذا امتزج دم ابناء الطوائف المختلفة من اللبنانيين ، وهكذا مهر بالدم اتحاد اللبنانيين ، في سبيل العزة القومية والاستقلال ، كما طهر جهادهم بالنار .

اعتقال رئيس الكتائب بعد اطلاق الرصاص عليه

اطلقت النار على الشيخ بطرس الجميل ، ولكنه نجا من القتل باعجوبة ، وإنمـا سال دمه من جرح اصيبت به يده . ذلك ان فرقة الاستخبارات في « الكتائب اللبنانية » نقلت الى الشيخ بطرس ، الرئيس الاعلى لهـذه المنظمة ، أن بعض المأجورين من قبل إميل إده وأسياده ، قد نزلوا الى أرض الجميزة ، يحاولون فتح المحلات فيها بالتهويل والتهويش . فأبى الرئيس إلا ان ينزل اليهم بنفسه ، وغادر بيت الكتائب مصطحباً اثنين من رفاقه ، فلما وصل صاح باولئك الاشخاص مؤنباً ، داعياً إياهم الى مراعاة حرمة الوطن وجهاده ، فما كان من احدهم إلا ان تصدى له ، وسدد مسدسه اليه واطلق منه رصاصة تجنبها الشيخ بطرس بخفة . وبينما كان المعتدي ، يهم باطلاق رصاصة ثانية حاول بعضهم انتزاع المسدس منه ، فزلت قدمه وجاءت في مطلقها فجرحته . سلم الشيخ بطرس وسلم هناك الاضراب ، اما الرجل فقد مات بعد ايام من اثر جراحه ، واشترك في تشييع جثمانه بضعة عشر ضابطاً فرنسياً ،

بينهم من هو برتبة كولونيل « ولف بالعلم الفرنسي » .

وبعد ساعات ، جـاء بيت الكتائب رسول من مدير الامن العام الفرنسي ، يقول للشيخ بطرس ان المدير يريد ان يقابله لأمر هام ، وانه يترك له اختيار المكان الذي يريد للمقابلة . فاطمأن الرئيس الاعلى لهذا التحديد ، وضرب لمدير الأمن موعداً في دائرة الشرطة اللبنانية ، وقصد بعد قليل ليقابله هناك ، واصطحب الياس ربابي ، فاذا مدير الشرطة يقول لهما ، ان مدير الامن يعتذر لان طارئاً منعه من المجيء ، وانه ينتظرهما برفقته في مكتبه بالامن العام . فرافقاه ، وما وصلا ، حتى تقدم منهما مفتشو الامن ، وقالوا لهما لدينا أمر بتوقيفكما . فأدرك الرئيس المكيدة ، وبينما كان الشيخ بطرس ، يوجه عبارات التأنيب الى مدير الشرطة ، جاء خمسة وعشرون جندياً سنغالياً ، وساقوا الشابين الى السجن ، ووضعوهما في الزنزان المعروف برائحته الكريهة ، وجوّه الوسخ ، وقذارته ، ولم يخرجا منه ، إلا بعد أن شرعا في الاضراب عن الطعام .

وانتشرت اشاعة في المدينة ، ان الجنود ضربوا الرئيس الجميل ، فثار ثائر الشباب وقرروا القيام بمظاهرة عظمى . فلما بلغ الخبر ادارة الامن العام ، لجأت الى الشيخ بطرس لـكي يحول دونها . وقد لبى الرجاء ، لانه لم يقبل ان يعرض رفاقه لسفك دمائهم في سبيله . ووضع تحت تصرفه التلفون فخاطب أخاه[٤] ، واصدر امراً بالعدول عن المظاهرة لاجله . على ان الشيخ بطرس ورفيقه هددا مرة بالقتـــل ، واخرى بالنفي الى افريقيا على متن طائرة . وظل المعتقلان في السجن ، الى ان سمعا عشية الحادي والعشرين دوي الرصاص مـــن كل ناحية ، فظناها الثورة قد اشتعلت ، ثم ما لبثا ان تبينا انه نبأ الفوز ، وانه رصاص الفرح والعيد . وخرجا في صباح الثاني والعشرين .

ولقد حسب رجال السلطة ، ان القبض على الشيخ بطرس يشل الاضراب ، ولا سيما في الأحياء الشرقية ، وهي الجميزة بنوع خاص ، لما يعرفونه من حب القوم له ،

---

(٤) غبريال الجميل ، رئيس الاتحاد الرياضي اليوم .

وثقتهم به . ولكن كان الأمر على العكس، فزاد هـــذا الاعتقال نفوس الشبان عزيمة ومضاء ، تحت قيادة نائب الرئيس الأعلى .

تنظيم الثورة

ثارت الأمة ثورة هائلة ، وردت على الاعتداء بالنيران والدماء ، وأشهـدت العالم على فظاعة الاعتداء ، بواسطة ممثلي الدول العظمى في بيروت . ولكن الأمر ليس يوماً وينقضي . بل قد يكون جهاداً طويلًا . ولن يكفل للمقاومـــة الثبات والفوز الا التنظيم . به تم تعبئة جميع القوى ، وبه يقوم الانسجام بين جهود الامة وفئاتها المختلفة ، فلا تتضارب ولا تتعارض ، ولا يضيع شيء منها سدى .

كان الشباب الوطني قبل الواقعة ، يرتقب ان يدبر الفرنسيون لحكومة رياض الصلح مكيدة للقضاء عليها ، وعلى الحركة الاستقلالية في البلاد . وكان دائم الاتصال برئيس الحكومة ، يفضي اليـــه بمخاوفه ، وبضرورة تنظيم الأمة ، لـكي يكون استعدادها للمقاومة كاملًا . وكان هذا الشباب قد شرع في إعداد التنظيم ، حـين ضرب الفرنسيون ضربتهم ، واندلعت نيران الثورة. فشعر ان الحوادث قدعاجلته، ولكنه لم يدعها تسبقه بعد اليوم الأول .

ولم ينتصف نهار الجمعة ، حتى انتظمت معظم الجماعات العاملة في اربـع هيئات ، قامت الى جانب البرلمان والحكومة الشرعية ، بادارة حركة المقاومة خـير قيام ، وقادت بتعاونها الوثيق وترابطها المحكم ، الجهود الى الفوز .

شباب المنظمات

ان اول خطوة في هذا التنظيم ، اجتماع الكتائب والنجـــادة . كانت هاتان المنظمتان للشباب بمثابة جناحي الطائر ، ولكن لم يعرف الوطن ان تحرك فيه يوماً هذان الجناحان معاً . وكان لكل منهما نظريته في الوطن اللبناني . حتى اليوم الذي اوجد فيه بيان رياض الصلح الوزاري الفكرة الموحدة ، والصيغة الجامعة ، فالتقى عندها جميع اللبنانيين ، والتقى عندها الكتائب والنجادة به . وقد مهـد اجتماعهما

عند الفكرة اجتماعهما للعمل . وسرعان ما أثمرت دعوة الشباب الوطني ، فاجتمع في صباح الخميس ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، الرئيس الأعـلى للكتائب ، والرئيس الأعـلى للنجادة ، ومع كل منهما اللجنة العليا لمنظمته ، واتفق الفريقان عـلى توحيد الجهود ، بقيادة الرئيس الأعلى للكتائب ، على ان يعاونـه مندوبان من النجادة . وكان اتحادهما هذا، حادثاً خطيراً في تاريخ لبنان، ورمزاً لاتحاد الشعب اللبناني،وانقلابه كتلة واحدة متراصة . وقد أدخل الطمأنينة الى قلوب الأمة ، وزادها ثقة بالفوز(٥).

اخذ هذا الشباب قضية الاضراب ، بيدين حديديتين ، وألّف له اللجـــان . وقضت الحكومة ان يتولى شباب الكتائب تأمين استمراره في الأحياء الشرقية ، التي يقطنهـــا المسيحيون ، حيث بذلت الجهود ، وأطلقت الدسائس لاثارة النعرة الطائفية ، فضلًا عن تأمينه في سائر الأحياء ، بالاشتراك مع شباب النجـــادة . وخصصت لجان من هذا الشباب ، كان عملها الطواف النهار بطوله ، للسهر على ثبات المضربين على الاضراب ، وقلما احتاجت الى غير التنبيه اللطيف في بث دعوتهـا ، حتى يلبيها بائع تراخى او شذ . والقي على عاتق الشباب المنظم ايضاً ، امر السيطرة على المظاهرات ، التي يقوم بها الجمهور ، لتوجيهها توجيهاً امينـــاً ، وامر تأليف المظاهرات عندما تدعو الحاجة اليها. وقد ابرز مهارة في تنظيم المظاهرات والسيطرة عليها ، وسهر على مظاهرات السيدات ، وتولى حراسة موكبهن حراسة دقيقـة ، وبنظام تام ، اثارا الاعجاب . وتولى الشباب المنظم امر الاسعاف ، فنظم فرقـة تؤمن نقل الجرحى الى المستشفيات ، والسهر عليهم ، وإمدادهم بما يحتاجون اليه هم . واما الشهداء ، فكانت تعنى بذويهم عناية مادية وادبية .

وكان من هذا الشباب ، فرقة لتوزيع المنشورات التي تُطلع الشعب على مـا يطلب منه، في المواقف المختلفة ، وكانت منه فئة للاستخبارات ، تتولى جمع الأخبار المختلفة في المدينة ، وفي الخارج ، وتقدمها الى الجهات الوطنية ، وتلاحق الاشاعات المؤذية ، فتحاربها بشتى الطرق ، بالتعاون بينها وبين سائر الهيئات الوطنيـــة .

---

(٥) لبنان الاستقلال «٨» الجامعة الاميركية .

(وكانت فئة اخرى تتصل بالحكومة الشرعية في بشامون ، لتنقل قراراتها الى المدينة ، وتبلغها الى اربابها) .

واتخذ هذا الشباب من بيت الكتائب مركزاً عاماً ، يرتاده الشعب بالألوف ، ويتزود منه التعليمات ، في سلوك خطة المقاومة ، الى ان اقفل ذلك البيت ، واحتله الجنود فاتخذ له مقراً آخر .

وقد صبت السلطة نقمتها على هذا الشباب ، فطاردته مطاردة شديدة ، ولاحقت قادته ولجانه للقبض عليهم ، حتى تشل الحركة ، ولكنها لم توفق إلا الى اعتقال رئيسهم الأعلى الشيخ بطرس الجميل ، واحد اعضاء اللجنة العليا الياس ربابي . ولكنها لجأت الى الحيلة والغدر ، حتى تمكنت منهما .

المؤتمر الوطني

ان جميع فئات الأمة ، قد دعيت الى التنظيم فأقبلت عليه . بعد الشباب جاء دور الأعيان ، واصحاب المهن الحرة ، والملاكين والنقابات والأحزاب السياسية . اجتمع منهم جمهور كبير في يوم ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ، وفي مؤتمر وطني عام ، انتخبوا لجنة تنفيذية قوامها السادة : سليم ادريس ، جورج حنا ، محمد خالد ، حبيب ربيز ، مصطفى بيضون ، رئيف ابي اللمع ، فريد طليع ، الياس البعقليني ، يوسف عطيه ، ميشال فرعون ، احمد الداعوق ، نقولا بسترس ، سليم الطياره ، سعيد فريحه ، رينه سرسق ، محيي الدين النصولي ، محمد علي بيهم ، ابراهيم الأحدب ، عبدالرحمن سحمراني ، امين الحلبي ، إيلي خياط ، تقي الدين الصلح ، جورج ريس ، ابراهيم عوده ، الياس طرابلسي ، كمال جبر ، مصباح سلام ، موسى فريج ، ميشال موسى طراد ، جورج كرم ، ألفرد نصر ، فرج الله الحلو ، حسن بحصلي ، إيلي فارحي ، سامي عبدالملك ، جورج عاقوري ، أرتين مادويان . وضم الى اللجنة ، مندوبات عن السيدات ، ومندوبون عن الكتائب والنجادة ، لتأمين الاتصال .

وقسم هذا المؤتمر العمل اربعة اقسام : قسماً للسياسة ، وقسماً لجمع المال ، وقسماً لانفاقه ، وقسماً للدعاية .

وبعد ان درس الخطباء فيه ، موضوع الأزمة من جميع الوجوه ، اتخذ اول قرار له ، وهو ان المؤتمر الوطني اللبناني ، يستنكر الاجراءات الاستبدادية ، الصادرة عن مندوبية لجنة فرنسة لتحرير الوطن في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٣ ، ويعتبر ان السلطات الشرعية والدستورية المؤلفة من : فخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية ، ودولة رياض بك الصلح رئيس الوزارة ، ومعالي الوزراء ، والمجلس النيابي ، هي وحدها دون سواها صاحبة الحق ، للتكلم والمفاوضة باسم لبنان . وهو يشجب كل مفاوضة تجري عن غير طريق هذه الهيئة الدستورية الشرعية . ويتوجه بالرجاء ، من المواطنين ، ان يتقيدوا بهذا القرار ، حفظاً لكرامة الامة وعزها واستقلالها .

وفي الجلسة التي تم فيها تأليف مكتب المؤتمر ، دعي الحاضرون الى التبرع ، لان المال عصب المقاومة . وبلغت قيمة ما تبرع به الحاضرون ، في تلك الجلسة ، ثلاثة وأربعين الف ليرة لبنانية . وبلغ ما جمعه خلال الازمة ، مائة وعشرين الف ليرة لبنانية [٦] .

وقد كان هذا المؤتمر يجتمع باستمرار ، متنقلاً من بيت الى بيت ، يطارده رجال السلطة ، ويلاحقون اعضاءه من مكان الى مكان ، محاولين اعتقالهم بالقوة حيناً ، وبالحيلة والمكيدة حيناً ، ولكن حادثة الشيخ بطرس الجميل ، كانت قد فضحت نيات القوم ، كما فضحت اساليبهم .

وبينما كانت اللجان السياسية فيه ، تضع المذكرات والاحتجاجات ، وتبلغها الى الحكومات ، بواسطة ممثليها في لبنان ، وتؤلف الوفود تلو الوفود ، لتطلع هؤلاء الممثلين ، على رأي البلاد في كل تطور تمر فيه الازمة ، كانت لجان المال ، تطوف على البيوت ، وكان اللبنانيون يلبون نداء الوطن ، ويبذلون عن سخاء ، وكان المال الذي جمعه المؤتمر ، أهم مورد لتغذية الجهاد الوطني ، إن لم يكن المورد

---

(٦) حدثني حبيب ربيز احد اعضاء المؤتمر الوطني اللبناني البارزين ان قيمة المال الذي جمع خلال الأزمة بلغت مائة وعشرين الف ليرة لبنانية ، لا يعلم غير الله كيف أنفقت . واني أضن بكرامة البلاد ، فأترفع عن ذكر الطرق التي اتبعها بعض من يدعي النزاهة والوطنية ، في بعزقة هذه الأموال .

الاوحد ، فمنه كان ينفق على وسائل النقل التي احتاجت اليها الحركة في قلب المدينة، ووسائل الاتصال بالخارج ، ومنه كان ينفق على طبع المنشورات للدعاية ، ومنه كان ينفق على مداواة الجرحى ، ومساعدة ذويهم وذوي الشهداء ، ومنه دفعت اجور البرقيات والاحتجاجات الى الخارج ، ومنه انفق على عدد كبير من صغار الباعة والعمال المضربين، الذين يعيشون على دخل يومهم ، ومنه انفق على عدد كبير من صغار الباعة والعمال المضربين الذين يعيشون على دخل يومهم ومنه انفق على تأمين توزيع المواد الغذائية في الأحياء ، ومنه اخيراً كانت تؤمن حاجة الحكومة الشرعية في بشامون ، ونفقات الحرس الوطني ، من طعام ولباس ، وعدة وعتاد ، ومنه انفق على جريدة علامة الاستفهام *

وقد تابع هذا المؤتمر ، تطورات الازمة وماشاها يوماً فيوماً ، وسهر على سلامة الثورة ، من الدسائس التي سعوا الى افسادها بها ، فكان عند الرؤساء الروحيين ، وزعماء الطوائف ، منبهاً منوّراً ، وكان عند جمهور الشعب مرشداً محذراً ومبشراً منذراً ، وكان عند ممثلي الدول محتجاً مستنكراً ، ولمساعيهم المؤيدة للبنان حامداً شاكراً .

جهاد المرأة

عملت السيدات في اليومين الاولين ، افراداً وجماعات متعاونات ، ثم ما لبثن ان وحدن صفوفهن ، وانضوين تحت راية الاتحاد النسائي العربي ، فتميزت اعمالهن كبيرها وصغيرها بالدقة والنظام ، ولبست حركتهن حلة من الروعة ، تأخذ بالقلوب والألباب . كان سهرهن دائماً متصلاً ، والتنبه عندهن لكل شاردة وواردة عظيماً غريباً ، وكان جهدهن في كل ناحية مبذولاً .

لقد ترامى اليهن ، ان غبطة البطريرك الماروني ، لا يقف من حركة المقاومة

(*) من جميل الصدف ان الطابع محمد المغربي الذي يطبع هذا الكتاب اليوم في مطبعته هو الذي كان يقوم بتوضيب نشرة علامة الاستفهام اثناء الازمة من غير ان يتقاضى تعويضاً ما . ومما تحسن الاشارة اليه هنا ايضاً ان اميل البستاني هو الذي كان يمول جريدة علامة الاستفهام . وقد ذكرنا خطأ في الصفحات الاولى من الكتاب ان الحكومة هي التي كلفت خليل تقي الدين وتقي الدين الصلح بطبع الكتاب ، والواقع ان اميل البستاني هو الذي كلفهما بذلك .

موقف المؤيد ، فذهبن مئات اليه ، يناشدنه الوطنية والكرامة ، والاباء ، وقد وثقن ان يسمح لصوتهن الضعيف ، متى سمع به ، رواية الحقائق ، وعدن وهن يحملن بشرى تأييد غبطته للاوضاع الشرعية .

وترامى اليهن امر الدسائس التي يحيكونها بين الارمن ، لاحداث الفتنة بينهم وبين المسلمين ، فذهبن وفوداً وفوداً الى رؤسائهم الروحيين ، وزعمائهم ، يبددن الاشاعات المغرضة ، ويقضين على الدسائس المفسدة ، ويدعون الارمن الى الوفاء للبنان ولابناء لبنان، وفاء لا يقوم إلا بمشاركة ابنائه في الدفاع عن استقلاله وحرياته ، وضممن اليهن السيدات الارمنيات .

وترامى اليهن ان الاضراب في حي الجميزة مهدد بالخطر ، وقد صب عليه الحصم كل قواه ، والنعرة الطائفية والمال المغري والجواسيس المفسدين والدساسين ، والجنود المسلحين . فجعلن يرسلن كل صباح اليه مظاهرة منهن ، يدعون من ضل وفتح محله، فيعود الى الاضراب . وكم مرة اشتبكن هن وقوات الأمن ، وكم مرة عرضن صدورهن هناك للحراب والنيران .

أين من قال :

« كُتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول »

اين هو يشهد الغانيات في ساحة النزال ؟ ها هي نؤوم الضحى تسابق الفجر بكوراً الى النضال . هذا الكائن اللطيف الرفيق الذي خطرات النسيم تجرح خديه، ولمس الحرير يدمي بنانه ، ينبري لمواجهة الحديد والنار !

لقد كانت المرأة ، خلال خمسة عشر يوماً ، تحت راية الجهاد في كل مكان : في الشوارع تقوم بالمظاهرات ، وفي الأسواق تغذي وتثبت الاضراب ، وفي الأحياء والمنازل تحارب الدسائس وتبدد المخاوف والأوهام ، وفي المجتمعات تبعث الحماسة في الرجال ، وتدعوهم الى الثبات حتى النهاية ، وعند معتمدي الدول تقدم الاحتجاج ، وعند الرؤساء الروحيين والزعماء تستثير منهم الهمم ، وعند الجرحى تحمل الدواء ، وفي بيوت الشهداء تحمل المؤاساة والعزاء ، وتحت جنح الظلام توزع المنشورات الوطنية، وتحت جنح الظلام ايضاً تسهل لفرق

الارهاب اعمالها ، وتدعو للتطوع في قوات الحكومة الشرعيـــة ، او تعد العدة لتأليف فرق الممرضات .

تلك هي الهيئات الثلاث المنظمة ، التي كانت تعمل إلى جـانب مجلس النواب والحكومة الشرعية. أما الشباب الوطني فقد انبثّ في كل جماعة ، وفي كل ناحية . كان خطيباً يثير الحماسة في الجماهير ، ومنظماً يقودها الى الاهداف ، ومنشئاً يلهب الشعب بمنشورات الثورة ، وصحفياً يخرج جريدة الحركة « ؟ » ، والسياسي القومي الواعي ، يعمل في وضع الخطط والمذكرات الموجهة الى الدول الاجنبية، وموظفاً يؤمن الخدمة للحكومة الشرعية، وجندياً يرابط مع القرويين ،وقائداً ينظم الحرس الوطني، وعيناً يترقب الأخبار ، ومخبراً يمد بالأنباء صحف العالم ومحطات الاذاعة ، وداعية يستخدم الحوادث والوقائع لخدمة الحكومة الوطنية، ورسولاً الى الحكومات والبلدان العربية، يسعى للانسجام بين جهودها وجهود لبنان ،واليد الموحدة واللحمة الجامعة بين ابناء الطوائف المختلفة ، والأحزاب والجماعات المتعددة أو المتباعدة . كان الفدائي ، يقتحم الأخطار ويلقي القنابل وينسف الدور والمنشآت. كان الشباب الوطني للحركة الثورية ، الحكمة النيرة والعاطفة الملتهبة مجتمعتين ، واليد الحـديدية والقوة الخفية الرهيبة . للوطن وهب نفسه وما يملك. دون ان يطلب اجراً من المال او من الشهرة . هو المجاهد المجهول الذي كان حاضراً في كل ساعة، وفي كل مكان .

كانت السلطات تطارده، ولكنه كان كالنور يُرى أثره ولا يقبض عليه . انبث في كل مكان ولم يعرف احـــد مكانه . ربما اجتمع افراده فوق أنف المكاتب الرسمية والعسكرية . وربما نظموا خطة للمقاومة في جوار دوائر الأمن ، بينما كان رجال الأمن يحومون حول بيوتهم ، ويداهمون في الليالي منازلهم . ولكن متى نام هؤلاء الشبان في بيوتهم ؟ بل متى ناموا في عهد الثورة ؟

تظاهرات الطلاب

وهذا فجر ثالث يطل على لبنان ، وقد ارتسم افقه بحمرة الشفق . انه ينـــذر بنيران تندلع ودماء تهرق . وضعت الامة يدها على قلبها ، هالعة موجعة، تتساءل :

مَن مِن ابنائها سيكون في هذا اليوم الذبيحة التي تأكلها النيران ؟

وفي الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم[٧] تجمع عدد كبير من طلاب الجامعة الاميركية في بيروت ، امام مدخلها العام، يريدون الذهاب الى المفوضية البريطانية، ليعربوا عن شكرهم للكلمات التي ألقاها في مجلس العموم البريطاني احـــد اعضائه ، مطالباً باعادة الحالة في لبنان الى ما كانت عليه، وبوضع حد لأعمال العنف والارهاب[٨] وقبل ان يسير هذا الجمع ، وصل طالب ، وأعلن ان طلبة كلية المقاصـــد الخيرية الاسلامية ، ومدرسة الحكمة ، وفريقاً من طلاب كلية الفرير ، وآخر من طـلاب الطب في الكلية الفرنسية اليسوعية ، مجتمعون عـــلى مقربة من مقر بعثة سبيرز البريطانية ، في انتظار رفاقهم ابناء الجامعة . فقرر هؤلاء ان يلحقوا بمنتظريهم هناك ، على ان يذهبوا اليهم متفرقين فرادى او جماعات قليـــلة ، حتى لا يتعرضوا للجند ومطاردته .

حادث اطلاق الرصاص على الطلاب امام بعثة سبيرز

وقبيل الساعة العاشرة اكتمل جمع الطلبة على مقربة من مقر البعثة البريطانية ، وقد وقفوا في هدوء ونظام ، وانتدبوا منهم ثلاثة يتكلمون امام دار البعثة . وانهم ليهمون بالسير اليها ، اذ وصلت اربع سيارات فرنسية ، تقل جنوداً مسلحـــين ، وعسكرت أمام مكتب انباء الحرب الاميركي ، المشرف عـــلى مقربة من بعثة سبيرز . وتقدم الطلاب نحوها وما كادوا يقفون امام مدخلها ، حتى هاجمهم الجنود وهم يطلقون عليهم الرصاص من البنادق والرشاشات . فانطرح بعض الطلاب عـلى الارض ، وركض البعض الآخر ملتجئاً الى داخل بناية البعثة . وقد فتح الحراس البريطانيون لهم الباب، عندما شرع الفرنسيون يطلقون نيرانهم . وبعد ان اصابوا بضعة عشر طالباً ، كفوا عن اطلاق النار . ثم انسحبوا كأنما هم قد ربحوا[٩] واسرع الجنود البريطانيون والطلبة الى الجرحى ، وقد بلغ عددهم اثني عشر ، فحملوا ستة

(٧) نهار السبت الواقع في ١٣ ت٢ سنة ١٩٤٣ .
(٨) انظر لبنان الاستقلال «١٠» الجامعة الاميركية .
(٩) انظر كتاب اللايدي سبيرز ص ١٠٣ .

منهم ، في حالة الخطر ، الى المستشفى العسكري البريطاني في الفياضية ، في ضاحية بيروت ، وحملوا الباقين الى المستشفى الاميركي وغيره . وبينما كان رفاق الطالب هاني غندور يتعاونون هم والجنود البريطانيون على نقله الى سيارة الاسعاف ، والدماء تنزف منه بكثرة مخطرة ، تلفت نحو صديق له بينهم ، وقال له بصوت عميق ، استجمع كل قواه ليخرجه : « بلغ رياض انني مت فدى وطني[10] » .

وفي تلك الساعة ، اقبلت سيارتان فرنسيتان ، تحملان جنوداً جاءتا بهم ليخوضوا معركة اخرى ضد الطلاب . فانبرى لهم ضابط بريطاني كبير ، وأمرهم بالانسحاب مهدداً منذراً . فانسحبوا .

اثر الحادث في الدوائر الاميركية والاجنبية

اثر الحادث في نفس الوزير البريطاني ودوائره تأثيراً شديداً ، وقد كان حين وقوعه ، غائباً عن المقر . فما عاد اليه ، إثر وقوعه ، حتى استدعى بعض الطلاب ، ليروا له كيف وقع . ولما جاء وزير الدولة كايزي الى بيروت ، طلب مقابلة بعض الطلاب الذي شهدوا الحادث ، وسمع منهم وصفه بعناية تامة . وضاعفت المفوضية البريطانية الحرس العسكري على ابوابها ، واعطتهم تعليمات مشددة ، ولم تمر الدوريات الفرنسية بعد ذلك من هناك .

ولم يكن وقع الحادث ، في الدوائر والأندية الأميركية ، اقل تأثيراً ، فقد اهتم له معتمد الولايات المتحدة اهتماماً عظيما ، وكذلك مكاتبو صحف اميركة وبريطانية ، وشركات الراديو والبرقيات ، واذاعته المحطات المختلفة ، بعناية واستنكار ، واتخذت المعتمدية الأميركية على اثره — وقد جاء بعد حادث السيدات امس — تدابير خاصة فعهدت الى جنود اميركيين ، بحراسة دارها ، وبحراسة الجامعة الأميركية .

اجتماع اساتذة الجامعة الاميركية

واجتمع اساتذة الجامعة الأميركية ، ووضعوا احتجاجاً ، لم يقتصر على الحادث

(١٠) انظر كتاب اللايدي سبيرز ص ١٠٣–١٠٤ .

وحده ، بل تناول الحالة السياسية ، والتدابير العنيفة التي أتتها السلطة الفرنسية على وجه العموم . وطالبوا فيه ، باعادة الأوضاع الى سابق عهدها في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) . واصدرت الجامعة بلاغاً للطلبة ، تعلن فيه تعطيل الدراسة يومين ، قابلين للتجديد . وقد جددت هذه المدة الى أن حلت الأزمة وعاد المعتقلون الى مراكزهم[11] .

في سرعة خاطفة ، انتشر خبر الحادث في المدينة ، وشاع ان بين المصابين ثلاثة قتلى ، وتدفق الناس على المستشفيات جزعين ، وقد حسب كل والد ، ان القتيل او الجريح ولده . واقبلت الوفود رجالاً ونساء ، تحمل الى الجرحى الازهار والهدايا . وهاجت الخواطر هياجاً عظيماً ، وتجددت المظاهرات في كل مكان ، وعادت حوادث العنف ، الى مثل ما كانت عليه في اليومين السابقين ، واضطر الفرنسيون لمضاعفة قواتهم ، ومضاعفة الاسلاك الشائكة ، والدبابات والبراميل واكياس الرمل ، والحرس حول دار المندوبية ، وسائر المؤسسات والمراكز الفرنسية .

وبينما كانت إحدى المظاهرات ، مارة امام بيت رئيس الوزارة ، اقبلت فصيلة على سيارتين ، واخذت تطلق رشاشاتها على الاهلين ، فأصابت منهم بضعة عشر ، وقد مات منهم اثنان من اثر الجراح . وخرجت النساء المحتشدات في بيت الرئيس ، الى الشرفات ، ليرين ما الخبر ، فاذا الجنود يصوبون اليهن البنادق والرشاشات ، فتدافعن عن الشرفات الى الداخل ، مذعورات مضطربات . وضرب الجنود بعد ذلك نطاقاً حول المحلة ، فظلت في حصار بضع ساعات . وسمعت اللايدي سبيرز بالحادث المروع ، فأقبلت تزور بيت رئيس الحكومة ، فتجمع الناس يهتفون لها ، ويصفقون ، لانهم رأوها تنتصر لقضيتهم بحماسة ، ورأوها تهزأ بالصعاب ، وتقتحم النيران ، لتكون في كل حين ، مطمئنة للنساء ، مواسية للجرحى ، مبدية إعجابها باللبنانيين وجهادهم الرائع[12] . لقد كانت هذه السيدة ، رسولاً من رسل الانسانية

(١١) انظر كتاب الاحتجاج في : لبنان الاستقلال (٨) .

(١٢) انظر كتاب اللايدي سبيرز ص ١٠٥ : « زرت قرينة رياض الصلح بعد ظهر ١٥ تشرين الثاني في الحي الاسلامي الخ .. »

السامية ، في تلك الساعات السوداء المخيفة .

وبينما الناس ينتظرون خروجها ليحيوها ، اقبلت سيارة فرنسية ، واخذ الجنود الذين فيها ، يطلقون النيران فتفرق المتظاهرون . وفي تلك الساعة ، ترجل الضابط الفرنسي ، وتقدم الى بعض الاولاد ، وقال لهم : « انني اعطي كل واحد منكم خمس ليرات ، إن انتم رشقتم السيدة هذه بالحجارة . » ونزلت في تلك الساعة ، فاذا اولئك الاولاد الفقراء ، يهتفون لها ويصفقون .

وعلى الاثر ، وصل الى بيت الرئيس ، القائم باعمال المفوضية العراقية تحسين قدري ، وقد سمع بالحادث ، فجاء يدعو للمرة الرابعة ، أسرة رياض الصلح ، الى دار المفوضية العراقية، لتنزل في ضيافة سمو الامير نائب الوصي على العرش العراقي. واضطرت الاسرة ، تحت ضغط الحوادث ان تلبي الدعوة هذه المرة ، فتبيت ليلتها في حمى العراق المنيع [١٣] .

وعلى اثر خروج السيدة سبيرز وتحسين قدري ، صعد الضابط الفرنسي ومعه الجنود ، الى منزل رياض ، وهم يسددون بنادقهم ورشاشاتهم الى الحاضرين، واحداً واحداً ، وفتشوهم تفتيشاً دقيقاً ، كأن ذينك الضيفين الكبيرين ، كانا يحملان السلاح ، الى الجمع المحتشد في منزل رئيس الحكومة .

اما الطلاب الذين سقطوا جرحى ، فقد تمثلت فيهم معظم الاقطار العربية . كان بينهم العراقي والفلسطيني والاردني والسوري ، فضلاً عن اللبناني [١٤] . وكان بين الجرحى ابن وزير التموين في سورية . سالت دماؤهم الزكية البريئة ، فدى لبنان ، بينما كان إخوانهم في تلك الاقطار ، يقيمون الدنيا ويقعدونها ، من أجل نصرة لبنان ، وقضيته العادلة .

ان الامة تدفع ثمن استقلالها ارواحاً ودماء . ان هذه التضحيات لتزيدها تمسكاً بمطالبها ، وثباتاً في موقفها ، ومضاء في كفاحها ؛ لن تذهب هذه التضحيات سدى،

---

(١٣) من حديث لرياض الصلح مع المؤلف .

(١٤) صدر بلاغ عن رئاسة وزراء شرقي الاردن تنفي فيه وقوع قتلى من الطلبة الاردنيين (لبنان الاستقلال ٩) .

بل ها هو الفوز بدأت بوادره ، وها هم الخصوم ، يخسرون المعارك ، الواحدة بعد الاخرى .

لقد اعلن إميل إده ، عجزه عن تأليف حكومة وزراء ، واعلن هللو قراره بان يؤلف إده حكومة موظفين من المديرين وسواهم . هي خطوة كبيرة ، في طريق الهزيمة ، خطاها الرجلان وخطتها سياستهما الحمقاء .

تصريح الحكومة البريطانية عن الموقف

واعلن راديو لندن ، من ناحية موقف الحكومة البريطانية ، تصريحاً وهو انها أبلغت اللجنة الفرنسية في الجزائر ، انها تنظر الى الازمة اللبنانية على اساس امرين : ان لبنان يدخل في نطاق منطقة الحرب، التي يجب ان يظل فيها الأمن والاستقرار كاملين ، لمصلحة الحلفاء الحربية . ان الحكومة البريطانية قد وعدت هذا البلد بالاستقلال ، وهي تريد ان تتمسك بوعدها [١٥] .

لقد ارتاحت النفوس لهذا التصريح ، بعد أن ظل الغموض يكتنف موقف الانكليز يومين كاملين . ان ذلك يعني ، ان الحكومة البريطانية ، لا ترى فقط ان اللبنانيين على حق ، بل هي تؤيدهم في هذا الحق ، ولكن ماذا يكون جواب الفرنسيين ، ومقدار تقيدهم بهذا ؟

على ان التصريح هذا يحتمل حلولاً متعددة ، واللبنانيون لا يقبلون إلا بحل واحد ، ولا يرون انهم ينتصرون إلا به وحده ، ذلك هو عودة الاوضاع السياسية، الى مثل ما كانت عليه تماماً . يجب ان يطلق سراح المعتقلين،وتعتبر جميع قرارات هللو كأنها لم تكن ، ويعود مجلس النواب الحالي والحكومة المعتقلة ، الى ممارسة سلطاتهم الشرعية كاملة دون انتقاص [١٦] .

---

(١٥) بلاغ الجيش التاسع – لبنان الاستقلال (٣) .

(١٦) انظر لبنان الاستقلال – بيانات المؤتمر الوطني – الكتائب والنجادة .

٢. الدول الاجنبية تسعى لحل الأزمة

•

وصول كايزي وزير الدولة البريطاني

وانتشر خبر وصول كايزي الى بيروت مساء ذلك اليوم[١٧] ، فاهتم الناس للنبأ اهتماماً عظيماً ، فلولا ان بريطانية العظمى ، تنظر الى الازمة اللبنانية بعين الخطورة لما غادر وزيرها مقره في القاهرة الى بيروت . وأخذت الالسنة تتساءل ، ماذا هو فاعل وماذا هو قائل ؟ ومن ذا يقابل ؟

ان الذين اجتمع اليهم كايزي من اللبنانيين ، ليسوا كثيرين : مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد توفيق خالد؛ المطران اغناطيوس مبارك مطران ابرشية بيروت المارونية ؛ هنري فرعون النائب؛ يوسف سالم النائب؛ والسيدة قرينة رياض الصلح. كان يسمع اكثر مما يتكلم ، يستطلع الآراء، ويسأل عن الوقائع والحوادث بدقة، ويطمئن بعض الشيء . وعاد كايزي الى القاهرة ، معتنقاً وجهة نظر الجنرال سبيرز، على ما قال الرواة المتصلون بالدوائر السياسية المطلعة . وعاد هنري فرعون الى مجلس النواب ، واعلن ما كان . انه لا يطمئن . وليس مضموناً ان الانكليز يذهبون في تأييدنا الى المدى الذي نريده . اذن علينا أن نعتمد على أنفسنا. أنصارح الشعب أم نكتمه الخبر ؟

(١٧) مساء السبت في ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٣ وصل كايزي الى بيروت . انظر اللايدي سبيرز ص ١٠٤ .

موقف اميركا

وأعلن في الغداة موقف حكومة الولايات المتحدة، فاذا هو كموقف الحكومة البريطانية ، أو افضل . وانتشرت في المدينة احاديث عن نص المذكرة ، التي ارسلتها الولايات المتحدة الى اللجنة الفرنسية في الجزائر ، واللهجة الشديدة التي وضعت فيها ، حتى قال احد العاملين في السلك الدبلوماسي ، منذ خمس وعشرين سنة : انه لا يعرف ان حكومة الولايات المتحدة ، وضعت مذكرة في مثل هذه اللهجة شدة ، في أي شأن من الشؤون .

وسمع الناس في ذلك اليوم —١٣ نوفمبر— خطبة النحاس باشا في المؤتمر الوفدي وفي يوبيل الوفد الفضي ، وقد كانت من القوة على جانب عظيم، فنقلوها عن الراديو، واخذوا يتناسخونها ويتناقلونها. لقد تدفقت على لبنان اخبار البلاد العربية والهيجان فيها : مصر، العراق، سورية، فلسطين. الخ...

لم يكن يدور في خلد الفرنسيين ، حين هيأوا خطتهم ، وضربوا ضربتهم ، انها تثير مثل هذه المقاومة في الداخل ، ولا مثل تلك في الخارج . لقد اعترف كبار مسؤوليهم ، لبعض اركان الحكومة السورية بهذا اعترافاً صريحاً ، على اثر وقوع الحادث بيومين ، واعترفوا بهذا في الوقت نفسه ، لممثل العراق في بيروت[١٨]. وكلا الفريقين كانا قد نصحاهم قبل وقوع الحادث ، بان لا يتخذوا اي تدبير قسري . وحذراهم من ثورة لبنان ، وثورة الاقطار العربية كافة معه . ولم يكونا يتصوران، ان الفرنسيين سيصلون الى حد الاعتقال . ولكن الفرنسيين استخفوا بالنصيحة وبالتحذير يومئذ . فكان من الأمر ما كان.

ولكن بالرغم من هذا الاعتراف ، ظلوا او ظل المسؤولون مباشرة عن العمل— هللو السفير، وغوتييه مدير الأمن العام ، وبوغنز رئيس الغرفة السياسية، وزمرتهم — يبذلون الجهود المختلفة، لكسر شوكة المقاومة، واقرار الأمن على الوجه الذي دبروه. ان نجاح الثورة، لا يعني اخفاق سياستهم فحسب، بل هو يعرض مراكزهم واشخاصهم

(١٨) راجع موقف تحسين قدري ص ٩٧ من هذا الكتاب .

للخطر . وكان موقف اده كموقفهم . ولذلك كانوا جميعاً يعملون بغريزة الدفاع عن النفس .

لقد سلطوا النيران والحديد على المتظاهرين ، على الرجال والنساء والاطفال . قتلوا وجرحوا واعتقلوا وطاردوا . نشروا الارهاب في الليل والنهار ، وضيّقوا على الناس الانفاس ، وحاربوا المرابطين في الجبال ، من الحرس الوطني . هزئوا لا باللبنانيين فحسب ، بل بالسوريين والعراقيين والمصريين وسائر العرب ، بل هزئوا بحلفائهم الذين يمدونهم بالمال والسلاح والذخيرة واللباس . فكانوا يطاردون اللايدي سبيرز ، زوجة الوزير البريطاني المفوض ، ويصوبون بنادقهم ورشاشاتهم الى المفوضية الاميركية ، ويصرعون طلاب الجامعة الاميركية ، وهم يدخلون المفوضية البريطانية . وحملت محطة الاذاعة الفرنسية في بيروت ، على الانكليز والاميركان . وكالت لهم جرائد المندوبية الفرنسية شبه الرسمية ، الشتائم [19] .

لم تنفع قوة الجنود البيض والسود ، ولم تفلح تهجمات الكتّاب والمذيعين المأجورين والمتبرعين ، أفلا تفلح الدسائس حيث اخفق البطش والارهاب ؟

ان لبنان ، بلد كثرت فيه الاديان والمذاهب ، وتعددت الاحزاب والمشارب . وهو بهذا الاتحاد حديث عهد ، فلماذا لا يقضى على هذا الطفل في مهده ، ويوارى قبل اشتداده في لحده ؟

محاولة فرنسة ايقاظ الفتنة

وانطلق عملاء الانتداب ، يعملون لشراء الضمائر بالمال ، والقاء بذور الشقاق بين اللبنانيين ...

فأخذوا يغرون هذا البائع الرقيق الحال ، بالمال الوافر ، ويغدقون الوعود على ذلك التاجر ، لكي يشذ عن الاجماع ، ويمتنع عن الاضراب . لقد عرض على الكثيرين من صغار الباعة ، ان يتقاضى واحدهم خمسين ليرة ، بل مائة ليرة ، بل مائة

(١٩) راجع البشير تاريخ ١٣ ت٢ العدد ٦٩٨٢ : بلاغ بتحذير الشعب من المضللين المغرضين. وبتاريخ ١٤ ت٢ عدد ٦٩٨٣ — بلاغات رسمية بالمعنى نفسه .

وخمسين ليرة في اليوم الواحد ، من صندوق الحكومة ، مقابل ان يفتح دكانه ، ولكن المناعة الوطنية كانت عند هؤلاء أقوى . وأذاعت «الحكومة» بواسطة راديو الشرق (بيروت) ، انها تدفع للتاجر الذي يفتح محله ، كل خسارة قد يتعرض لها ، من تكسير او تحطيم . وانه حال وقوع اي تلف من اعتداء الجمهور ، تعين لجنة من تاجرين لتقدير الخسارة ، وتدفع الحكومة حالاً ما يقدران ، وارسلت الحكومة رجال الدرك والشرطة ، ومفتشي الأمن العام والشرطة السريين ، الى بعض الاسواق لاجبار التجار على فتح محلاتهم . وكان التجار كثيراً ما يقفون امامها ، فاضطروا بعدها الى الابتعاد عنها . بل ارسلت عمالها الى بعض اصحاب المحلات الكبيرة ، في الاسواق الرئيسية ، وهم في بيوتهم لتسوقهم منها الى فتح محلاتهم ، تحت ضغط الوعد والوعيد ، حتى اضطر كثيرون منهم الى التغيب عن منازلهم اياماً . وكانت إذا افلحت في فتح دكان صغير في زاوية سوق أو زقاق ، ترسل له عدداً من الجند يحميه من سخط الجمهور .

وعمد عملاء الانتداب ، الى إذكاء نار الفتنة الطائفية . لقد ارادوا ان يثيروا المذابح بين المسيحيين والمسلمين . واخذت عاصفة هائلة من الاشاعات ، تجتاح لبنان من اقصاه الى اقصاه . ان الالسنة تتناقل الف قصة وقصة . في النهار عن إساءة أساءها المسلمون الى المسيحيين ، وغيرها اساءها المسيحيون الى المسلمين . اليوم كانت سيدة مسيحية تنزل من الترامواي في محلة البسطة ، فقالت لتشق طريقها « باردون » ، فتصدى لها بعضهم وشتموها ، وقالوا لها « باردون بعينك . نريد ان نخلص منك ومن هذه اللغة الملعونة » . اليوم كانت مظاهرة من السيدات ، تسير نحو بيت بشارة الخوري ، فأطل خوري من شباك المستشفى الماروني ، تحت المندوبية وبصق عليهن . اليوم كان بائع مسيحي يفتح دكانه ، ليتناول منه حاجة ضرورية على ان يقفله ، فرآه بعض الرعاع المسلمين ، فرشقوه بالحجارة وشتموه . اليوم مرت امرأة مسلمة ، امام مخفر الجميزة ، فانتهرها شرطي مسيحي ، وسب دينها . اليوم كانت بائعة حليب تطوف على البيوت ، فناداها احدهم من الشبان وقال « يا بائعة الحليب بدنا ندوس على الصليب . » وكان اكثر هذه القصص ، يصور الاعتداءات

واقعةً من المسلمين على المسيحيين [٢٠].

وكان الى جانب هذا النوع من الدعاية ، « نوع ارقى » لتصوير الحركة بانهـا حركة اسلامية ، تؤدي الى طغيان العناصر الاسلامية ، وتضاؤل العناصر المسيحية امامها . كانوا ينبشون قصصاً عتيقة بالية ، وحوادث من التاريخ القديم ، الله اعلم كم فيها من الصحة ، وكم فيها من الاختلاق ، ويثيرون المخاوف من المستقبل ، لينتهوا الى القول انه لا حياة للمسيحيين ، إلا بحماية فرنسة حاميتهم التقليدية .

ووسعوا نطاق هذه الدعاوات المفسدة ، حتى تنـاولوا الارمن . وكان هؤلاء قوماً شديدي الاحساس في هذه الناحية . لقد هربوا من بلادهم عـلى اثر المذابح الهائلة ، التي كانت بينهم وبين الاتراك المسلمين ، وشردوا من اسكندرونة ، على اثر انتقالها الى ايدي الترك . وجيء بهم الى لبنان ، لاكثار المسيحيين فيه ، وزيادة عدد الطوائف طائفة جديدة تطلب حماية فرنسة . ان الاستعمار الذي تخلى عنهم في تركيا ، لم يحرص عليهم في لبنان وسورية ، ولم يدللهم إلا لمثل هذا اليوم .

وانطلق زبانية الافساد باشاعاتهم ومختلقاتهم بين الارمن ، يصورون لهم حركة المقاومة ، بانها حركة يقوم بها المسلمون للقضاء عليهم . واخذ بعض الارمن انفسهم ، يبثون هذه الدعاوة في الاوساط الارمنية ، حتى توصلوا في دعاوتهم الى الاستعانة ببعض الرهبان . وكانت اخطر اكذوبة جازت على الارمن ، واقلقت خواطرهم جد القلق ، ان رياض الصلح قد اعد مشروعاً قبل اعتقاله ، لنزع الجنسية اللبنانيـة عن جميع الذين تجنسوا بها بعد العام ١٩١٨ ، ومثل هذا القانون يجرد المائة والعشرين الف ارمني الموجودين في لبنان ، من جنسيتهم ويلقيهم خارج الحظيرة اللبنانيـة ، ويجعلهم في بيداء الجنسية تائهين .

وفي إبان هذا الغليان الفكري ، والجزع المنتشر بين الارمن ، بل بين جميع سكان لبنان ، انتشر نبأ فزعت له القلوب ، وتشاءمت منـه النفوس اي تشاؤم . ذلك انه وجد رجل ارمني قتيلاً تحت قرية دير القمر المسيحية . وفي الواقع ان

(٢٠) — انظر لبنان الاستقلال — البيان الطائفي (١٠) . بيان وضعه احد الموظفـين في المندوبية باللغة العربية وآخر باللغة الفرنسية .

الرجل الذي ذكر اسمه وجد قتيلاً في تلك الناحية .

انبراء السيدات والعناصر الوطنية لمحاربة الطائفية

وانبرت العناصر النيرة ، لمحاربة هذا العدو الاخطر ، في النزاع الطائفي . ماذا كان يحل بلبنان ، لو اختلف ابناؤه ، وعادوا منقسمين طوائف ومذاهب وشيعاً واديانا ، يقتلون بعضهم بعضاً ؟ ان في لبنان فئات من العامة ، قد تجوز عليها هذه الاشاعات ، والتوتر الديني عندها حساس ، لذلك كانت مهمة العناصر النيرة ، على اعظم جانب من الخطورة والصعوبة . وانصرف همّ العاملين الاكبر الى هـذه الناحية . جاهد الوطنيون اللبنانيون جهاداً رائعاً جباراً ، ضد هذا الخطر ، وبذلوا في دفعه ما بذلوا . لقد عمل الرجال والنساء ، والشيوخ والأطفال ، ورجال الدين من مختلف الطوائف ، وسهروا الليل والنهار ، حتى قضوا على تلك الانباء المختلقـة ، والاراجيف المثيرة . وقد حمل لواء هذه المكافحة بين رجال الدين ، المطران اغناطيوس مبارك ، فكان يطوف على الاحياء والبيوت ، ويتحدث ويخطب في الاندية والكنائس ، وفي كل مجتمع ، ويرسل الدعاة من مرؤوسيه ، مثلما فعل مفتي الجمهورية اللبنانية . عـلى ان جميع رجال الدين ، ورؤساء الطوائف المختلفة ، لم يقصروا في هذا الميدان .

وابلى شبان الكتائب في هذا المضمار احسن البلاء . لقد وقفوا في وجه تيـار الاشاعات ، وكان لوقوفهم هذا الموقف ، اثر بليغ في خنق الفتنة في مهدها .

وأما السيدات ، فكان لهن النصيب الأوفر من هذا الجهاد الرائع . لقد خضن المعركة بمهارة وشجاعة وحماسة لا مثيل لها . أدركن عظم الخطر ، إدراكاً عجيباً ، وعبأن صفوفهن لمكافحته ، تعبئة باهرة ، أرسلن الوفود تلو الوفود ، الى رؤساء الطوائف على اختلافهـا ، وأرسلن الرسل الى القرى ، الى أقاصي لبنان ، يعرفن القرويين والفلاحين بالحقيقة ، ويبشرنهم بالفكرة الوطنية . لقد كان وراء كل شائعة ، سيدة بل سيدات ، يطاردنها حتى يصرعنها ، كما يصرع الصياد طريدته .

وفد السيدات عند بطريرك الموارنة

وكان لهن مواقف حاسمة ، يكفي ان نذكر منها ، موقفهن عند البطريرك الماروني ، إذ عاد الى بكركي ، مقره الشتوي ، من مصيفه الديمان ، وأخذت الالسنة تتناقل أنه غير راضٍ عن حركة المقاومة ، وأن له رأياً مخالفاً لها . وكان سبب ذلك ، ان الفرنسيين وعمالهم من إده وأعوانه، ارسلوا الى غبطته ، منذ بداية الحوادث ، من يحيط به ويصور له الامور على خلاف حقيقتها . والديمان ناحية بعيدة عن المدن ، وعن العاصمة ، وعن مصادر الاخبار ، فساعد ذلك على تصوير الحالة مشوهة لديه . فلما وصل الى بكركي ادرك الذين قصدوا اليها من الوطنيين ليستقبلوه ، الخطأ في اهمالهم الذهاب اليه ، وعرض الحقيقة عليه . وأخذت الوفود تتوالى على بكركي ، لتعالج الواقع . وكان بينها وفد السيدات ، وقد ذهبن مئات في مظاهرة رائعة مؤثرة ، وألقين الخطب الوطنية المثيرة . وقد تبين غبطته الصدق والتجرد والوطنية في لهجتهن ، ولم يخرج وفدهن من لديه ، إلا وقد طمأنهن انه يشاركهن في شعورهن ، وفي مطالبهن بل مطالب الامة . وبلغ من حماسته ، انه استشهد ببيت من الشعر ، كانت قد انشدته احدى السيدات ،ليعرب عن مشاركته لهن في الشعور والرأي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

وقد استشهد بهذا البيت في مواقف متعددة بضع مرات بعد ذلك اليوم .

وكان لهن مثل هذا الموقف ، عند بطريرك الأرمن . فقد ذهبن اليه ، وكلهن ايمان بانه سيسمع الى صوتهن ويعتنق رأيهن ويجيبهن الى طلبهن ؛ في دعوة الارمن الى نبذ الأشاعات المغرضة. وفي بهوٍ التف فيه زعماء الارمن حول البطريرك واعوانه من المطارنة والكهان ، أخذت خطيبات الوفد يناشدن الأرمن الوفاء للبنان الذي انزلهم منه اكرم منزل ، وكان لهم خير وطن ، بعد وطنهم الذي نشأوا فيه .

واخذن يذكرن الارمن بالجهاد المشترك القديم ، بين العرب والارمن في ظل الحكم العثماني . ويحذرن القوم من دسائس المستعمرين ، تلك الدسائس التي لم تجلب

عليهم في الماضي ، الا الخراب والدمار والشقاء ، والتي لا يمكنها ان تجر عليهم في هذا العصر ، إلا ما هو أسوأ من شرور الماضي وآلامه . ولم يخرج وفد السيدات ، إلا وقد طمأنهن غبطته ، انه والارمن كسائر ابناء لبنان،اخوان في السراء والضراء.

قالوا ليس في بشامون إلا الدروز . ولكن كذبهم الواقع ، فقد كان من ابناء دير القمر ، وابناء عين زحلتا ، وغيرها مسيحيون كثيرون ، بل كان القائد العام ومعاونه مسيحيين .

وقالوا ان القائمين بالحركة مسلمون كلهم ، والدليل انه ليس بين المصابين مسيحيون ؛ فكذبهم الواقع ايضاً ؛ فقد سقط من الطلاب مسيحيون ومسلمون ؛ وكان بين الجرحى الشيخ بطرس الجميل رئيس الكتائب الاعلى .

وقالوا ان زغرتا وبشري قد تحركتا ؛ وهما تقصدان طرابلس وبيروت ؛ ولكن زغرتا وبشري كانتا بعيدتين عن هذه الروح . وقالوا ان كسروان — المنطقة الجبلية التي يسكنها الموارنة بنوع خاص — غاضبة على الحركة ؛ وانها تؤيد الفرنسيين ؛ وان الاجراس تدق فيها تأييداً لما عملوه . ولكن كسروان كذبت هذا الحديث ؛ وكانت جونية، قاعدة هذه المنطقة ، مقفلة مضربة ، كغيرها من المدن اللبنانية .

واخيراً لم تتورع جريدة « ؟ » المزيفة ان تعمل على فتح جراح قديمة ؛ فقد قامت تذكر المسيحيين بحوادث سنة ١٨٦٠ ؛ وتقول لهم ان اجراس دير القمر التي دقت دقات الخوف والحزن في ذلك العهد ؛ قد عادت اليوم تدق مرة اخرى دقة الحزن. واما الحقيقة ، فقد كان الناس يرونها في بشامون ؛ مرسومة على وجوه ابناء الدير؛ كمتطوعين في الحرس الوطني للدفاع عن الاستقلال ، واسترداد الحق السليب، الى جانب اخوانهم الدروز .

*

انها لحرب اعصاب هائلة ، خاضتها القوى الوطنية اللبنانية في تلك الفترة . لقد كانت أخطر من السلاح الاميركي الحديث في يد السنغاليين . ولكنها انتهت بنصر عظيم . وكان معظم الفضل في هذا الفوز لثلاثة : السيدات والكتائب اللبنانية

والمطران مبارك . لقد انتصر لبنان على الدسائس، بل انتصر على نفسه وعلى ماضيه وعلى ضعفه وعلى بنيته الطائفية المركبة . انه بدء عهد جديد ، لا يستطيع فيه المستعمرون أن يلعبوا بابناء البلاد ، ولا ان يثيروا بينهم الفتنة التي يتخذون منها حجة للاستعمار .

اصبحت الازمة اللبنانية حديث صحف العالم ومحطات الاذاعة. وكان على راديو الشرق في بيروت ان يقف وحده . وكان عليه ان يكذب ويكذّب .

وقد وجه حملاته بنوع خاص ضد مصر وفلسطين والعراق ؛ وضد بريطانية وصحافة هذه البلدان ومحطات الاذاعة فيها بنوع خاص .

« لماذا تتدخل بريطانية في شؤون لبنان ؟ هل نتدخل نحن في شؤون فلسطين والهند ؟ » .

« لماذا لا تعطي بريطانية هذين البلدين الحرية ؟ »

« ليذكر النحاس الطريقة التي جاء بها الى الحكم . واذا كانت ذاكرته تنسى فليسأل ملكه لعله يذكره ! »

« لقد ظل الانكليز شهراً كاملاً حتى استطاعوا القضاء على حركة رشيد عالي الكيلاني ؛ واما نحن فقد تمكنا في نصف ساعة من القضاء على حركة مماثلة لها » .

مثل هذه الأقوال ، كان يلقيها مذيع الراديو في بيروت ، على أسماع العالم .

الى أي شيء كان يستند الفرنسيون ؟ وعلى من كانوا يعتمدون ؟

كان الوطنيون في حيرة من هذه الناحية . فهم لا يريدون ان يفرط اللبنانيون في الامل ، والاعتماد على الدول الغربية . ومن اجل ذلك ، كان عليهم محاربة الاقوال التي تظهر الانكليز مؤيدين للحركة كل التأييد ، وانهم يتخذون تدابير ناجعة لها . ولكن من ناحية اخرى، كان عليهم محاربة أية محاولة لتصوير الحلفاء بصورة المتراخي المعرض عن لبنان ، فتثبط عزائم فريق من اللبنانيين . وفضل الوطنيون المؤمنون ان يحاربوا في جملة ما يحاربون ، روح الاعتماد على الغير . يجب ان يعتمد اللبنانيون على انفسهم ، ثم على اخوانهم ابناء الاقطار العربية الذين يشاركونهم في ثورتهم مشاركة مجردة منبعثة عن العاطفة القومية، دون حساب لمصلحة. واما الدول

الغربية ، فليست عاطفتها هي التي توقفها الى جانب لبنان ، وإنما هي مصلحتها . فاذا خالفت مصلحتها مصلحة لبنان ، خذلته وتخلت عنه . على ان هذه الدول نفسها ، لا يمكن ان تدافع عن لبنان ، اكثر مما يدافع اهله عنه . ولا يمكن ان تتصلب في شأنه حيث يلين ، وأن تغضب حيث يرضى ، وان تقدم حيث يحجم . يجب اذن ان يعلن ارادته بقوة . وان تكون قوته من الداخل، لا من الخارج. ومتى سلم داخل الامة ، زادت قوتها في ميدان السياسة الخارجية . لقد لمح الأجانب انفسهم لرجال الحركة : ان موقف اللبنانيين هو الذي يقرر موقف الدول، وهو الذي يقرر مصير لبنان بالدرجة الاولى .

وانطلق الشباب اللبناني ، يبث هذه الدعوة الوطنية المجردة . اننا نفضل ان يكون الأمر بيننا وبين الفرنسيين ، وكل ما نطلبه أن يخلوا الامر بيننا وبينهم ، وان لا ينصروا فريقاً على فريق . نحن لا نريد ان يمدونا بشيء ، ولكننا نريد أن لا يقفوا بجانب الفرنسيين إذا وقعت الواقعة بيننا وبينهم . ونحن لا نريد ان يكون للانكليز ولغير الانكليز ، منّة علينا ، والمنة كما نعلم تصبح فيما بعد حقاً للتدخل في شؤوننا ، يطالبنا به أصحاب تلك المنة. إننا لا نريد أن نزيل انتداباً لنقيم آخر محله، ولا أن نخلع نيراً لنضع نيراً مكانه. لا نريد أن تتقلص عن استقلالنا يد فرنسة، لتمتد بدلاً منها يد بريطانية أو سواها .

وأخذ هذا الشباب يحرض الحكومة الشرعية في بشامون ، على القيام بحركة عسكرية ، ويلحون بمهاجمة العاصمة ، أو مهاجمة بيت الدين وبعبدا ، قاعدتي الحكم في منطقة الشوف ، واتخاذ احداهما عاصمة موقتة . وكانت غايتهم من هذا مثلثة الأهداف :

١ — تخفيف الضغط عن العاصمة .

٣ — حمل الفرنسيين على الاسراع في التسليم بمطالب البلاد .

٣ — جعل الفضل في حل الازمة للبنانيين وتضحياتهم، إذا ما حلت على الشكل الذي يريدونه ، لا للدبلوماسية الأجنبية وحدها .

وكان الشباب لا يكتفون بان يطالبوا حكومة بشامون بهذا ، على انه رأي

لهم ، بل كانوا وهم الذين يؤمنون الاتصال بين بشامون والخارج ، يستخدمون الأخبار والحوادث بشكل يؤيد وجهة نظرهم، ويجعل بشامون تأخذ بها .

اشاعات عن احتمال مهاجمة الحرس الوطني للعاصمة

وباتت العاصمة تنتظر مهاجمة الحرس الوطني لها . [٢١] واعـــدت فرق « اشباح الليل » من الشباب الوطني ، عدتها للعمل من داخل المدينة ، في الساعة التي يبدأفيها الهجوم عليها من الضواحي . ووضعت الخطة بمعرفة قواد الحرس الوطني. وانقضت ليلة الأحد ، والمدينة لم تهاجم . وانتظر الناس عشية الاثنين الهجـــوم ، وسهروا قلقين حتى الصباح ، ولكن الأمر لم يعدُ ان ألقيت بعض القنابل ، وسمعت طلقات نارية تصدر من بعض نواحي المدينة . وبينما الناس ينتظرون عشية الاثنين ، وقـد شاع بينهم ان الهجوم واقع حتماً فيها ، إذا بالرسل تفد من الجبـل ، تنبيء بان الجيش الفرنسي قد هاجم بشامون بدباباته ومصفحاته ، وانه يعمل على تطويق القرية ، وان رجال الحرس الوطني صامدون في بسالة رائعة ، وان رحى المعركة ما زالت دائرة منذ ثلاث ساعات . وهلعت قلوب اللبنانيين لهذا النبأ . لقد أحاطت خواطرهم ومخيلاتهم وعواطفهم ببشامون ، كما أحاطت أنظارهم بالمنطقة الجبلية ، التي تقع فيها القرية ، وهي مطلة على المدينة . وسهر الكثيرون على سطوح المنازل، ليروا نيران المعركة ، ولكنهم لم يروا شيئاً . لقد توقف القتال في الليل ، فهـــل تراه يستأنف في الصباح .

والانكليز . كيف يقولون انهم أصدروا أوامرهم الى الجيش الفرنسي، بأن لا يأتي بحركة ؟ كيف يزعمون ان الفرنسيين لن يستطيعوا ان يهاجموا بشامون ؟ أهي خدعة منهم ؟ أهي لعبة وراءها ما وراءها ؟ لقد طلبوا الى رجال لبنان ، ان لا يأتوا بحركة ، مؤكدين ان القضية تحل بسرعة ، وتعهدوا ان الفرنسيـــين لن يأتوا بحركة في الجبل . ولولا ذلك ، لما انتظر اللبنانيون ان يهاجموهم ، بل كانوا بادأوهم بالهجوم .

(٢١) انظر كتاب اللايدي سبيرز ، قصة الاستقلال ، ص ١٠٩ .

اسرار الاضراب

ولماذا لم يهاجم الفرنسيون القرية إلا مساء الاثنين ؟ قيل إن إميل إده وعـــد الفرنسيين بفتح المدينة صباح الاثنين . ان للاضراب فلسفة خاصة . وقـد أدرك الذين عانوا حركات الاضراب ، خلال عشرين عاماً ، ان نفسية المضربين تتـــأثر بمؤثرات غريبة : منها أيام الاسبوع ، فيوم الاثنين كان دائماً أخطر يوم عـــلى الاضرابات . فهو بالنسبة الى الوطنيين ، كمنعطف الطريق في الجبـال بالنسبة الى سائق السيارة . وهكذا اشتدت المعركة بين الفرنسيين وإده وإخوانه ، على النحو الذي وصفناه من قبل — من جهة — وبين الوطنيين والامة الثائرة ، من جهـــة أخرى . وأمسك كل من الفريقين قلبه بيده ، في صباح الاثنـين . وكثر الجنود والدبابات في الشوارع . وعلت الوجوه في ذلك الصباح صفرة القلق . وتجـددت المظاهرات بعد هدوئها في اليوم السابق هدوءاً نسبياً . ولكن انقضت الساعـات الاولى من النهار ولم تفتح المدينة أبوابها . وهكذا سلم الاضراب وغلب الفرنسيون على أمرهم وغلب معهم إميل إده وأصحابه .

ومن اسرار الاضراب انه كالمعارك الحربية يتوقف النصر فيه على صبر ساعة او ربع ساعة كما قال أحد القواد . واضراب نهار يتوقف عـلى اضراب الساعة الاولى من صباحه . فاذا سلم فيها سلم في النهار طوله . كما ان اضراب الاسبوع ، يتوقف على اليوم الأول منه ، فاذا اجتاز الاضراب نهار الاثنين ، فمعنى ذلك أنه اجتاز العقبة الكبرى ، وامكن استمراره الاسبوع بطوله ، الى الاثنين الذي يلي .

ومن اسرار الاضراب والمظاهرات ، ان مشهد الدبابات والجنود والمصفحات، وكل مظاهر القوة ، يزيده قوة بل يعيده كأنه في بدايته ، حين يكون على وشك أن يلفظ أنفاسه . وكثيراً ما ارتكب المستعمرون هذا الخطأ في الشرق ، فأحيوا في نفوس الشعوب روح العناد ، وزادوا المقاومـة قوة باظهارهم القوة . ان أشد النفوس مسالمة ، تأبى الاستفزاز وتنقلب نفوساً مشاكسة على التحدي .

ولما رأى الفرنسيون يوم الاثنين ينقضي ، بل الساعات الاولى منه تنقضي دون

ان ينتهي الاضراب ، بعد أن بذلوا كل تلك الجهود ، عادوا الى الهجوم على قوات الحرس .

اشتداد حركة الارهاب في بيروت

وكان من نتائج مهاجمة الجيش الفرنسي لبشامون ، ان اشتدت حركة الارهاب في العاصمة ، فقد رأى «اشباح الليل[٢٢]» ان خير وسيلة لتخفيف الضغط على المحاربين في الجبل ، توسيع نطاق العمل العنفي في المدينة . وهكذا أخذ البيروتيون يسمعون ، منذ ليلة الثلاثاء ، ازيز الرصاص ودويّ القنابل ، يملأ جو المدينة ، ويهز جوانبها هزاً ، والناس كلما سمعوا هذه الأصوات تشتد ، يزدادون سروراً ، كأنما هي انغام موسيقى وطنية .

ونهض اللبنانيون صباح الثلاثاء على حوادث جسام . اليوم يصدر البلاغ الحربي الأول ، من قيادة الحرس الوطني . قطع الفرنسيون طرق الجبل والملحقات . هم يمنعون المرور فيها ، ومن وجدوه فتشوه ، وقد اوقفوا عدداً ممن اشتبهوا بأمرهم ، ومع ذلك وصل البلاغ الاول الى المدينة ، وأخذ الناس يتناسخونه ، والايدي تتناقله بسرعة البرق الخاطف ، ووصل الى راديو « الشرق الادنى » (يافا) في ذلك المساء ، فاذاعه على العالم ، وتناقلته عنه جميع محطاته .

موقف روسية

وفي ذلك اليوم يعلن موقف روسية ، فتقول احدى محطات الحلفاء ، ان روسية ابلغت حكومتي بريطانية والولايات المتحدة ، ان وجهة نظرها في قضية لبنان ، هي وجهة نظرهما تماماً[٢٣] . اما وقعه في نفوس اللبنانيين فكان عظيماً ، وأدركوا ان المظاهر التي استعان بها الفرنسيون ، ليوهموا الناس ان روسية

(٢٢) انظر جريدة علامة الاستفهام (?) العدد الرابع السنة الاولى . راجع مجموعة الوثائق في آخر الكتاب .

(٢٣) راجع جريدة البشير تاريخ ١٧ تشرين الثاني – عدد ٦٩٨٥ .

تؤيدهم ، لم تكن إلا دعاية وتمويهاً . وقد زادهم افتضاح الأمر بهذا الشكل ، ضعفاً على ضعف ، في نظر اللبنانيين .

واطمأنت نفوس اللبنانيين الى ان الفرنسيين قد خسروا المعركة من الوجهة الدولية نهائياً ، فماذا بقي لديهم ؟ بقي انهم لا يسلمون ، بل يظلون راكبين رؤوسهم ويستمرون في عنادهم ، لعل الوقت يخدمهم ، لعل الدسائس تنفع ، لعل الفتن بين المسيحيين والمسلمين تثور ، لعل تطوراً غير منتظر يطرأ على الحال الدولية ، فيبدل الموقف بما يفيدهم .

وهكذا اصبح كل اعتمادهم على الوقت ، فأخذوا يطيلون ويماطلون .

٣ . الجنرال كاترو في بيروت [٢٤]

من هو كاترو ؟

عرفت سورية ولبنان، الجنرال كاترو منذ السنوات الاولى لاحتلال الفرنسيين هذين البلدين ، إذ تولى فيها رئاسة دوائر الاستخبارات عدة سنوات . وقد اشتهرت عنه وقتئذ ، صفات الشدة والذكاء والنزاهة والنزعة الاستعمارية . ثم عرفته مرة اخرى ، عند دخول قوات الحلفاء الى سورية ولبنان سنة ١٩٤١ . وقد اسندت اليه مهمة المندوب الفرنسي فيهما ، واشترك في إصدار التصريحات باسم فرنسة الحرة والمحاربة ، باستقلال هذين البلدين . وقد رافق تطور الحياة السياسية فيهما ، ودعي الى حل ثلاث ازمات خطيرة ، نشأت الاولى على يده ، يوم كان ما يزال مندوباً عاماً ، والثانية والثالثة على يد هللو الذي خلفه في المندوبية .

الاولى : عندما ابتعد خطر المعارك عن الشرق، ولم يبق من الوجهة العسكرية ما يحول دون قيام النظام النيابي في لبنان ، أراد الجنرال كاترو ان يقيم في لبنان ، رئيساً جديداً للجمهورية وحكومة جديدة ، تتولى اجراء الانتخابات ، بدلاً من الفرد نقاش رئيس الجمهورية وحكومة سامي الصلح ، فكلفهما بالاستقالة . وبالرغم من ان النقاش كان معيناً تعييناً ، فقد اعتبر الوطنيون محاولة كاترو هذه ، تدخلاً في شؤون لبنان ، واعتداء على الاستقلال . واحتدمت الازمة كثيراً ، وابى النقاش

(٢٤) وصل كاترو يوم الثلاثاء ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٣ صباحاً (انظر كتاب كاترو ص ٤١٤)

الاستقالة وأيده سامي الصلح رئيس الوزراء ، وجورج الكفوري من اعضاء وزارته الخمسة (احمد الحسيني ، موسى نمور ، فيليب بولس ، المرحوم حكمت جنبلاط) معلنين ، انه ليس لمندوب فرنسة ، والبلاد مستقلة ، ان يتدخل في شؤون الحكم ، ولكنه اصر واقالهم . فاستقبلت البلاد الحادث بالاسف والوجوم ، واذعنت للقوة رغم انفها . وكمن الألم في نفسها ، لينفجر فيما بعد ، في اليوم الذي يخبئه القدر .

وعين الجنرال كاترو ايوب ثابت، رئيساً للدولة والحكومة ، لمدة ستة اشهر ، ينتخب خلالها مجلس النواب ، الذي ينتخب بدوره رئيس الجمهورية .

الثانية : كان الجنرال كاترو ، قد نقل الى الجزائر وتولى المندوبية هللو . وقيل في بدء عهده ، انه حر وانه دبلوماسي لا عسكري مستبد ، وانه ديمقراطي ، وانه هو والانكليز على تفاهم في ضرورة قيام حكم وطني نيابي حر ، واستقلال صحيح في سورية ولبنان .

وفي ١٨ مارس ١٩٤٣ أصدر أيوب ثابت قراراً بزيادة عدد المقاعد النيابية اثني عشر مقعداً ، وآخر بتوزيعها على الطوائف . وقامت بسبب هذا التوزيع أزمة شديدة ، إذ رأت فيه بعض الطوائف اجحافاً بحقها . وكان سببها الحقيقي ان البلاد مفعمة استياءً فهي تفتش عن متنفس ينفجر منه سخطها ، من أثر الأزمة السابقة ، ومن التمهيدات التي يقوم بها الفرنسيون ، لانتخاب مجلس يأتمر بأمرهم .

وعهد الى كاترو بحل الازمة . فجاء من الجزائر، ومر بطريقه في القاهرة ، حيث استقبله النحاس باشا وطلب اليه حل الازمة بما يرضي اللبنانيين . وبعد جهد طويل عاناه في بيروت ، توصل إلى حل الازمة بتعديل توزيع المقاعد النيابية ، وباقالته حكومة الدكتور ايوب ثابت التي عينها هو ، وتعيين بترو طراد رئيساً للدولة والحكومة ، وعبد الله بيهم سكرتيراً عاماً للدولة ، وتوفيق لطف الله عواد امين سر معاوناً . وكفلت هذه الأزمة تمتع اللبنانيين بحرية نسبية في الانتخابات، لم يتمتعوا بمثلها من قبل .

الثالثة: وكانت الازمة التي تجاوزت كل ما سبقها عسفاً وافتئاتاً ، حتى وصفت التدابير التي أثارتها ، بانها ضرب من الجنون . وكان الجنرال كاترو من أعرف

الفرنسيين بالحال في لبنان . لذلك لم تكد تثور هذه الازمة الحادة ، حتى أعلنت اللجنة الفرنسية في الجزائر ، انها انتدبته لحلها .

هواجس اللبنانيين

أُعلن ذلك يوم السبت ، أي في اليوم الثالث من وقوع حادث الاعتداء، وانقسم اللبنانيون لهذا الخبر بين متشائم ومتفائل . ومن يدري باية عين سينظر الى هذه القضية : أبعين العسكري القديم المتعسف ، كما فعل في ازمة الفرد نقاش ؟ أم بعين السياسي الحر ، المتفهم للتطور الحاصل في الشرق عامة ، وفي الشرق العربي خاصة ، وفي لبنان بوجه اخص ، كما فعل في ازمة ايوب ثابت ؟

وتضاربت الأقوال في تحديد المهمة التي وكلتها اليه اللجنة الفرنسية ، فمنها قول انه ارسل لحل الازمة ، ومنها قول انه ارسل لتأييد هللو وتثبيت ما فعله ، ومنها قول انه كلف اعادة الحال الى مثل ما كانت عليه. أما المندوبية الفرنسية في بيروت فكانت تصرّ على القول ان مهمته تأييد هللو وتثبيت تدابيره . وقد اذاعت بذلك بياناتٍ قائلة فيها ، ان هللو قد فعل بامر من اللجنة الفرنسية ، وانه لن يحيد عما فعل. وظل راديو الشرق في بيروت يردد هذا القول أياماً ، ويكذب صراحة ما زعمته مصادر الجزائر ، من ان هللو اتخذ التدابير منفرداً ، ودون الرجوع الى اللجنة الفرنسية فيها .

واستغرب الناس ان يكون هللو قد أقدم من نفسه على اتخاذ هذه التدابير ، وهو الذي عرف عنه اللين والمسالمة ، والميل الى الأساليب الدبلوماسية على ما يوحيه خلقه ، والسلك الذي ينتمي اليه في وزارة الخارجية الفرنسية . وقليل جداً من الناس ، من يصدقون عنه هذا الزعم . وأما الرأي المجمع عليه فأمور ثلاثة :

١ – إما أن يكون وضع هذه الخطة ، خطة الخطف ، وتعطيل الدستور ، وتعليق الحياة النيابية وبقية القرارات ، نفر من كبار موظفي المندوبية وأصدقائهم، فنفذها هللو بعد موافقة الجنرال دى غول عليها . وتحصر هذه المؤامرة في بيلين ، رئيس الغرفة السياسية ، وبوغنز مساعده، وغوتييه مدير الأمن العام من الموظفين الملكيين

الفرنسيين ، وفي انطون رزق ، المستشار الشرقي في المندوبية ، وهو من بلاد العلويين ، وفي اميل إده النائب ورئيس الجمهورية السابق . ويضاف اليهم بعض العسكريين ، يتزعمهم كولونيل يدعى بواسو .

٢ – واما ان يكون هللو تلقى تعليمات من الجزائر،بان يستعمل القوة والبطش للمحافظة على هيبة فرنسة . فلما وصل وضع هؤلاء المتقدم ذكرهم ، الخطة بتفاصيلها فعرضوها عليه فنفذها .

٣ – واما ان يكون اعضاء اللجنة الفرنسية ، المقيمة في الجزائر ، او بعض المسؤولين فيها ، قد رسموا هذه الخطة لهللو ، وامروه بتنفيذها ففعل .

ومعظم الناس أميل الى الاخذ بالقول الأول . وقلّ من يبرىء احد اولئك الاشخاص ، من تدبير المؤامرة . فقد سمع عن لسان إده ، انه لم يكن يعلم بامر الاعتقال قبل وقوعه ، وانه لو علم به لما وافق عليه [٢٥] .

واما هللو ، فقد ذكرنا من قبل انه ابرق من القاهرة الى بيروت في السابع من تشرين الثاني (نوفمبر)،يقول انه يحمل من اللجنة الفرنسية عروضاً،ليس اكثر منها سخاء وحرية ، مستمهلاً الحكومة اللبنانية في تعديل الدستور ، ريثما يصل ويطلعها على تلك العروض ، و كتب هذا البيان الذي اصدره على اثر الاعتقال ، ليبرر عمله ذاك . غير ان الناس لم يصدقوا ، وما زالوا لايصدقون ، ويعتقدون انه زعم باطل ، اراد به مخادعة اللبنانيين ، ريثما يصل ويضرب ضربته، ولكنهم لم ينخدعوا. وقالت سيدة جليلة من اكبر الاسر اللبنانية في مصر (ارملة المرحوم جبرائيل تقلا باشا) ، انها اجتمعت في القاهرة الى هللو وهو في طريقه من الجزائر الى بيروت ، فحدثها في الحال السياسية ، وقال لها انه يحمل من اللجنة الفرنسية تعليمات صارمة ، وتدابير قاسية جداً ، لتطبيقها في لبنان .

استعداد الهيئات اللبنانية لمقابلة كاترو

ومنذ الساعة التي اعلن فيها ايفاد الجنرال كاترو الى لبنان ، اخذت الهيئات

(٢٥) كان موقف ريمون اده نجل اميل اده معاكساً تمام المعاكسة لرغبة الفرنسيين – من حديث لوديع الاشقر مع المؤلف. وطبعاً انني اذكر ذلك للتاريخ دون ان يكون لي رأي فيه.

الوطنية العامة ، تنظم الخطة لمواجهته . ان الامة اجمعت كلمتها على المطالبة باعادة كل شيء الى حالته السابقة ، والغاء جميع التدابير والقرارات التي اتخذها المندوب الفرنسي . غير ان الجنرال كاترو رجل سياسي محنك ، وله حرمة في لبنان ، وله فوق ذلك اصدقاء ، افلا يخشى ان يتوصل الى التأثير في بعض اصدقائه ، مستعيناً بضغط العوامل ؟ وقد ساور القلق الشعب كله ، فهب يقول : لا مفاوضة إلا مع الشيخ بشارة ورفاقه المعتقلين . لا مفاوض إلا بشارة الخوري وحكومة رياض الصلح . هي كلمة الامة قالتهـــا بصراحة وقوة ، فمن يستطيع ان يخرج في تلك الغمرة على اجماع الامة ؟ لقد رأى اولئك الذين قد يكون في قلوبهم مرض ، وفي ضمائرهم وهن ، وفي وطنيتهم ضعف وريب ، العبرة البليغة في الرجل الذي رضي ان يتعاون هو والفرنسيون ، ضد ارادة الشعب . ترى لو قدر إميل إده مبلغ السخط الذي سيلاقيه من الشعب، اكان يقدم على ما اقدم عليه؟ انه لم يصب امرءاً من افواه الناس مثل ما اصابه، واية مغامرة هذه التي دخل فيها ، هو في صف ، والامة كلها في صف ، وحياته كيفما سار ، او حيثما حل ، معرضة للخطر . انه يمشي محاطاً بالحرس ، ويقعد محاطاً بالحرس . انه ينام — ولا ينام — مخفوراً بالسلاح ، ويصبح مخفوراً بالسلاح . الخطر يهدده في بيته ، وفي مكتبه ، في الشارع ، وفي السراي . الخطر يسير في ركابه كما يسير الجنود ، هو يواكبه عن يمينه وعن شماله ، ويلتف به من فوقه ومن تحته ، ومن خلفه ومن قدامه . اطلق الرصاص على سيارته . ولكنه نجا في احدى الليالي بفضل السرعة التي كانت تنطلق بها سيارته. والقيت على السراي قنبلة فانفجرت انفجاراً شديداً ، وحطمت بعض النوافذ ، ولكنه في تلك الساعة كان غائباً . والقيت على منزله القنابل خمس مرات ، في خمس ليال متعاقبة، ولكنه كان يبيت في منزل غير منزله .

هذا بعض ما كان يلقاه من خرج على إرادة الأمة وإجماعها ، وما كان احد ليحسد إده على تلك الحياة ، ولو كان ثمنها ملك الأرض ، وما كان احد ليرضى مثل ذلك المصير لنفسه . والمثل يقول : « لم تمت ؟ ألم تر من مات! ».

اذن — لا مفاوضة إلا مع المعتقلين . ولا مفاوض إلا بشارة الخوري ورياض

الصلح وحكومته — قالتها الأمة على لسان نوابها ، وحكومة بشامون وموظفيها ووجهائها وشبابها ، رجالها ونسائها، شيوخها واطفالها، وجمعياتها ومنظماتها ومختلف هيئاتها وطوائفها . فالأمة رجل واحد ، وقولها قول واحد [٢٦] .

جزع اللبنانيين من تأخر وصول كاترو

بات الناس ينتظرون وصول كاترو ويتساءلون لماذا أبطأ. « انه سيمر بالقاهرة ، فلا ريب ان النحاس باشا سيجتمع به ، كما اجتمع في السابق ، ويطلب اليه بشدته المعروفة ، إعادة الأمر الى نصابه بسرعة . ولعله يجتمع ايضاً الى المسؤولـــين البريطانيين في القاهرة . » بهذا كانوا يعللون مرور اربعة ايام ، بين إعلان سفره ، ووصوله الى بيروت نهار الثلاثاء [٢٧] .

---

(٢٦) انظر لبنان الاستقلال : بيانات الاضراب والافراد برفض المفاوضة .

(٢٧) قال كاترو في كتابه ص ٤١٤ : « وصلت بيروت صباح ١٦ تشرين الثاني . استقبلني على المطار هالو محاطاً باعوانه العسكريين والمدنيين — وكان يبدو الامتعاض على وجوههم من قدومي ، لأن أغلبهم كان يوافق على عمل هالو . فكلهم كانوا يحنون الى الانتداب والسلطة . كلهم كانوا يتألمون من الجنرال سبيرز ، ويؤكدون انه أصل السبب . كلهم ناقم على التدخل البريطاني . قطعت المدينة ورأيت كل صور ده غول ممزقة ، بينما تحتل صورة تشرشل جميع الجدران . يا للعجب !!! فالنقمة كانت عامة على وحشية عمل هالو، هذا العمل الذي خلق اتحاداً عاماً ، خلقه عمل رجل واحد..

اصبح هالو رمزاً للاستعمار .

واصبح سبيرز (المتحرر) رمزاً للحرية .

وشعرت ايضاً بالنقمة الصارخة على اده ، الذي عندما ذهبت لزيارته ، وجدته وحيداً في سراي خال كالصحراء . (ص ٤١٥) .

تركت الجزائر (ألجه) في ١٤ تشرين الثاني فجراً ، ووصلت الى القاهرة بعد الظهر ، حيث فوجئت بتظاهرات في القاهرة ، وهجوم صحفي عام ، على عمل فرنسة في لبنان .

وكان النحاس باشا قد ارسل برقية شديدة اللهجة ، الى رئيس لجنة التحرر الفرنسية ده غول ، وهدده فيها بوجوب اعادة النظر بالعلاقات الفرنسية المصرية .

وفي ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٣ صباحاً ، ذهبت لزيارة كايبي وزير الدولة البريطاني ، وكان قد عاد من لبنان ، فأعلمني ان الحالة خطيرة جداً ، وافهمني ان حكومته تنظر الى المسألة بانها جدية تماماً ، وان كل تأخير من قبلي ، يمكن ان ينتج عنه أسوأ التأثيرات ، خصوصاً وان بريطانية قد اشتركت

وصول كاترو

وصلها بالطيارة. ولم يحل فيها في قصر الصنوبر، مقر المندوب الفرنسي كعادته، بل في بيت من حي سرسق .

سهرت الأمة على وحدة موقفها ، وحرصت على ان لا يسمع الجنرال كاترو من جميع اللبنانيين ، الا قولاً واحداً ، ونغمة واحدة ، وهي انه لا مفاوضة الا مع الحكومة الشرعية ، ولا رجوع عن المقاومة، الا برجوع الأوضاع السابقة كلها، الى ما كانت عليه .

وقد وضعت كل هيئة من الهيئات المختلفة ، مذكرة في هذا الموضوع ، وأبلغتها الى مندوبي الدول المختلفة [٢٨]. وكان يوم الثلاثاء يوم وصول الجنرال كاترو ، يوماً هائجاً ، تجددت فيه المظاهرات في كل ناحيـــة . وسارت مواكب الشبان والنساء والطلاب والأحداث ، تهتف وتنادي بحياة المعتقلين ، مطالبة بعودتهم فوراً الى مراكزهم . وبينما كانت وفود المؤتمر الوطني ، والاتحاد النسائي ، وشباب النجادة ، والكتائب ، والشباب الوطني ، بعد وفود النواب تقصد متتابعة الى ممثلي الحلفاء ، يبلغونهم ارادة الأمة ، لمناسبة قدوم الجنرال كاترو، كانت العاصمة تسجل يوماً آخر، من أروع ايام المرأة في الحركة الوطنية. فقد نظمت السيدات مظاهرتين اشتركت فيهما نحو الف امرأة سرن صفوفاً منظمة ، كل اربع منهن في صف. وأقام شباب المنظمات حولهن نطاقاً لحراستهن. وكان اول من قصدن، دار مطرانية الروم الارثوذكس، ومنها الى مدرسة الحكمة ، حيث كان مجلس النواب مجتمعاً . وخطبت هناك سيدة في القوم ، خطبة ألهبت النفوس حماسة ، فرد عليهن المطران مبارك ، بخطبة من

بوعد البلاد ١٩٤١ بالاستقلال ، وان شرف بريطانية قد أصبح معلقاً على تنفيذ هذا الوعد . (كاترو يتكلم ..) وعندما هاجت سبيرز ، وحملته المسؤولية الكبرى للحوادث دافع كايسي عنه بحرارة .

وفي مساء نفس النهار ١٥ تشرين الثاني قابلني كايسي مرة أخرى وأفهمني ان علاقات بريطانية واميركة مع اللجنة الفرنسية تتوقف على حل المسألة اللبنانية . فأجبته ان المسألة تنتهي اذا استدعي الجنرال سبيرز وهالو فيمكننا اذ ذاك ارجاع بشارة الخوري من المعتقل والعودة الى دستور ١٩٢٦ فأبلغني كايسي في ساعة متأخرة من الليل رفضه لمقترحاتي ...

(٢٨) انظر لبنان الاستقلال – الجامعة الاميركية .

خطبه الوطنية النارية . وتحولن من هناك لزيارة مفتي الجمهورية . ولما وصلن الى الجميزة ، يقصدن ساحة البرج ، تصدت لهن قوات الشرطة ، ودعتهن الى التفرق ، فأبين وتماسكن بالأيدي والمناكب متحديات الشرطيين. وقسا هؤلاء في معاملتهن، وأرادوا تسليط السلاح عليهن ، فرأين ان يحتلن عليهم، فتظاهرن بالتفرق ولكنهن ما لبثن ان اجتمعن في حي آخر، هو حي حوض الدحديلي ، ومن هناك سرن قاصدات الى دار المفتي .

وحاول بعض رجال الشرطة ، ان يفرقوا النساء بالقوة [٢٩]. أما السيدات فقد آلين ان لا يتراجعن ، وان يقتحمن قوة الشرطة ، ولو كلفهن ذلك التعرض للنيران والقتل . وأخذتهن موجة من الحماسة والبأس ، فهاجمن صفوف الشرطة وهن يعيرنهم بخيانة وطنهم ، وانبرت احداهن تصيح في اولئك الرجال : انتم رجال ، وتفعلون هذا ! أفيكم شرف وتقفون في وجه وطنكم ! يا ويلكم ، بمائة ليرة تبيعون بلادكم ، وتخونون امتكم وتتعرضون لسخطها . اذا كان في سبيل المائة ليرة ، فنحن نعطيكم إياها ، ونعطيكم فوقها الاستقلال ، نحن النساء!» . وبينما كان صوت هذه السيدة يتعالى من هنا بهذا القول، كانت اصوات اخواتها تتعالى من هناك ، وهناك تتجاوب هذه الكلمات والمعاني : دعوا عنكم هذا الذل ، والحقوا بهم في بشامون ان كنتم رجالاً . لقد أهنتم الارزة التي على قبعاتكم ، فانزعوها فانتم لستم لبنانيين .

واثارت هذه الكلمات في نفس قائـــد الشرطة الحنق والغضب ، بينما اثارت في نفوس رجاله الخجل والأسف . فلما علا صوت المفوض الصاخب ، آمراً رجـــاله بالهجوم على المتظاهرات ، وتفريقهن بالقوة والسلاح ، لم يجد منهم مجيباً ، بل وجدهم كلهم مطرقين . فصفق عندئذ السيدات وهتفن ، وتركن الضابط وتابعن طريقهن حتى بلغن دار المفتي .

ولكنهن لم يكدن يصلن ، حـــتى وصلت في أثرهن اربع سيارات كبيرة ، واثنتان صغيرتان مشحونة كلها بالجنود السود ، وعلى رأسهم ضبـــاط فرنسيون ، فنزلوا منها وسددوا بنادقهم ورشاشاتهم الى المتظاهرات ، فصاحت فيهم سيدة بلغة

(٢٩) المفوض انطون الحنش أساء الادب وضرب بعض السيدات وقام بحركات تتقزز لها النفس.

فرنسية ممتازة : لمن اتيتم بكل هذه القوات ؟ الحرب هنا ؟ انكم مخطئون ، الحرب بينكم وبين الالمان ، لا بيننا وبينكم . اذهبوا الى بلادكم وحرروها من نير الأجنبي. هناك أظهروا رجولتكم . « انت على حق يا سيدتي » ، تقدم المفتي [30] وقد تملكه الاستياء ، واشار الى القائد طالباً اليه سحب الجيوش حالاً . وهاج الشبان وماجوا . وكان جدال كاد ينتهي بمعركة ، لولا حكمة المفتي ودعوته الشبان الى السكينة ، ولولا ان حبس الشبان في منزله ، لما له من كلمة مسموعة عندهم وحرمة ، ولولا ان بادر الفرنسيون والسنغاليون الى الانسحاب مائتي متر عن باب الدار ، حيث وقفوا ينتظرون خروج المظاهرة .

وشاءت الصدف ان يخذل الحظ الفرنسيين مرة اخرى . فقد كان هنالك مكاتبو الصحف الاميركية الحربيون ، جاءوا يسألون المفتي عن الحال ورأيه في حل الأزمة ، فصوّروا المشهد ونقلوه الى بلادهم ، شاهداً ناطقاً على ما يستعمل له سلاح الاعارة والتأجير في لبنان .

وارادت السيدات ان يخرجن من دار المفتي ، ليستأنفن مظاهرتهن ، ويزرن ممثلي الدول العربية والاجنبية ، ولكن كيف يجتزن نطاق السنغاليين الكامنين حول الدار يحاصرونها من كل جانب ؟

وانتهزت السيدات فرصة انشغال الضباط الفرنسيين ، بمحاولة استنقاذ الصور من المصورين الاميركيين ، وخرجن زرافات ووحدانا ، ليجتمعن خارج نطاق الحصار ، الذي اقامه السنغاليون حول الدار ، ويجددن مظاهرتهن ويتابعنها الى حيث يردن ، مخلفات وراءهن الجنود السنغاليين ، ينتظرون اوامر ضباطهم الفرنسيين الذين كانوا ينتظرون بدورهم خروج المكاتب الحربي ، ليقبضوا على آلة التصوير المجرمة ، وجرمها تصوير الواقعة تصويراً لا يمكن تكذيبه ، جرمها انها ستكون شاهداً عادلا ، لا يمكن اتهامه بالتزوير .

وانتظر هؤلاء الضباط طويلاً ، ولكن انتظارهم كان عبثاً ، فقد مرّ الفلم ومرت

(٣٠) المرحوم الشيخ محمد توفيق خالد الذي كان يرافق الحركة الاستقلالية بتوجيهاته اللاطائفية وبقي فيما بعد منسجماً مع عقيدته الاستقلالية ولم ينحرف عن ايمانه باستقلال وكرامة بلاده . رحمه الله .

آلة التصوير تحت ابصارهم ، ولكنهم لم يروهما . لقد حملته سيدة [31] من السيدات اللواتي مررن امام الضباط في حقيبتها ، بينما هم ينظرون بعيون مفتوحة ، واذهان يقظة الى المكاتب الاميركي ، لينقضوا عليه حين يخرج وعلى آلته .

هل اجتمع كاترو إلى احد ، وماذا قال ، وماذا هو ناوٍ ؟ اخذ الناس يتساءلون هذه الاسئلة ، منذ حاول القائد في بيروت ، ولكن القائد محاط بالتكتم ، على انه شوهد يدخل المفوضية البريطانية ، ويمكث فيها وقتاً غير قصير ، ويخرج غير مصحوب بابتسامته المعهودة . شوهد يزور هذه المفوضية ، مرات عديدة اثناء الازمة ، وتناقلت الالسنة منذ اليوم الاول ، روايات مختلفة عما دار بينه وبين الجنرال سبيرز ، وزير بريطانية ، من حديث . لقد ابلغه الوزير وجهة النظر البريطانية ، ودعاه الى تلبية مطالب اللبنانيين ، ومحو كل ما فعله هالو ، ودعاه الى الاسراع في ذلك ، وافهمه قيمة السرعة في هذا الموطن ، وانها لخيره وخير الفرنسيين وخير الحلفاء جميعاً .

مفاجأة كاترو

ومرت ساعات على وصول الجنرال كاترو . ومر يوم ثم آخر ، والمعتقلون لم يطلقوا ، والامور لم تعد الى نصابها . ماذا ينتظر ، وهل هو يفكر في غير هذا الحل ؟ هل يمكن ان يفكر مثل هذا التفكير ، وهو يرى ما يرى ؟ وماذا قال الذين قابلوه ، ومن هم ؟ جبران التويني ، جورج ثابت ، محيي الدين النصولي ، سماحة مفتي الجمهورية ، عمر الداعوق ، غبطة البطريرك الماروني ، إميل إده . لقد كان يسمع اكثر مما يتكلم ، يأخذ اكثر مما يعطي ، الجميع شكوا له الحالة ، واستنكروا لديه العمل ، الذي اقدم عليه هالو واعوانه [32] .

— انني اسلم بأنه خطأ . ولكن كيف يمكن تلافيه ؟

— تلافيه يكون بان تطلق سراح المعتقلين حالاً ، وتعيد الحالة الى ما كانت

(٣١) جانيت تادروس وهي قرينة الاستاذ ميشال تادروس احد الشباب العاملين في حقل الوطنية.

(٣٢) انظر كتاب كاترو ص ٤١٦ .

عليه تماماً .

– ولكن هذا يمس هيبة فرنسة .. ما هو الحل الذي يحفظ هيبة فرنسة ؟

– ان افضل حل لحفظ هيبة فرنسة انما هو الذي تقدم ذكره . ان هيبة فرنسة قد طعنت اعظم طعنة بهذا العمل ، الذي اتاه رجال المندوبية ، وكل يوم يمر دون محوه محواً تاماً ، يزيد سمعة فرنسة سوءاً في الشرق والغرب . ان افضل سبيل لارجاع هذه الهيبة ، بل شيء من هذه الهيبة ، وبعض هـذه السمعة ، هو الغاء التدابير التي قضت على هذه السمعة ، وعلى تلك الهيبة . ان الرجوع عن الخطأ ، خير من التمادي فيه ، والسرعة افضل .

– ولكن اليست الحكومة اللبنانية مسؤولة ايضاً عن الذي كان ؟

– ولكن مهما يكن من الامر ، لا يوافقكم البحث عن المسؤول دون الاسراع في تلافي الحال . ان الخطر يهددكم بما هو اعظم . ان الثورة ما تزال في بدئها . اما اذا امتدت ، فلا يمكن تلافيها بهذه السهولة .

– رياض الصلح .

– رياض الصلح . إنكم تعرفونه . وها هو نفسه كما تعهدونه لم يغير في خطته وعقيدته شيئاً . هذا شأنه منذ خمس وعشرين سنة ، بل من عهد العثمانيين .

كان هذا بعض ما سمعه الجنرال كاترو من هذا وذاك ، ممن قابلهم . وقد تساءل الناس عن السر في اقتصاره على هؤلاء السادة – غير الرئيسين الروحيين – من ابناء البلاد ووجوهها . وقالوا لعله ظنهم ناقمين على البرلمان والحكم القائم ، لأنهم لم يوفقوا في الانتخابات الأخيرة . ولكن لم يصدق ظنه فيهم .

حديثه مع البطريرك

ولم يقابل البطريرك إلا يوم الجمعة في بكركي . وقد استقبله جماعة احتشدوا عند باب الصرح البطريركي ، وفي داخله ، وحملوه على الأكف الى الداخل [٣٣] .

وقد فعلوا ذلك متحدّين شعور البلاد . غير ان البطريرك لم يترك الحادث يمر

(٣٣) انظر البشير عدد ٦٩٨٥ تاريخ ١٧ تشرين الثاني . بلاغ رسمي عن زيارة بكركي .

عفواً ، بل وقف عنده في اثناء تحدثه الى الجنرال وقال له : « لا تظن ان الذين استقبلوك هنا بهذه المظاهر ، وحملوك يعبرون عن عاطفة صادقة ورأي مجرد . ان معظمهم من موظفي الأمن العام ، ومن لم يكن منهم ، فهو رجل قد استأجروه وجروه الى هذه الدار ليخدعوك ، وليوهموك ان في البلاد من هو راض عن الحال . فلا تخدعك هذه المظاهر المدبرة ، وثق انه ليس في لبنان واحد يرضى ، او يمكن ان يرضى ، عن العمل الذي ارتكبه رجل مندوبيتكم هنا . لقد اطلعت على الحقيقة كلها ، بعد وصولي الى مقرنا الشتوي ، وكنت من قبل غير مطلع على جميع التفاصيل ، بسبب بعد مصيفنا « الديمان » فأسفت عظيم الأسف ، ان يصل خطأ التفكير وسوء التدبير ، الى هذا الحال ، برجال جعلتموهم مسؤولين عن تراثكم ومصالحكم ومستقبلكم وسمعة بلادكم في لبنان وسورية ، في الشرق كله . وثق اخيراً انه لم يرضَ لبناني عن الحكومة الشرعية بديلاً . ولن يرضى بغير رجوع جميع رجال الحكم ، الى ما كانوا عليه ، وجميع الأوضاع الى حالها السابق ، وانا في طليعة الجميع . وخير لكم ان تسرعوا ، ومرور الوقت خسارة لكم ، وربح لغيركم . »

قد يكون الجنرال كاترو قد سمع من إميل إده ، رأياً مخالفاً لهذا ، ولا ريب انه سمع من هللو وزمرته من الفرنسيين رأياً مخالفاً ايضاً . بل هو لقي منهما مقاومة لرأيه شديدة .

فقد تحدث احدهم – وهو من كبار الموظفين ، الذين عرفوا منذ عهد بعيد في سورية ولبنان بانهم من الأحرار [٣٤] . قال :

« لقد تألمت حين عرفت بالاعتداء على لبنان ، ألماً فظيعاً ، بل اناخجلت خجلاً لم اشعر بمثله طول حياتي . ان لي اصدقاء كثيرين من اللبنانيين ، ولكنني كنت بعد وقوع الأزمة ، اخجل من ان يتلاقى نظري بنظرهم ، فكنت اذا رأيت احدهم من بعيد ، أتحول عن طريقي لكي لا التقيه . بل انا قد حبست نفسي اياماً في بيتي ، لكي لاأتعرض للمشاهد المخزية ، التي كانت تمثل في بيروت . انه عمل

(٣٤) كوانته مستشار المعارف سابقاً .

جنوني ، وجريمة دنيئة ارتكبها المسؤولون من كبار موظفينا . وقد ارتكب المسؤولون الفرنسيون قبلهم ، اخطاء كثيرة في هذه البلاد ، ولكنهم لم يبلغوا قط هذا الحد في نظري . ولم اكن وحيداً بين الفرنسيين في هذا الشعور . بل كان معي بضعة منهم ، تعرضوا كاللبنانيين واكثر ، للخطر بسبب موقفهم وشعورهم . انني لا اظن ان لبنانياً تألم اكثر من ألمنا نحن . وأي ألم أفعل في نفس الرجل ، من ان يخجل بنفسه ونسبته الى امته في ساعة من الساعات . . .

« لقد كنا ننتظر مجيء الجنرال كاترو بفارغ الصبر ، واستبطأناه في الوصول كما استبطأناه من بعد في العمل وحل الأزمة . ولم يكد يصل ، حتى بادرت الى مقابلته ومصارحته مصارحة الصديق القديم ، وأفضيت اليه بكل ما في نفسي ، وقلت له : ليس هنالك إلا حل واحد ، وليس لك ان تتأخر دقيقة واحدة ، وكل ساعة تمر دون تحقيقه وقت ضائع . وكل تأخير يسيء الى سمعتك ، ويسيء الى الفرنسيين كافة والى فرنسة ، إذ يصورهم بصورة الموافقين على ما جرى . واذا ترددت ، فبأي شيء تريد ان يفسر الناس ترددك ، إلا بانك موافق على عمل هللو ، ومن ورائك اللجنة التي اختارتك ، وجميع الفرنسيين الذين اعتمدوك .

وختم هذا الفرنسي الكبير حديثه بعد ان صمت دقيقة مطرقاً ، فقال : « ولكن الجنرال لم يكن هذا رأيه في تلك الساعة ، وانما اقتنع به فيما بعد . » [٣٥]

موقف الفرنسيين من كاترو

اما ان هذا الفرنسي ، لم يكن وحده يشعر هذا ويقول هذا فصحيح . فقد انقسم الفرنسيون ، في هذه الفترة فريقين — أقلية ضئيلة تشعر شعور هذا الموظف الكبير وتقول قوله . منهم لبيسيه ، الوزير المفوض الذي شغل عدة مناصب في المفوضية العليا الفرنسية قبل الحرب العالمية . وقد استقال بعد سقوط فرنسة ، وانضم الى دي غول ، فعين سكرتيراً عاماً للمندوبية العامة الفرنسية في سورية ولبنان . ولكنه فصل من وظيفته لحرية افكاره ، واقام في لبنان . وكان دائماً يعطف على

(٣٥) من حديث له مع المؤلف .

الوطنيين ، وعلى امانيهم ويساعدهم . وافاق صباح الخميس الذي وقع فيه اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة والوزراء فاذا بيته في الجبل (عاليه) محاط بالجنود ، واذا هو معتقل فيه محظور عليه الخروج منه . وكذا كان شأن مستشار الأوقاف ٣٦ ، وكان مع هذين الفرنسيين نفر آخرون معرّضون للاعتقال ، لأنهم جاهروا بانتقادهم لذلك الاعتداء ، وألفوا وفداً منهم أفضى برأيهم هذا الى بعض كبار القواد والمسؤولين .

واما اكثريتهم فقد كانت مع هللو ، وقد اشتفت نفسهم حين ضرب ضربته ، ونفثوا من صدورهم الغضب المتراكم المكبوت ، واغتفروا لهللو تراخيه وضعفه السابقين ، ونفوا عنه تهمة الائتمار بامر الانكليز ، وقالوا : هكذا يكون الرجال ، وحسبنا سكوتاً على ما يفعل الانكليز .

وكان بين هذا الفريق جماعة من المتحمسين والمتهوسين ، الذين ذهبوا في نياتهم وتصميماتهم الى اقصى حد ، وقد كانوا يسيطرون على الدوائر الفرنسية سيطرة مطلقة ، حتى كان بوسعهم ان ينفذوا سياستهم كما يشاؤون .

عبرة كاترو

وقد كان الجنرال كاترو بعد هذا ، في موقف لا يحسده عليه احد : الثورة مشتعلة وهي تتفاقم يوماً فيوماً . ان الجنرال كاترو يعلم ذلك علم اليقين ، ولم تخدعه مزاعم راديو الشرق (بيروت) ، ولم تخدعه ايضاً التصريحات التي أدلى بها الجنرال دي لافالاد ، الى رجال الصحافة في القاهرة ، يوم ذهب اليها من بيروت ، وجمع الصحفيين واخذ يحدثهم عن الهدوء والسكينة السائدين في لبنان ، ويكذب اقوال الصحف ، ويجعل الأبيض اسود والأسود ابيض . والجنرال كاترو يعلم ان الثورة حتى ذلك اليوم تسير لمصلحة لبنان ، وستشتعل حتماً في الجبال ، وفي ما وراء الجبال ٣٧ .

(٣٦) جناردي .

(٣٧) انظر تصريحات لافالاد في جريدة «البشير» عدد ٦٩٨٤ تاريخ ١٦ ت٢ سنة ١٩٤٣ : وقد نفى فيها الاضراب في لبنان وكذب الانباء الرائجة عن وقوع الحادث .

والرأي العام الديمقراطي في العالم ، يزداد كل يوم اهتماماً بامر لبنـان ، وعطفاً عليه ، ويزداد نفوراً من عمل الفرنسيين، وهيجاناً ضدهم، حتى اصبحت قضية فرنسة الأساسية موضوعة على بساط البحث ، وحتى اصبحت اللجنة الفرنسية موضع شك الحلفـــاء شكاً يجعلهم يتساءلون : ألا يجب ان يعيدوا النظر في حسبانها حليفاً للديمقراطية ، او عدواً لها ؟

وحكومات الحلفاء ، تلح بلسان ممثليها في بيروت ، وفي مدينة الجزائر ، طالبة من الفرنسيين كل يوم ان ينهوا المشكل ، وان ينهوه على شكل يضع حداً حاسماً لكل اضطراب من جهة ، ويثبت من جهة اخرى لشعوب العالم، كبيرها وصغيرها، ان وعود الحلفاء صادقة ، وان عهدة الأطلنتيك ، وتصريح الامم المتحدة ، ليست حبراً على ورق ، بل هي اسس ومبادىء صحيحة ، سليمة نافذة .

ويزيد هذه الحكومات وتلك الشعوب اهتماماً للأمر ، ورغبة في حله بسرعة ، اشتغال الدعاية المحورية به . فقد انتهزت هذه الدعاية الفرصة ، لتقوم بحملة واسعة على الحلفاء ، متهمة اياهم بالخـداع والتضليل والكذب في ما يعلنون عن اغراضهم الانسانية، وما يدعون من المحاربة لأجل نصرة الحرية والحق والعدل،داعية الشعوب الصغيرة والضعيفة ، الى عدم الثقة بهم ، والاعتبار بمصير لبنـان ، الذي سيكون مصيرها في المستقبل .

وصول كايزي للمرة الثانية الى بيروت

وصل كايزي الى بيروت مرة ثانية ، واجتمع الى الجنرال كاترو. ألم يجيء بسبب تأخر الجنرال في حسم المعضلة ؟ قالوا ان الوزير البريطـــاني ، سلم القائد الفرنسي انذاراً ، بعد ان استبطأ عمله . وملأ بيروت وانحاء لبنان ، ان الجيش البريطـاني سيستلم المحافظة على الأمن ، بل قالوا انه تسلمه فعلاً . واتفق ان ظهرت في الشوارع دوريات من الشرطيين العسكريين البريطانيين ، ذوي القبعات الحمراء ، بعضها على الخيول ، وبعضها في سيارات مكشوفة ، فاتخذ الناس هذا المظهر ، دليلاً على صحة الخبر . واتفق ايضاً ان شاهد اللبنانيون قوات بريطانية كثيرة ، في كامل عدتهـا

آتية من سفرٍ بعيد ، من صوب الجنوب ، ورابط قسم كبير منها في ضاحية بيروت ، فزادهم ذلك ثقة بصحة الخبر .

انذار الحلفاء لفرنسة

ولم تكن اشاعة الانذار خاطئة ، على انه لم يحتوِ عـلى تحديد لنهايته باليوم والساعة ، ولكن مضمونه انه يجب الاسراع في حلّ الازمة ، وانه اذا لم تحل المعضلة بسرعة ، فان الجيش البريطاني ، يضطر لان يتولى هو بنفسه المحافظة على الامن العام . وفهم الجنرال كاترو ، ان الامر لم يبق يحتمـل ، اكثر من ثماني واربعين ساعة .

تردد كاترو

كل هذه العوامل تدفعه لاصدار قراره ، فما الذي كان يقف في وجهها اذن ؟

هللو ، الذي يقول انـه صاحب السلطة ، وانه نفذ تعليمات اللجنة الفرنسية في الجزائر ، وانه لم يتلق منها ما يوجب عليه تنفيذ ما يقوله كاترو .

والفرنسيون الذين هم في لبنان وسورية ، من كبيرهم الى صغيرهم ، إلا اقلية ضئيلة منهم ، فقد كان الرأي والروح السائدان بينهم ، انه يجب ان تكون الغلبة لسياسة هللو ، وانه يجب ان لا يسمع احد منهم الى كاترو ، اذا اراد ان يتراجع عن تلك السياسة ، تراجعاً كلياً او جزئياً . وتحدثوا في التمرد على كل امر من هذا القبيل ، واتهموا بالخيانة كل من لا يؤيد خطة هللو وعمله . بل وصفوه في مجالسهم واحاديثهم ، بانه خائن ، وبانه عاجز وبانه خرف . وشعر كاترو بوطأة هذه الروح، واحس ان في وجهه سوراً قوياً من العناد والتمرد يعترضه ، وانه لا بد ان يصطدم به . قد يكون مشاركاً لهم في شعورهم وفي رغبتهم ، ولكنه من ناحية اخرى ، يرى الحكمة تقضي عليه بالاذعان للحق الذي تؤيده قوى ليس من مصلحة فرنسة الوقوف في وجهها ، ولا قبل لفرنسة — دولة كانت ام لجنة — بالوقوف في وجهها . وهكذا كانت تتنازعه عوامل كثيرة ، وتيارات متعاكسة من نفسية وسياسية ،

من داخلية وخارجية ، مادية ومعنوية .

بهذا كانوا يفسرون التردد الذي رافقه ، فاستغرق لا اليوم واليومين فحسب ، بل استغرق سبعة ايام بلياليها ، حتى اتى الى ما كان يمكنه ان يفعله ، وما كان يجب ان يفعله منذ اليوم الاول .

تذمر كاترو من تدخل بريطانية

كان الجنرال يرمي الى نزع القضية من نطاقها العالمي الواسع ،وحصرها في نطاق ضيق . جاء من الجزائر وله هدف واحد اول، هو جعل القضية بين فريقين فقط [٣٨] الفرنسيين واللبنانيين . واما الفريق الثالث وهو الانكليز فقد كان تدخلهم في الموضوع، وتأييدهم ازعج شيء للفرنسيين . واخذ الفرنسيون يرون في المعركة خطراً آخر غير الوطنية اللبنانية ، والوطنية العربية المنتعشة ، هو خطر المزاحمة البريطانية لنفوذهم في الشرق . وكم طالب الجنرال كاترو ان يترك الفرنسيون واللبنانيون يحلون مشاكلهم بعضهم مع بعض . وقد صرح بشكواه هذه ، عندما اجتمع في بيروت الى المراسلين الحربيين لصحف اميركة وبريطانية ،والذين توافدوا على لبنان من القاهرة ، ومن سائر انحاء الشرق ، ومن الغرب ، ليشهدوا الحالة عن كثب ، ويدرسوها بدقة ، فقال انه لايرى هنالك غير مشكلة لبنانية فرنسية ، وانه لو ترك الاخرون هذين الفريقين ، لما كان هنالك ما يصعب حله .

وقد كانت هذه الرغبة تقع وقعاً سيئاً عند اللبنانيين ، اذ لم يكونوا يرون فيها ، الا ان الجنرال كاترو والفرنسيين يتذمرون من تدخل الانكليز ، لانه يقوي اللبنانيين ، وان الفرنسيين يعتقدون انه لولا تأييد الانكليز ، لصنعوا في اللبنانيين ما تعودوا ان يصنعوه خلال الخمس والعشرين السنة السابقة . انهم يريدون ان ينفردوا باللبنانيين ، ليكونوا أقوى عليهم فيملوا عليهم إرادتهم كما يشاؤون .

(٣٨) انظر اللايدي سبيرز ص ١٠٨ حيث تقول : « ان كاترو لا يتزحزح ويقول : يجب ان تحل القضية بطريقتي الخاصة ... »

ان هذه الرغبة من الجنرال ، وهي رغبة لم يخفها قط ، كما تقدم ، كانت تروق للانكليز، وتظهر تأييدهم للبنانيين على الفرنسيين ،فتزيدهم قرباً الى نفوس اللبنانيين .

وكانت هذه الرغبة في عدم تدخل الانكليز ، وهذا التذمر من تدخلهم — الى جانب الحملات الشديدة التي تحملها محطة الاذاعة الفرنسية ، والصحف الفرنسية على قلتها— تخدم نفوذ الانكليز بدلاً من ان تنقصه ، وكان الذي يؤدي هذه الخدمة الفرنسيون أنفسهم . وليست هذه هي المرة الأولى ، التي يخدم فيها الفرنسيون خصومهم من حيث يريدون العكس .

الفرنسيون يضعون العراقيل في طريق كاترو

والى أي حد كان الفرنسيون في لبنان وسورية يعاكسون الجنرال كاترو ، او يمكن ان يعاكسوه ؟ قيل انهم كانوا ينوون ان يصلوا حتى الى اغتياله اذا اقتضى الأمر . وانه كان مهدداً بالخطر من ناحيتين ، من ناحية اللبنانيين ومن ناحية مواطنيه ، وكان الخطر من هؤلاء أشد . بل قيل انه وضعت فعلاً خطة مؤامرة لاغتياله . [٣٩]

ولم تكن اللجنة الفرنسية في الجزائر ، تسهل مهمة الجنرال كاترو . وقد عرفنا كيف ان هالو لم يتبلغ منها من قبل أمراً يشعره بالانقياد الى ما يرسمه الجنرال كاترو ، فلما فرغ من دراسته ، وانتهى منها الى قراره باعادة المعتقلين أولاً ، لم يتمكن من تنفيذه لأن السلطة كانت تنقصه لتنفيذه . واجتمع الى أهل الروية من الفرنسيين وأنصار التفاهم، كشاتينيو المندوب العام بالوكالة ، وعبّر لهم عن رغبته في الاستقالة . وقد وضع استقالته فعلاً . ولكنهم قالوا له ، إن ذلك خطأ وان الافضل ان يمضي في تنفيذ خطته ، دون الالتفات الى اي اعتبار . فعاد وكتب الى الجزائر يقول انه فكر في الاستقالة ، ولكنه رأى خيراً من الاستقالة ، إن ينفذ قراراته مهما يكن الأمر .

لقد أملت جميع العوامل على الجنرال كاترو ، ان يتخذ قراره ، وهو اطلاق

(٣٩) انظر كتاب اللايدي سبيرز — قصة الاستقلال — ص ١٠٨ .

سراح المعتقلين ، وعودة بشارة الخوري الى رئاسة الجمهورية، على ان يفاوض الرئيس في بقية الأمور للاتفاق عليها ، بعد عودته لمنصبه .

اما هذه العوامل فكانت الانذار البريطاني ، وخوفه من أن يتسلم الجيش البريطاني زمام الأمن ، او زمام الأمر كله ، وحرصه على سمعة فرنسة ، التي كانت ألسنة العالم الديمقراطي وغير الديمقراطي تكيل لها الانتقادات المرة القاسية ، وتسلقها باللوم والتقريع . ولكن العامل الأكبر ، الذي جاء في الدرجة الاولى ، كان ثورة اللبنانيين انفسهم . فقد أدرك الجنرال ان ما وقع ليس الا امراً يسيراً الى جانب ما سيقع ، لا سيما وقد يئس من ان يحدث في صفوف اللبنانيين اي تصدع ، وفي عزائمهم اي خوف ، وفي اندفاعهم اي تراجع او توقف .

٤. مقابلة سرية بين الخوري والصلح و كاترو

●

كان بشارة الخوري منصرفاً الى المطالعة في غرفته في راشيا، عندما فتح الباب، ودخل منه الكولونيل نوفل ، قائد الدرك اللبناني . وقد اخبر الرئيس ان الجنرال كاترو يرغب في مقابلته في بيروت . وفي مساء اليوم الثامن عشر ، غادر الرئيس القلعة ، حيث وصل العاصمة اللبنانية حوالى الساعة الثامنة مساء . وكانت الشوارع مقفرة الا من قوى الجند والشرطة . فكانت البنادق والمسدسات تشهر احياناً على السائق فيسرع مرافق الرئيس الى اعطاء كلمة السر ، فتفسح الطريق حالاً وتتابع السيارة انطلاقها .

ثم وقفت امام احد المنازل ، وكان الظلام شديداً والسكون شاملاً ، فنزل الرئيس وتلمس طريقه بين موظفي الأمن العام ، ودخل المنزل واستقرّ في صالون رحب .

وبعد قليل ، أقبل كاترو بلباسه المدني ، وصافح الرئيس بلطف زائد .

ويقول كاترو في كتابه « معركة البحر المتوسط » صفحة ٤١٩ ما يلي : « قال لي بشارة : لقد انتخبني يا سيدي مجلس غلبت عليه العناصر الوطنيـــة المتطرفة التي تكره فرنسة . إذ ان تدخل الانكليز والفرنسيين السافر في الانتخابات النيابيـة ، أضعف القوى التي كان يمكن لفرنسة ان تستند اليهـا . فاضطررنا لمسايرة طموح هذه العناصر وتطرفها .

ويتابع بشارة حديثه : ومع ذلك ، فقد جاهدت كثـيراً حتى ظفرت بنزع

اشياء كثيرة من منهاج الوزارة ، التي كانت ضد مصلحة فرنسة . وانني وافقت على تعديل الدستور ، بصفتي رئيس دولة دستورياً .

وانا لم أزل اميناً مخلصاً لفرنسة ، ولم اتحول قط لمصلحة بريطانية ، ولا لمصلحة العروبة ، وسأظل خادماً لقضية الصداقة الفرنسية اللبنانية » .

ويتابع كاترو بقوله : وعدت الرئيس بالسعي لاطـــلاق سراحه ، دون سائر المعتقلين ، فرجاني ان يكون عملي اجماعياً ، لأن ذلك يظهر كرم فرنسة .

وفي اليوم التالي، اي في التاسع عشر من نوفمبر، قابـــل كاترو رئيس الوزراء رياض الصلح .

يقول كاترو صفحة ٤٢٠ : « على الرغم من ماضي رياض الصلح العنيف ضـــد الانتداب ، فلقد كنت احفظ له في صدري صداقة عميقة واحتراماً.

ولقد صارحني القول ، ان موقف هللو ضد الدستور والحريات ، جعـله يقف موقف الخصومة الشديدة لفرنسة .

وانه يطلب اعادة الحال الى ما كانت عليه . ولو كلفه ذلك اعـتزال الحكم ، والانسحاب من الحياة السياسية .

واخيراً قال لي : انت وحدك ، يا جنرال ، بامكانك ان تحل القضية ، إذ لك ماض مجيد في هذه البلاد يشفع لك ، ويقوي مركز دولتك فرنسة .

وانتهت المقابلة عند هذا الحد *

* يقول كاترو ان رياض كان خلافاً لبشارة الخوري ، محافظاً على هدوء اعصابه وقد أكل بشهية زائدة عند تناولنا العشاء معاً .

الباب الخامس

وَلا بدّ للّيل أن ينجلي
ولا بدّ للقيد أن ينكسر..

١ . انتقال المفاوضات الى بشامون

●

ونعود الى بشامون . وصل الجنرال كاترو الى بيروت ، بعد ظهر الثلاثاء في السادس عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، وكان في جملة من اتصلوا به ، الكولونيل نوفل .

وفي العشية حوالى الساعة الخامسة، وفد على بشامون سائق سيارة الكولونيل[1] فلما أذن له بالدخول على الحكومة ، قال : « امرني الكولونيل نوفل ان أقول للحكومة الشرعية ، انه ينتظر منها الارشادات ، وهو رهن إشارتها ، وهو يرجو ان تبلغوه الأوامر التي تريدون ان يتقيد بها . » فأجابه الرئيس ابو شهلا : « قل للكولونيل ، انه اذا شاء ان يتلقى أوامر الحكومة ، فليأت الى هنا ، ونحن نبلغه إياها . » وحاول السائق ان يدافع عن الكولونيل ، ويبرر موقفه وتعاونه مع حكومة إده ، فأسكته الأمير مجيد وقال : « لقد تلقيت جواب الرئيس ، فأبلغه الى سيدك . »

بعد انصراف سائق السيارة، اجمعت الحكومة على القول ان القضية في طريق الحل لمصلحة لبنان ، ولولا ذلك لما تلقينا مثل هذا العرض .

حكومة بشامون لا تفاوض

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ، في السابع عشر من شهر

(١) عجاج حيدر ،دركي وهو متقاعد اليوم ، في بلدة الشويفات .

تشرين الثاني (نوفمبر) ، وصل الى بشامون احد الأصدقاء .[2] وقال للحكومة ، ان بيير بار ، احد كبار الموظفين الفرنسيين في المندوبية العامة ، اتصل به وكلفه ان يشخص الى بشامون في الحال ، ليطلب من الحكومة ان توافق على مفاوضة الجنرال كاترو ، للوصول معه الى حل للمشكلة اللبنانية . واردف الصديق قائلاً : ان الجنرال كاترو يرغب في الاتصال بكم حالاً ، وقد فهمت انه يطلب مقابلتكم في بيروت . وقد استأجر الجنرال قصراً في حي سرسق ، نزل فيه ليظل بعيداً عن جو المندوبية وتأثيراته ، بعيداً عن موظفيها . وهو قد ندب بار لهذه المهمة ، للصلة الطيبة التي له برئيس الجمهورية .

تناقشت الحكومة في الطلب ، واتفق الرئيسان والأمير مجيد ، على ان المفاوضة عمل لا فائدة منه ، ولا يقصد منه الجانب الفرنسي إلا محاولة انتزاع حقوق او جزء من حقوق اللبنانيين ، وذلك ما لا يسلم به احد . فلا الأمة ، ولا الحكومة ، ولا مجلس النواب ، يقبلون بالتفريط في ذرة من اماني البلاد القومية . واضاف الرئيس ابو شهلا : « الرأي عندي ، ان نبلغ الجنرال كاترو ، ان مطالبنا تنحصر في امر واحد ، وهو عودة المعتقلين حالاً ، وإعادة الحياة السياسية الى ما كانت عليه قبل الاعتداء يوم ١١ نوفمبر . واما اذا شاء الفرنسيون ان يفاوضوا ، فالمفاوضة لا تجري إلا مع رئيس الجمهورية ، عملاً باحكام الدستور . اما ان نفاوض ورئيسنا معتقل ، وحكومتنا في الأسر وفي الجبال ، ودستورنا معطل ، فذلك ما نرفضه رفضاً باتاً » .

قال الرسول :« مالكم إلا ان تقولوا ذلك الى بار حين يأتيكم ، وتكلفوه إبلاغه الى الجنرال كاترو .»

وتم الاتفاق على ان يأتي بار ، في الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم ، ويقابل

(٢) ميشال خطار احد رجال الصناعة في لبنان . والجدير بالذكر ان اعصاب بعض اعضاء الحكومة كادت تخونهم بعد مهاجمة الفرنسيين لبشامون ، فأصروا على وجوب الاتصال بالانكليز ، لكي يدبروا طريقة لهروبهم من لبنان عن طريق خلده مثلا . لكن الانكليز رفضوا الموافقة على هذه الفكرة .

الحكومة عند مدخل بشامون ، في منزل يعينه الأمير مجيد . وقبل ان ينصرف الرسول ، اخبر الحكومة ان بار قال له : قل للرئيس ابي شهلا واعضاء الحكومة ، ان الجنرال كاترو فور وصوله الى بيروت ، وعلمه بمهاجمة القوة الفرنسية لبشامون ، عاقب الضابط الذي أمر بالهجوم ، بالحبس ثلاثين يوماً ، لانه فعل ما فعل من تلقاء نفسه . فضحك الرئيس ابو شهلا وقال : هذا شأنهم . إنهم يجدون دائماً كبشاً للمحرقة ، كلما ارادوا ان يعتذروا عن عمل ارتكبوه » .

رسول كاترو يقابل الحكومة

كانت الحكومة قد اختارت منزل امين خليفة[3] في عين عنوب ، ليكون مكاناً للاجتماع ببار ، وهو أقرب منزل في عين عنوب ، من مدخل بشامون .

نهار الخميس ١٨ نوفمبر

ففي الساعة الثانية وصل بيير بار ، ومعه سلمون احد الموظفين الفرنسيين في المندوبية العامة ، وكلاهما معروف بتقربه من بشارة الخوري وصلته الطيبة به .

وكان رجال الحرس الوطني ، يحيطون بالبيت ، وقد اصطف عدد كبير منهم على جانبي الطريق ، فترجل المندوب من السيارة ، وأجال نظره طويلاً في هذه الوجوه التي تنم عن القوة والبأس ، وتلك القامات الطويلة . ودخل البيت حيث استقبله ابو شهلا ، يحيط به صبري حماده ومجيد ارسلان . فكان بار يحيي كل واحد منهم ويخاطبه قائلاً : « يا حضرة الرئيس ، يا حضرة الوزير... »

قال بار انه موفد من قبل الجنرال كاترو ، ليطلب من الحكومة ان تجتمع بالجنرال كاترو . وان الجنرال صديق اللبنانيين ، وقد قدم خصيصاً من الجزائر ، ليضع حداً لحالة مؤسفة جرها على فرنسة وعلى لبنان ، موظفون فرنسيون جهلة . وان الجنرال كاترو والكثرة الساحقة من كبار الموظفين الفرنسيين في بيروت ، لم يكونوا عالمين قط بما اقدم عليه جان هالو ، ونفر من معاونيه في المندوبية العامة .

(٣) اليوم هو موظف في التابلاين ، وقد كانت له مواقف كريمة في ازمة تشرين .

فتكلم ابو شهلا شارحاً لبار الظروف التي تم فيها اعتقال الرئيس وصحبه ، والوحشية التي اظهرها الجنود ، وكيف حطموا الابواب ، وروعوا الاطفال ، وانتهكوا حرمة المنازل . وبعد ان اسهب في هذا الموضوع قال : « اننا لا نرى لزوماً لمقابلة الجنرال كاترو ، ويمكنكم ان تبلغوه ان لنا مطلباً واحداً لا نحيد عنه[4] وهو اعادة الحياة السياسية الى ما كانت عليه قبل اعتداء ١١ نوفمبر . اما اذا كنتم تريدون ان تفاوضوا الحكومة ، فلماذا لا يفاوض الجنرال كاترو بشارة الخوري نفسه ، وهو اسيره ، والوصول اليه سهل . قال بار ان الجنرال كاترو سيقابل بشارة ايضاً ، ولكنه لا يستطيع ان يحمل نفسه الى الذهاب الى راشيا ، فان في ذلك تسليماً بخطأ فرنسة . فقال ابو شهلا : « انني قدّرت ، حالما بلغني خبر وصول الجنرال كاترو ، انه ذهب من فوره الى راشيا ، ليأتي بالرئيس من معتقله وعلى سيارة . وقد كانت هذه ، هي الطريقة الوحيدة ، لايجاد جو حسن في البلاد ، وتحسين الحال نوعاً ما . غير ان الجنرال كاترو لم يفعل ذلك ، فليس لي إلا ان ابدي اسفي الشديد . انكم تخطئون ويخطيء الجنرال كاترو ، حين تفاوضون احداً من ابناء البلاد ، او هيئة ما ، او رئيساً دينياً ، كما كنتم تفعلون في الماضي ، على اثر كل طعنة تطعنون بها استقلال البلاد . ان لبنان اليوم ، غير لبنان الذي كنتم تعهدون . اننا تمتعنا بنعمة الاستقلال ، فلا يمكن ان نحرم منها ، إلا اذا حرمنا حياتنا . وسنضحي في سبيل المحافظة على هذا الاستقلال ، بآخر نقطة من دمنا . »

وتناول مجيد الحديث ، ثم صبري ، وضربا على الوتر نفسه . وقال مجيد لو كنت مكان الجنرال كاترو ، لألغيت حالاً هذه الدائرة الفرنسية التي يجب ان تسمى دائرة الاخلال بالأمن العام ، لا دائرة الأمن العام ، لأنها قد جرت عليكم جميع هذه الويلات ، ولسقت الى آلة الاعدام اولئك الموظفين الفرنسيين كباراً وصغاراً ، الذين اقدموا على جريمة ١١ نوفمبر . وقال صبري : اننا لا نلعنهم ،لأنهم بعملهم هذا ، قد بعثوا الأمة من سباتها ، وسترى ان البلاد ستنال الاستقلال ، وستدفع ثمنه من دم ضحاياها وشهدائها، ولن يستطيع احد أن ينتزع منا استقلالاً

(٤) انظر مجموعة الوثائق في آخر الكتاب .

اخذناه بالدم .

فعاد بار يؤكد ، أن عدداً كبيراً من الفرنسيين لم يكونوا يعلمون شيئاً عن العمل الذي أقدم عليه هللو . فلا هو ، ولا سلمون ، ولا شاتينيو ، كانوا يدرون به ، وقد فوجئوا به كما فوجيء اللبنانيون . ثم أصر بار ، على وجوب مقابلة الحكومة للجنرال كاترو . فقال حبيب إذا شاء الجنرال ، قابلناه في مكان قريب من هنا ، وليكن هذا المكان مصيف الشقيف ، قرب بحمدون ، حيث كان الجنرال يقضي الصيف الماضي . ولكن الأفضل ، ان تبلغه مطلبنا الوحيد ، الذي ليس لنا من مطلب سواه . وعلى كل فنحن نرفض النزول الى بيروت ، ونرفض المفاوضة . وإذا قابلنا الجنرال كاترو ، فلأبلاغه مطلبنا الوحيد . وانصرف بار ، على ان يرسل الجواب في اليوم التالي .

وبينما كان بار يهم بركوب السيارة ، تقدم أحد أبناء عين عنوب من الأمير مجيد ، وقال له : ان دائرة الأمن العام الفرنسية في بيروت ، ألقت القبض على شقيق الشهيد ، [٥] سعيد فخر الدين ، وهو شاب يعمل في بلدية بيروت . وما ذنبه إلا أن شقيقه قد قتل برصاص الفرنسيين ، وأنهم أوسعوه ضرباً وتعذيباً ، وحبسوه في زندان رهيب . فنقل الامير مجيد الى بار ذلك ، وأردف قائلاً : أرأيت كيف يهيئون الجو الصالح للمفاوضات .

لا مفاوضة قبل عودة المعتقلين والدستور

وفي المساء ، وفد عدد كبير من النواب ، فاستشارهم أبو شهلا في مسألة مقابلة الحكومة للجنرال كاترو . وأطلعهم على الحديث الذي دار بينهما ، وبين بار . فاتجه الرأي الى أن مقابلة الجنرال كاترو لا لزوم لها ، ما دام مطلب البلاد معروفاً ، وما دامت الحكومة لن تفرّط منه بشيء . وبعد أن أُشبعت هذه المسألة درساً ، كلف أبو شهلا أحد النواب ، ان يتصل ببار ، ويبلغه أنه خلافاً للاتفاق الذي تم ، والذي وافقت فيه الحكومة على الاجتماع بالجنرال كاترو ، في مصيف الشقيف ،

(٥) فريد فخر الدين ، موظف في بلدية بيروت .

ونزولاً على رأي أعضاء مجلس النواب ، فان الحكومة تبلغ الجنرال كاترو ، عدم رغبتها في الاجتماع للمفاوضة معه ، مفاوضة لا لزوم لها . إذ المقصود من كل مفاوضة ، التوفيق بين رأيين متضاربين . ولما كان رأي الحكومة حاسماً ، لا يقبل حلاً وسطاً أو تساهلاً البتة ، فان الحكومة تتشبث بمطلبها الوحيد ، وهو عودة المعتقلين حالاً ، والرجوع الى الحياة النيابية في ظل الدستور ، على نحو ما كانت عليه قبل اعتداء ١١ نوفمبر ، وأنه إذا كانت الحكومة قد استطاعت حتى الآن ، أن تهدىء الحالة نوعاً ما ، وتكبح جماح المقاتلين ، وتكرههم على البقاء في أماكنهم ، فان الاخبار التي وصلتها ، تدل على أن البلاد في هياج ، وانها تغلي كالمرجل . وقد تنشب الثورة فجأة ، بين ساعة وأخرى ، والله وحده يعلم إذا اندلعت نيران الثورة ، كيف تنتهي ، وأي شيء تحرقه في طريقها . [٦] وتابع أبو شهلا حديثه قائلاً : على النواب إفهام الجميع أن البلاد لن تصبر طويلاً على زيارات كاترو وتنقلاته ومفاوضاته . إنه يفاوض ليكسب الوقت ، لا أكثر ولا أقل ، وهو يعلم تمام العلم اننا لن نحيد قيد شعرة عن مطالبنا ، فلماذا إذن اللف والدوران ؟

وفي ذلك الاجتماع تكلم صائب سلام ، نائب بيروت قائلاً : إن موقف الامم المتحدة من قضيتنا واضح كل الوضوح ، فقد قدمت حكومة الولايات المتحدة إلى لجنة الجزائر ، مذكرة وصفت بانها أشد مذكرة قدمتها الدبلوماسية الاميركية ، خلال الخمس والعشرين السنة الاخيرة . [٧] جاء فيها : « انه بينما كانت الامم المتحدة تنتظر أن تقوم لجنة التحرير الوطنية الفرنسية في الجزائر بمساع لتحرير فرنسة ، إذا بها تقدم على أعمال عنف في لبنان تثير الاستنكار . فالولايات المتحدة تطالب فرنسة باعادة كل شيء الى حاله ، ولا تقبل حكومة واشنطن ، من الآن حتى نهاية الحرب ، أن تكون مخابرات سورية ولبنان مع الامم المتحدة ، بواسطة فرنسة وحدها . »

وقال النائب جبرايل المر : « ان القضية اللبنانية خرجت من يدنا ، ومن يد

(٦) انظر كتاب اللايدي سبيرز ص ٩٨ .
(٧) راجع لبنان الاستقلال (٨) .

الامم المتحدة ، والأقطار العربية واصبحت في يد العالم . كاترو يريد ان يلعب علينا ويكسب الوقت . هذا كل شيء ، واسمحوا لي ان اخبركم ان الفرنسيين عرضوا علينا امس ، تأليف وزارة جديدة فرفضنا . عرضوا عليّ ان اشـــترك في وزارة تتألف من : احمد الحسيني ، ولويس زياده ، وموسى نمور ، برئاسة عمر فاخوري ، فرفضت باسمي وبالنيابـــة عن عمر ايضاً . وكان محدثي — وهو موظف كبير في المندوبية العامة — يلح عليّ ويداورني ، فقلت له : انا لبناني قبل كل شيء ، وفي ما تعرضه عليّ الآن احتقار لي. ان القوة التي قهرت المانية ، وهي الرأي العـام ، هي معنا لا معكم ، وسنفوز بفضلها » .

وفي هذا الاجتماع ، استشار رئيس المجلس النواب ، بأمر ذهابه الى الهرمـل ، فأشاروا عليه بالبقاء الى جانب الحكومة لدعم نفوذها .

بعد قليل ، وصل الصديق الذي كان وسيطاً بين الحكومـة وبين بار ، وسأل الحكومة هل هي مستعدة للذهاب لمقابلة الجنرال كاترو ؟ فأبلغه ابو شهلا جواب الحكومة ، والقرار الذي اتخذته بناء على رأي النواب . فابتسم الصديق وقال : هذا ما كنت انتظره ، وما ينتظره الناس . انهم يريدون ان يجروكم الى مفاوضات لا طائل تحتها. ثم اني مكلف بان اقول لكم: يجب ان تحافظوا كثيراً على حياتكم، فدوائر الامن العام تريد ان تتخلص من رجال الحكومة الشرعية ، وربما فكرت باغتيالكم ، فيجب ان تكونوا عـلى حذر ، اذ ان مقابلتكم لبار ، بوجود الحرس الوطني ، قد ملأت نفوس الفرنسيين رعباً.

وكان في جملة الوافدين والوافدات على بشامون ، سيدتان اجنبيتان ، طلبتـا الدخول على الحكومة ، فلما أُدخلتا وشاهدتا الحكومة تعمل في الغرفـــة الصغيرة « السراي » صاحت احداهما : ما اجمل هذه الغرفة . انها مركز الدنيا اليوم .

٢. مفاوض فرنسي جديد

●

في ذلك النهار ، الجمعة في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٣ ، جاء شقيق الامير مجيد[٨] ، حوالى الساعة التاسعة صباحاً ، يقول ان الكولونيل اوليفا روجه ، المندوب الفرنسي في دمشق، قد وصل الى قرية عيتات ، ونزل في بيت صهر الامير مجيد ، وهو يرجو ان تستقبله الحكومة في المكان الذي تعينه . وكانت عيتات هذه منطقة حراماً، لأنها نقطة متوسطة تقع بين قوات الحرس الوطني وقوات الفرنسيين. فكلفت الحكومة خليل تقي الدين ان يذهب الى عيتات ويصحب الكولونيل الى منزل « امين خليفة » في عين عنوب . فلما وصل رسول الحكومة الى عيتـات ، دخل على الكولونيل اوليفا روجه ، ووقف على بعد خطوات منه وقال : « انني موفد من قبل اصحاب الفخامة والمعـــالي ، حبيب ابو شهلا رئيس مجلس الوزراء اللبناني ، والقائم باعمال رئيس الجمهورية اللبنانية المعتقل ، وصبري حماده رئيس مجلس النواب ، والامير مجيد ارسلان وزير الدفاع الوطني ، والقائد العام لقوات الحرس الوطني ، لاصحب الكولونيل اوليفا روجه الى مقر الحكومـــة الموقت » . قال الكولونيل : اني مستعد . فخرج الاثنـــان الى فناء الدار ، وكانت هناك سيارة الكولونيل ، وهي سيارة كبيرة سوداء[٩] من طراز جديد ، ركز على جانبهـــا الأيسر ، علم فرنسي عليه صليب اللورين . فاتجه الكولونيل نحو سيارته ، ودعـا

(٨) رياض ارسلان وهو من سكان عيتات.
(٩) ماركة Auburn اوبرن .

الرسول لركوبها فقال : كلا يا حضرة الكولونيل ، ارجو ان تدع سيارتك هنا ، وتصعد الى سيارتي العادية ، لانني مسؤول عن سلامتك ، ولست اطمئن الى مرور سيارة فرنسية بين صفوف محاربينا . ففكر الكولونيل لحظة، وهو مقطب الجبين، ثم مشى نحو سيارة التاكسي ، مشية آلية ، وقال : ليكن . وصعد فجلس الاثنان وبينهما سكرتير الكولونيل[١٠]. وجلس الى جانب السائق (شكيب وهاب)، وهو رجل من ابناء الشوف في لبنان ، معروف بشدة مراسه وبأسه يشغل وظيفة كابتن في الدرك الخاص بجبل الدروز . واشار مندوب الحكومة على شكيب ، ان يلوح بمنديل أبيض طوال الطريق، على شكل يراه المحاربون. فناوله سكرتير الكولونيل منديله ومد شكيب يده به خارج السيارة . وكان رجال الحرس الوطني منتشرين على الطريق ، وبعضهم كامن بين اشجار الزيتون ، فكان الكولونيل اوليفا ، يراهم عن كثب . فلما وصلت السيارة الى بيت المفاوضات ، كان هناك عدد كبير من الحرس يحيط بالبيت . فدخـــل الكولونيل ، وحيا افراد الحكومة ، وخاطبهم بالقابهم ، كما فعل من قبل بار[١١].

فبدأ الامير مجيد بقوله مخاطباً الكولونيل : لشد ما يسرنا ان يكون شكيب قد رافقك. فسنحتفظ به هنا ، اننا قد نحتاج اليه . قال الكولونيل: ولكن شكيب لا يتركنا ولا يترك الجبل الدرزي . قال الامير : سترى اذا اندلعت نيرانها ، كيف يتركك شكيب وينضم الينا . انه لنا وليس لكم .

بعد ذلك قال الكولونيل : أيها السادة ، اننا نتخبط في أزمـة يجب الخروج منها . فقاطعه الرئيس أبو شهلا قائلًا : قبل ان نصل الى ذكر الحلول ، دعني أشرح لك الظروف التي أوصلتنا الى هذه الحال . وأقول لكم من هم المسؤولون عنها . وراح الرئيس يتكلم مقدار ساعة من الزمن ، شارحاً بالتفصيل عمل الغرفة السياسية في المندوبية العامة الفرنسية في بيروت ، وكيف انها تدخلت في الانتخابات النيابية تدخلًا مفضوحاً ، أثار نقمة الرأي العام ، وكيف ان دائرة الأمن العام الفرنسية ،

(١٠) فيليب كاستفليس، موظف اليوم في وزارة الانباء .

(١١) تعمد الحرس الوطني اظهار التنظيم والقاء الرهبة في نفس الكولونيل ، انقاذاً للمظاهر .

لم تتورع عن بذل الأموال ، وحشد الموظفين ، وتوزيعهم على القرى والمدن ، للضغط على الناخبين لمساعدة إميل إده وجماعته . ثم كيف ان الفرنسيين أنفسهم ، سلموا في آخر الأمر ، برئاسة بشارة الخوري ، فلما انتخبه المجلس بالاجماع ، راحوا يقيمون في طريقه العراقيل ، ويحوكون له الدسائس . وتطرق حبيب الى حديث تعديل الدستور وموقف حكومة رياض الصلح الوطني ، وكيف أيدها المجلس في نضالها في سبيل تنزيه الدستور وتحريره من الانتداب . ثم كيف دبر هلو وجماعته، مؤامرتهم في ليل ، وكيف أقسم هلو بشرفه ثلاثاً قبل الاعتقال ، بان فرنسة لن تقدم على أي عمل من أعمال العنف . حتى وصل الى الحوادث الأخيرة ، فروى على الكولونيل حوادث القتل في الشوارع ، وكيف أقدم عليها الجنود الفرنسيون وضباطهم ، وخلص من ذلك كله الى القول بصوت عال : تسألنا عن الحل يا حضرة الكولونيل ؟ ان هنالك حلًا واحداً لا ثاني له ، وهو إطلاق سراح المعتقلين حالاً ، وإعادة الأوضاع السياسية الى ما كانت عليه قبل اعتداء ١١ نوفمبر ، ويجب ان يأتي هذا الحل قبل فوات الأوان .

تكلم الرئيس مقدار ساعة من الزمن ، والكولونيل مطرق ، وقد علت وجهه غمامة من الحزن العميق . فلما انتهى أبو شهلا ، رفع الكولونيل رأسه دامـــع العينين وقال : كان هذا الحل ممكناً لو لم يتخذ الانكليز بخشونة ، موقفاً صريحاً من هذه القضية . ان الانكليز يدسون لنا الدسائس ، فكيف تريدون ان تنزل فرنسة عن حقوقها في لبنان ، وتسلم لبنان الى بريطانية ١٢ ؟

قال الأمير مجيد : أنتم الذين أذنبتم في حق أنفسكم . أصارحك القول ، إننا لم نكن يوماً من الأيام نعمل بوحي السياسة الانكليزية كما تتوهمون ، بل إننـا نحن الثلاثة الجالسين أمامك ، أنا ، ورئيس الحكومة ، ورئيس المجلس ، لم نكن نعرف الجنرال سبيرز شخصياً ، إذ قابلناه مرة واحدة في أثناء الازمة ١٣ . تقولون دائماً

(١٢) جاء هذا القول ايضاً في كتاب كاترو .

(١٣) صحيح لم يقابله الثلاثة . ولكن من كانت بيده مفاتيح الحل والربط أعني بشارة الخوري كان على تفاهم تام مع سبيرز . وقد ظهر جلياً واضحاً دعم الانكليز السافر للائحة الدستوريين أثناء الانتخابات النيابية ، كما مر معنا سابقاً .

الانكليز . فهل تريدون ان نؤمن بكم ونحبكم ونكره الانكليز ، حين تعمدون أنتم الى اعتقال رئيس جمهوريتنا ، ورئيس وزارتنا ، وحكومتنا ، وتجروهم من أسرّتهم كالمجرمين ، وتعطلون دستورنا ، وتحلون مجلس نوابنا ، وتهينوننا في عقر دارنا ، وتقتلون أطفالنا ، بينما الانكليز لا بل بينما العالم المتمدن كله ، يصيح في كل ساعة ودقيقة ، ويذيع على الملأ كله ، اننا أصحاب حق في السيادة والاستقلال؟ هل الانكليز هم الذين فعلوا بنا ما فعلتم ؟ الانكليز ! الانكليز ! لكن هللو ليس انكليزياً . وغوتييه ليس انكليزياً . ودائرة الامن العام ليست دائرة انكليزية . ان الذين فعلوا ذلك كله فرنسيون .

ثم راح صبري حمادة يشرح للكولونيل ، كيف ان سوء تصرف الفرنسيين وسياستهم الخرقاء في لبنان ، جعلت الانكليز يتدخلون .

وعاد أبو شهلا يقول : ان الحالة خطيرة جداً ، بل هي أشد خطورة مما تتصور ، وزميلي يقول لكم ، انكم إذا لم تقبلوا بالحل اللبناني ، عمت الثورة البلاد ، واندلعت نيرانها ، فجاوزت لبنان الى سورية ، وجبل الدروز . عند ذلك التفت الامير مجيد الى الكولونيل ، فسأله : أنت تعرف جبل الدروز جيداً ، فقد شغلت فيه وظيفتك عدة سنوات . ألا توافقني على أنه إذا قامت ثورة في لبنان ، هبت في جبل الدروز؟ فقال الكولونيل بلى ، هذا مؤكد . وأردف : ولكن عند اول حادث يتدخل الجيش البريطاني التاسع . ان الخلاف ليس خلافاً فرنسياً لبنانياً ، بل هو خلاف فرنسي انكليزي .

ثم جالت الدموع في عينيه ، فمسحها بمنديله ، وقال بصوت منخفض : أيها السادة . يجب ان تقابلوا الجنرال كاترو . ان الامر يتعلق بفرنسة وبلبنان . نحن متعودون الحوادث والثورات في جبل الدروز وسورية ، أما في لبنان فلم يكن يدور بخلدنا قط أننا سنواجه ثورة وحوادث خطيرة كهذه التي نواجهها اليوم . وعندما بلغتني أنباء الازمة ، وأنا في دمشق ، كدت لا أصدق . أهذا هو لبنان الذي عرفناه ؟

قال ابو شهلا : انكم كنتم جاهلين ان للبلدان يقظة مروّعة . وهذه هي يقظة

لبنان . انكم انتم الذين فعلتم ذلك . اننا نبارك اليوم الذي اعتديتم فيه علينا . ان المانية لم تفعل ضدكم ما فعلتموه انتم ضد انفسكم في لبنان .

قال الكولونيل : يجب ان تقابلوا كاترو . فأجاب ابو شهلا : لا يمكن الحكومة ان تذهب اليه . ان مجلس النواب لا يوافق على ذلك . فاذا شاء الجنرال كاترو ان يقابلنا ، فليأت الى هنا ، الى مقر الحكومة الشرعية . ألم يزر الجنرال كاترو اميل اده، الرئيس غير الشرعي في سراج البرج ؟ ودار حول هذه النقطة بحث ونقاش . فكان الكولونيل يلح في وجوب مقابلة الجنرال كاترو ، والحكومة تفهمه ان لا فائدة من هذه المقابلة. وعاد الكولونيل الى نغمة الطعن على الانكليز، فقال: لقد ملأوا اذاعات العالم اكاذيب عنا. وكانوا في كل ساعة يحمسونكم علينا. فقطع عليه حبيب الكلام قائلاً : لم يفعل احد ضدكم ، مثلما فعلتم انتم ، ولو كنت مكانكم، لحكمت بالموت على افراد هذه العصابة المؤلفة من هللو وغوتييه وامثالهما. هذا ما كان عليكم ان تفعلوه .

كان الوقت قد جاوز الظهر ، وقد مر على المقابلة ساعتان ونصف الساعة، فقال الكولونيل : ان الجنرال كاترو ينتظرني على الغداء الآن ، وسأطلعه على الحديث الذي جرى بيني وبينكم ، ونعمل معاً على ايجاد حل ينقذ ما يمكن انقاذه من نفوذ فرنسة في لبنان . ولكن هذا الحل ، لن يكون الحل الانكليزي على كل حال .

فقال ابو شهلا : ليس على الجنرال كاترو ، إلا ان يسلم بمطالبنا ، ثم يطلق عليها اسم « حل كاترو » ،هذا اذا شاء ان ينهي الازمة. واما اذا لم يشأ فنحن مستعدون ان نظل بعيدين عن بيوتنا ، نتابع الجهاد الى ان تتحقق امانينا .

عند ذلك ودع الكولونيل وانصرف .

الخاتمة

١ . الاستقلال يؤخذ ولا يعطى

●

تدخل الحلفاء السافر

وفي ١٣ نوفمبر ١٩٤٣ ، كان قد تلقى « ماسيغلي » وزير الخارجية في اللجنة الوطنية لفرنسة الحرة ، مذكرة من ماكينزي الوزير البريطاني ، جاء فيها :

« ان حكومة صاحب الجلالة ، لا يمكنها بوجه من الوجوه ، ان توافق على خطورة الحالة في الشرق ، ولا تهضم وقوع اضطرابات جديدة اثناء الحرب . والحكومة ترى ضرورة تدخلها عسكرياً لاعادة الهدوء . الا اذا سحبت فرنسة مندوبها هللو واطلقت سراح المعتقلين . »

ويقول كاترو في كتابه « معركة البحر المتوسط » : « انه من خلال مذكرة الوزير الانكليزي هذه ، فهم ان مستقبل العلاقات بين بريطانية وفرنسة ، يتوقف على حل قضية لبنان ».

ثم يتابع كاترو حديثه : «امامناحية اميركة فقد ارسل السيد شابان Chapin ، معاون السيد مورفي Murphy ، الى وزارة الخارجية الفرنسية المذكرة التالية :

« ان فرنسة تحافظ على مصالحها اكثر واحسن ، اذا اعطت لبنان الاستقلال حالاً ، بدلاً من ان تصر على الانتداب . إذ انها لو اتبعت السياسة الاستعمارية ،

فهي لا تنتظر أبداً غير انفجار الجمهور ضدها .

فالحكومة الأميركية ترى ان الاضطراب يضرّ بمجهود الحلفاء الحربي ، خصوصاً وان الشعوب تنتظر تحقيق وعود أميركة ، بحقوق تقرير الانسان لمصيره . »

وهكذا يردف كاترو : اتفق الاميركيون والانكليز على خطة واحدة ضدنا .

انذار وزير بريطانية لكاترو

وفي ١٩ نوفمبر ، قدّم كايزي وزير الدولة البريطاني للجنرال كاترو ، مذكرة باسم حكومة صاحب الجلالة هذا نصها :

« ان وزير الدولة ، بتاريخ ١٣ نوفمبر ، كان قد تقدم بمذكرة الى السيد ماسيغلي يطلب فيها استبدال هللو وإطلاق سراح المعتقلين . ولم تتلق حكومة صاحب الجلالة بعد جواباً على هذين المطلبين .

لذلك فاني أُنذركم ، انه إذا لم يلقَ المطلبان جواباً مرضياً ، حتى نهار الاثنين ٢٢ نوفمبر ، الساعة العاشرة صباحاً ، فان حكومة صاحب الجلالة ، قد أطلقت يد وزير الدولة البريطاني في حرية التصرف ، وإعلان الاحكام العرفية في لبنان ، وتسلّم قائد الجيش التاسع مهمة الامن . وإذا لم يخل سبيل رئيس الجمهورية والوزراء قبل الساعة العاشرة من صباح الاثنين ٢٢ نوفمبر ، فان الجيش البريطاني يتولى هذه المهمة . ونحن نؤكد ان تدخل بريطانية ليس له هدف خاص ، أو إبدال نفوذ فرنسة بنفوذ بريطانية . »

وقد أرسل كاترو في ٢٠ نوفمبر إنذار بريطانية الى الجزائر ، مع ملاحظاته الشخصية وتشديده على وجوب ان تظهر فرنسة حسن نياتها ، وعدم ترك المجال فسيحاً لسخاء بريطانية على حساب فرنسة [١] .

ويتابع كاترو في كتابه صفحة ٤٢٢ قائلاً :

« وفي العشرين من شهر نوفمبر ، علم السوريون بانذار الوزير كايزي ، فأخذت الحماسة جميل مردم بك وزير الخارجية السوري وأرسل إلى الكتاب التالي المؤرخ في

(١) انظر كاترو ص ٤٢٠ — ٤٢١ .

٢١ نوفمبر :

« نطلب منكم إرجاع الحياة الدستورية الى ما كانت عليه في لبنان ، وإلا فتتحملون وحدكم المسؤوليات . »

وقد درست لجنة الجزائر إنذار بريطانية ، وقررت الموافقة على استبدال هلو ، واستدعائه على جناح السرعة ، وإطلاق سراح المعتقلين ما عدا رياض الصلح . وكان هذا القرار في الواحد والعشرين من شهر نوفمبر ٢ .

اطلاق سراح المعتقلين

وفي ظهر اليوم الثاني والعشرين من شهر نوفمبر ، دخلت قلعة راشيا اربع سيارات كبيرة . فأغلقت وراءها الابواب . وتهيّأ الحرس ، وتبلبلت أفكار المعتقلين خوفاً . لكن الحقيقة انكشفت ، عندما وضع العلم اللبناني الجديد على سيارة رياض الصلح . وعزفت الموسيقى النشيد اللبناني . وتوجه الموكب نحو بيروت .

عودة رجال الحكومة الشرعية

وفي الساعة الثامنة إلا خمس دقائق ، من يوم الاربعاء الواقع في ٢٣ تشرين الثاني ، توجه حبيب ابو شهلا ، وكميل نمر شمعون ، وعادل عسيران ، في رتل من السيارات تتقدمها سيارة الرئيس ، وتتقدم الجميع الدراجات البخارية ، الى « بشامون » مقر القيادة في أثناء الازمة اللبنانية . وكانت سيارة الرئيس ، تحمل العلم اللبناني الجديد ، في إطاريها الخلفي والامامي ، بالوانه الزاهية الجديدة ، وكان الوزراء يحملون باقات الورد والريحان ، الى الحرس الوطني من قبل رياض الصلح .

ولم تكد السيارات تصل الى جوار بشامون ، حتى اطل الحرس يحدون ويهزجون ويطلقون الرصاص في الفضاء[٣] ويحيطون بالسيارات الى ان وصلت الى مقر

(٢) كاترو «في معركة المتوسط» ص ٤٢٣ .

(٣) لقد اصبحنا في زمان قد اتخذ اكثر اهله اطلاق الرصاص في الهواء بطولة !! وان اخوف ما اخافه على بلادي ان تبقى هذه العادة الذميمة سائدة فيها. اللهم اني اعوذ بك من سوء هذه الآفة.

القيادة . وبعد ان شرب انوفد القهوة في المقر ، وودعوا الحرس غادر الجميع بشامون في الساعة التاسعة والنصف ، تتقدمهم الدراجات البخارية ، وترعاهم أعين أبناء بشامون والقرى المجاورة .

في ساحة الشهداء

واطل الموكب على ساحة الشهداء ، فاذا بالألوف من الناس يتماوجون في الشوارع والطرقات ، وعلى الشرفات والسطوح ، تنفجر كلها وتهتف بحياة الحرس ، واذا بسيارة الوزراء تنثر فوقها الورود والرياحين ، ويكاد الشعب يحملها على المناكب والرؤوس .

الرئيس يستقبل الحرس الوطني

وهبط رياض الصلح السلالم ، واستقبل الحرس الوطني في باحة السراي الداخلية ، في ظل السيوف وتحت وابل من الرصاص والقذائف .

وكانت اصوات المتظاهرين تصل جلية الى السراي هاتفة : لا رئيس الا بشارة ، ولا زعيم الا رياض ٤ .

وفد الارمن

ومما تجدر الاشارة اليه ، ان الارمن اوفدوا نفراً يمثل هذا العنصر الوطني الطيب ، على اختلاف النزعات ، وقد حمل تحية بطريرك الارمن في انطلياس ، الى الحكومة ، ونوه بالعلاقات الاخوية الوطيدة ، التي تشد اللبنانيين الارمن باللبنانيين العرب ، فكان لكلامه اجمل وقع في النفوس . وقد خطب الدكتور يني كومشيان ٥ .

(٤) انظر جريدة الديار تاريخ ٢٤ ت٢ سنة ١٩٤٣ .

(٥) رئيس قسم الطب الداخلي في مستشفى الجامعة الاميركية في بيروت . ويذكر الجميع له خدمات وطنية جلى ، مع زميله الجراح الدكتور جدجيان ، في حقل الوطنية ، خصوصاً في اثناء ازمة لبنان عام ١٩٤٣ .

الجنرال كاترو في السراي

واخيراً شقت سيارة الجنرال كاترو طريقها في وسط الزحام ، وكان يصحب الجنرال ، القائد دي لافالاد ، وشاتينيو ، فاستقبلهم موسى مبارك في باحة السراي ، ورافقهم الى ديوان الرئيس ، بعد ان وجدوا صعوبة كلية في الوصول الى الديوان .

وعلى اثر هذه المقابلة ، التي كانت ودية للغاية ، صدر عن الحكومة اللبنانية البلاغ التالي :

اذاع قلم المطبوعات البلاغ التالي :

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاربعاء ٢٤ تشرين الثاني الجاري ، استقبل فخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية، محاطاً بدولة رياض بك الصلح رئيس الوزارة ، واصحاب المعالي الوزراء ، صاحبي الفخامة الجنرال كاترو المفوض الوطني حاكم الجزائر العام ، والسيد شاتينيو المندوب العام بالوكالة ، وحضرة الجنرال دي لافالاد القائد الاعلى ، يرافقهم السيد دافيد المندوب لدى الحكومة اللبنانية . وقد حيتهم على مدخل السراي لدى قدومهم وذهابهم ، مفارز من قوى الامن الداخلي في لبنان ، ورحب بهم على مطلع السلم ، الاستاذ موسى مبارك مدير ديوان الرئاسة رئيس التشريفات ، واستمرت الزيارة ٣٠ دقيقة ، انصرفوا على اثرها مشيعين بالاكرام .

خطاب كاترو واعلانه عودة الاوضاع الدستورية

والقى الجنرال كاترو ، من محطة راديو الشرق ، في الساعة الثامنة من مساء الاربعاء ٢٤ تشرين الثاني ، الكلمة التالية :

« في صبيحة هذا النهار ، عند الساعة الحادية عشرة ، توجهت بصحبة المندوب العام لفرنسة شاتينيو والقائد الاعلى الجنرال دي لافالاد ، لتحية فخامة رئيس الجمهورية ، ومعالي رئيس الحكومة ،في دار السراي الصغير ، حيث عادا الى منصبهما .

« والجماهير التي كانت تحييني عند مروري ، لم تنخدع حول مغزى هذا المسلك ، ولقد عرفت هذه

الجماهير ، ان العلاقات التاريخية والودية التي تربط فرنسة بلبنان منذ اجيال ، قد أعيدت الى سابق عهدها ، وعرفت كذلك ان الازمة المؤلمة التي اقلقتهم قد انتهت .

« وانه لشرف لي في ان يكون اختيار لجنة التحرر الفرنسية ، قد وقع علي ، للقيام بعمل المصالحة هذا . وشرف لي أيضاً ، ان اكون قد تمكنت من حل الخلاف، الذي كان يفصل بيننا ، وفقاً للروح التي كنتم تنتظرونها ، اعني وفقا لروح ومبادىء الحرية والتفهم والسخاء والانسانية التي طالما كانت فرنسة بطلتها . واذا ما تعرفتم الى هذا الوحي في التسوية ، التي اعتمدتها لجنة الجزائر ، بناء على نصائحي لحل الخلاف ، فانني اعتبر انني اكون قد خدمت حيالكم وطني ، احسن خدمة .

« انتم تعرفون ان امنيتي عندما كنت بينكم هنا ، كانت الاعراب لكم عن تعلقي بلبنان ،واعطاء فرنسة وجهها الحقيقي . وقد رأيتموني مشتركا في حدثين هامين ، من تطوركم التاريخي : الحدث الاول الذي اكتسبتم به استقلالكم، والحدث الثاني الذي رأى انبعاث دستوركم . واراد مصيري مجدداً ، ان ادعى الى مساندتكم في استعادة هذا الدستور نفسه ، الذي اتعلق به انا شخصياً – ومعي لجنة التحرر – تعلقكم انتم .

ومن اجل بلوغ هذه الغاية ،كان على فرنسة ان تقوم بمبادرة تتعرفون بها الى سخائها ونبلها . ولقد قامت بهذه المبادرة التي كان من الممكن ان تصعب على غيرها دون ان تصغي الى الاصوات التي كانت تنهاها عنها ، قامت بذلك لانها تعلم ان الاعمال الحسنة لها وقع عميق في قلوبكم .

والآن ، فان فرنسة قد وصلت ما كان قد انفصم ، وهي باقية على وعودها وعهودها وواجباتها ، فثقوا اذن بانها تحترم حقوقكم وحرياتكم ،كما تثق هي ايضاً بانكم تحترمون تراثها الادبي ومركزها في بلادكم .

عاش لبنان !! »

وفي ليل الثلاثاء اذاع راديو الشرق البلاغين التاليين ، بلاغاً تعين فيه لجنة التحرر المسيو شاتينيو مندوباً عاماً بالوكالة ، وآخر تلغي فيه التدابير التي اتخذت في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ .

وابلغت المندوبية العامة، ان ايف شاتينيو الوزير المطلق الصلاحية،والسكرتير العام يكلف بالوكالة تأمين منصب المندوب العام المطلق الصلاحية لفرنسة في الشرق.

وهذا هو نص القرارين :

اولاً : قرار رقم ٤٨٣ :

بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

بالغاء المواد : ٢ و٣ و٤ وه و٦ من القرار رقم F.C. ٤٦٤ بتاريخ ١٠ تشرين الثاني١٩٤٣ المعدل بالقرار ذي الرقم C.E. ٤٧٠ بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

ان ايف شاتينيو الوزير المطلق الصلاحيـــة ، المندوب العام والمطلق الصلاحية بالوكالة لفرنسة

في الشرق .

بناء على قرارات رئيس الفرنسيين الاحرار بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٤١ .

وبناء على قرار لجنة التحرر الوطنية الفرنسية بتاريخ ٧ حزيران ١٩٤٣ .

وبناء على القرار ذي الرقم F.C. ٤٨٢ بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

الذي يكلف السيد ايف شاتينيو ، الوزير المطلق الصلاحية لفرنسة في الشرق .

يقرر :

المادة الاولى – الغيت المواد الـ ٢ و٣ و٤ و٥ و٦ من القرار ذي الرقم F.C. ٤٥٤ بتاريخ ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ ، المعدل بالقرار ذي الرقم ٤٧٠ بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، القاضي بتعليق الدستور في لبنان وحل مجلس النواب ، وتنظيم سلطات تنفيذية وتشريعية بصورة موقتة .

المادة الثانية – الغي القرار ذو الرقم F.C. ٤٦٥ بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، بتعيين رئيس حكومة للجمهورية اللبنانية بصورة موقتة .

المادة الثالثة – ان السكرتير العام مكلف تنفيذ هذا القرار الذي ، بالنظر الى السرعة ووفقاً لترتيبات المادة الثالثة من القرار ذي الرقم S. ٩٦ بتاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٢٥ ، سيدخل في طور التنفيذ بطريقة الصاقه على باب المندوبية العامة .

بيروت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣

بالوكالة عن السكرتير العام	المستشار التشريعي	المندوب العام والمطلق الصلاحية بالوكالة
لودك	جان شابير	ايف شاتينيو

المواد الخمس :

اما المواد الملغاة التي اشار اليها قرار المندوب العام بالوكالة فهي ،

المادة ٢ – حل مجلس النواب اللبناني .

المادة ٣ – اوقف تطبيق الدستور اللبناني ، ويعاد على اثر انتخابات تجري فيما بعد .

المادة ٤ – الغيت المادة ٣ من القرار رقم ١٢٩ بتاريخ ١٨ آذار سنة ١٩٤٣ ، بتعديل بعض احكام الدستور اللبناني .

المادة ٥ – بصفة موقتة ، والى ان يعود تطبيق الدستور ، يؤمن ممارسة السلطة التنفيذية في دولة الجمهورية اللبنانية ، رئيس دولة رئيس حكومة يعينه المندوب العام المفوض لفرنسة في الشرق ، ويؤازر رئيس الدولة رئيس الحكومة وزراء دولة ، يعينهم هو ، يكونون مسؤولين تجاهه .

المادة ٦ – ان رئيس الدولة رئيس الحكومة له الصفة اللازمة لأن يتخذ في مجلس الوزراء

مراسيم لها قوة القانون ، بشرط مراعاة التحفظات المذكورة في اعلان استقلال لبنان ، الذي صرح به في بيروت في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١ ، قائد الجيش الجنرال كاترو القائد الاعلى في الشرق المندوب العام المفوض لفرنسة الحرة في الشرق .

ثانياً – بلاغ المندوبية العامة :

واذاعت المندوبية العامة بعد ذلك البلاغ التالي :

« استقبل فخامة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية ، فخامة الجنرال كاترو المفوض الوطني ، يرافقه شاتينيو المندوب العام بالوكالة لفرنسة في الشرق ، والجنرال شادبيك ده لافلاد القائد الاعلى للجيوش الفرنسية في الشرق ، وذلك في السراي الصغير هذا الصباح .

وقد اطلع الجنرال كاترو الشيخ بشارة الخوري على قرار لجنة التحرر الوطني الفرنسية ، باعادة الحياة الدستورية الى لبنان » .

وعلى الرغم من صدور هذين القرارين ، ظل الناس في هواجسهم مشككين بنيات الفرنسيين ، حتى ادخل الطمأنينة الى قلوبهم بلاغ المؤتمر الوطني ، الذي اذيع مساء الثلاثاء ٢٣ نوفمبر على الاهلين ، وفيه تأكيد عودة البلاد الى سابق حالتها الدستورية [٦] .

وهكذا عاد لبنان الى حياته اليومية العادية بعد ان افاق من حلم مزعج ، دام ثلاثة عشر يوماً ، وكأنها ثلاثة عشر جيلاً ، ليجد نفسه بلداً عزيزاً مستقلاً حراً .

العلم اللبناني الحر يخفق على سراي الحكومة في بشامون

خلق العلم اللبناني في صميم الثورة ، وخفق للمرة الاولى في سماء لبنان ، فوق غرفة صغيرة في قرية اتخذتها الحكومة المجاهدة مقراً لها ، ورفعته على سطحها أيدي شبان لبنان ، وخفق للمرة الثانية وللأبد ، فوق الدور الرسمية في عاصمة لبنان ، في لحظات وقف فيها الزمن ، وسطر التاريخ ، حين اندفع الشعب الثائر المناضل عن حريته واستقلاله ، فمزق علماً ، وأقام علماً ، ومحا ألواناً ، وخط ألواناً ، وكسر نيراً ، وفك قيوداً وأغلالا .

(٦) انظر لبنان الاستقلال «٩» مكتبة الجامعة الاميركية – بلاغ المؤتمر الوطني .

فوق سراي بشامون

كانت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاحـــد في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٣ ، حين وصل الى بشامون أربعة شبان ، ينتمي منهم اثنان الى منظمة الكتائب ، واثنان الى منظمة النجادة * وكان الشبان يحملون علماً جديداً ، صنعته أيدي نساء لبنان ، علماً كبيراً روته الامة بدمـــاء ابنائها ، وحاكت خيوطه بهج الاطفال والشيوخ والشبان ، الذين سقطوا صرعى في ساحات النضال . فلما دخلوا به على الحكومة نشروه ، فراح الجميع يتأملونه ، وقد غمرهم جو رائع من الفرح والغبطة والحماسة . يا له من علم جميل ، قد تحرر من كل لون غريب . ان هـــذين الخطين الاحمرين ، يرمزان الى الدم الزكي ، الذي أريق في سبيل الانعتاق ، وهـــذا البياض العريض يرمز الى السلام الذي ينشده لبنان . ان اللبنانيين لا يحملون حقداً وضغينة على أحد ، ولكنهم يكنون للبنان أسمى عاطفة يكنها مواطن لوطنه ، عاطفة التعلق والتقديس والعبادة . وهـــذه الارزة الخضراء ، رمز الخلود ، لقد تحررت هي أيضاً ، وزاد اخضرارها أمـــلاً وازدهارا .

تناول الرئيس أبو شهلا العلم من يد الشبان ، وقبله ثم ناوله الى الامـير مجيد ، باعتباره وزيراً للدفاع الوطني ، وقال له : اني بالنيابة عن رئيس الجمهورية ، ورئيس الحكومة ، وجميع المعتقلين أولئك الذين نتوجه اليهم في هذه الدقيقة بعاطفتنـــا وتقديرنا وإعجابنا ، أضع في عهدتك علم لبنان الجديد ، وأطلب اليك ان تدافع عنه وتحميه . فركع الامير مجيد وقبل العلم . وقال ، والتأثر آخذ منه كل مأخـذ : أقسم ان أذود عنه بدمي ، وأبذل في سبيله حياتي .

ثم اصطف مائة رجل من أفراد الحرس الوطني ، واصطف الشبان ، بينما كان بعضهم يركز العلم على سارية طويلة. حتى اذا ارتفع ببطء فوق تلك الغرفة الصغيرة ،

* لقد حلق شباب النجادة عالياً في ميدان الجهاد وفي سبيل القضاء على الطائفية المقوتة ، وكان على رأس هؤلاء الشباب زهير عسيران وعدنان الحكيم فاستحقوا شكر البلاد .

التي دعيت بالسراي ، أطلقت مئات الحناجر معاً المقطوعة الاولى من نشيد لبنان :
كلنا للوطن ، للعلى للعلم ...

وكان العلم الجديد الذي ارتفع في بشامون ، في تمام الساعـــة الحادية عشرة والدقيقة العشرين ، من صباح الاحد الواقع في الواحد والعشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٣ ، أول علم لبناني محرر يخفق في سماء لبنان * .

مجلس النواب في الازمة اللبنانية

وقف مجلس النواب ، في الازمة اللبنانية ، الموقف الذي كانت تنتظره البلاد منه ، وهو موقف الوطنية والشرف والكرامة والشعور بالواجب . وأقام الدليل الساطع على حيويته ، وعلى انه يمثل حقاً شعب لبنان .

فمنذ الدقيقة الاولى ، لانفجار الحوادث ، بدأ المجلس يناضل ، وراحت الكثرة الساحقة من أعضائه تعقـد الاجتماع تلو الاجتماع ، وترسل المذكرات الى الدول ، وتدعو الى المضي في الكفاح ، وتغذي الثورة بالغذائين ، المادي والروحي .

فاما رئيس المجلس صبري حماده ، فقد ورد كيف دخل البرلمان ، وحوصر فيه مع فريق من زملائه ، في صبيحة الحادي عشر من نوفمبر ، وكيف استقبل القوة التي اخترقت حرمة البرلمان . ثم رافق الحكومة الى بشامون ، وبقي معها طيـلة الايام العشرة ، التي قضتها متحصنة وراء صدور الحرس الوطني .

واما النواب ، فقد عقدوا في الثلاثة عشر يوماً التي دامت فيها الازمة من ١١ الى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، اكثر من خمس عشرة جلسة ، كانت كل جلسة منها تجمع اكثرية المجلس المطلقة ، على الرغم من وجود الرئيس في بشامون ، واعتقال خمسة من اعضاء المجلس، وهم رئيس الحكومة والوزراء الثلاثة ، وعبد الحميد كرامي. وعقد المجلس جلساته ، في دار الشيخ محمد توفيق خالد. واخيراً اخذ يجتمع في بهو الكاتدرائية المارونية ببيروت ، حيث كان مجلس النواب ضيفاً على المطران مبارك.

(*) قدم وفد من منظمة النجادة ووفد من منظمة الكتائب ووفد عن المؤتمر الوطني لرفع العلم الجديد .

وكان المجلس ، في هذه الاجتماعات كلها ، يتخذ المقررات وفاقاً لما تقتضيه مصلحة البلاد ، ويدافع عن امانيها ، ويحتج على اعمال العنف والظلم والارهاق ، التي يأتيها الفرنسيون ، ويظهر للملأ ان حكومة إده حكومة غير شرعية ، لا تستطيع ان تستند الى تأييد أحد من ابناء البلاد .

لقد عرضت الوزارة على اكثر من عضو واحد من اعضاء المجلس ، فرفضوها واقاموا الدليل على انهم يمثلون هذا الشعب الذي ثار لكرامته ووطنه .

*

خمس وعشرون سنة استهان الفرنسيون في خلالها وعبثوا بالدساتير والانظمة والقوانين ، فكانوا يعطون ويستردون ، يبسطون ايديهم ويقبضون ، ينشرون الدساتير ويطوون ...

كأنما كانت اقدار لبنان في ايديهم ، ألهية يتصرفون بها كيفما يشاؤون ، وكأنما كانت الحريات والكرامات ، اسماء يعطونها من المعاني ما يريدون ..

لقد فات القوم ان للامم يقظة ، وللشعوب ثورة ، تسترد فيها بلحظة من الزمن ، ما سلبته في سنوات وربما في قرون . وان العسف والطغيان مهاميز للشعب .

ان اللبنانيين ليباركون اولئك الذين جعلوا تاريخ لبنان السياسي سلسلة من المهازل في دنيا السياسة ، ويحمدون اولئك الذين اعتدوا على الحريات وعطلوا الدساتير وعبثوا بالقوانين ، ويتوجهون بخالص الشكر الى هلهلو واصحاب هلهلو ، فانهم جميعاً اولئك وهؤلاء اسدوا للبنان خدمة جلى حين ايقظوه من سباته وازالوا الغشاوة عن عينيه ... وجعلوا لبنان يدك بثورته حصناً راسخ الاسس ، متين الدعائم ، عتيقاً ، بشع المنظر ، يسمونه الطائفية ، ويدعونه التعصب الديني ، ويلقبونه بالتفرقة .

مخلوق مسخ تعددت اسماؤه وكثرت شروره ، هو تنين اسود ذو سبعة رؤوس قضت عليه الثورة في ثلاثة عشر يوماً سمح بها العمر ، فانقذ منه وطني لبنان .

لقد اعطونا الاستقلال خمس مرات ... وظل النير على حاله . واخذناه مرة واحدة فكان فجر ذلك اليوم ، يوم تعديل الدستور في ٨ تشرين الثاني ، ولادة الاستقلال !*

* من رأيي وجوب جعل عيد الاستقلال يوم ذكرى تعديل الدستور !

٢. العوامل التي ادت الى استقلال لبنان السياسي

●

اولا — الاسباب الخافية

ان رغبة الشعوب في الاستقلال ، وكسر القيد ، وطلبها لما يقال له في الحقوق الدولية « الحكم الذاتي » اي ان يحكم الشعب نفسه بنفسه ، انما هو شيء طبيعي كما لا يخفى ، تهتف به خواطر البشر في كل ارض ، كلما استطاعوا سبيلاً الى تنسم ريح الحرية !

ولقد رأينا في هذه الاعصر الحديثة ، كيف تحركت في طلب « الحكم الذاتي » شعوب كثيرة ، وكيف ظفر بعضها به ، او بنوع من انواعه وكيف فشل بعضها الآخر ..

وههنا ، لا بد من القول ، انه قلما انتزع شعب الاستقلال الا بالعنف ، او بكلمة اخرى اقرب الى التعبير السياسي : « النضال المسلح » .

« أ » الاستعمار يلقى حتفه بظلفه

ولا يخفى انه لا تتحقق اهداف الاستعمار الا في اقامة الصناعات والشركات والمنشآت المالية الكبيرة في البلاد المستعمرة ، والتوسع في الاستثمار الاقتصادي في مختلف المرافق ، وان ذلك إذ ينهض بالبلاد المستعمرة ، تنهض هي بدورها بحكم الطبع وسنة المحاكاة ، وتقليد المغلوب للغالب ، الى التثقف والنظر الى الأعلى ، والشعور بالحق المغموط والخير المسلوب . هذا مضافاً الى ما يكون قد جاءها ايضاً

مع ريح الاستعمار من آراء وأقوال في تمجيد الحرية ونعمتها . وهكذا يتحرك جيلها الناشيء في حركاته الاولى في المطالبة بالحقوق ، ثم حركاته الاخرى في استخدام العنف بالمطالبة . فكأن الاستعمار في ذلك يلقى حتفه بظلفه ، ومن تغنى بالخبز أطرب الف جائع !

«ب» المشادة المستحكمة بين المستعمرين

بل هي بالاجدر عداوة بينهم مستحكمة ، مناشئهـــا المصالح الاقتصادية التي للشركات والمصارف في البلاد المستعمرة .

ولقد شهد لبنان وسورية ، من تلك العداوة بين الانكليز والفرنسيين ؛ ورأى من ادوارها في مسرح سياسته شيئاً كثيراً . ظهر ذلك بأجلى مظهر ، عندما وضعت الحرب العامة الاولى (١٩١٤–١٩١٨) اوزارها . فانه ما كاد يشرع بمفاوضات الصلح بين الحلفاء يومئذ ويدار الكلام على اقتسام الشرق الاوسط ، حتى ذر قرن الخلاف بين بريطانية وفرنسة . وظل الشر قائماً بينهما الى سنة ١٩٤٣ ، بل الى ما بعدها ايضاً . وليس ما صنعه الجنرال سبيرز للبنانيين في ايامهم العصيبة في السنة المذكورة ، من مدّ اليد اليهم ، والذود عن حركتهم ، والتدليل على حقوقهم ؛ الا مردوداً في جملته الى ذلك الحبل الذي كان يتجاذبه في لبنان بنو قومه من جهة ، والفرنسيون من جهة اخرى .

ويقول كاترو في كتابه « معركة المتوسط » :

« وكان سبيرز طموحاً ، ويود ان يصبح الرجل الاول الذي يكون له الفضل التاريخي في ازاحة فرنسة من طريق بريطانية في الشرق : احلام تقليدية لدولته ، التي لم تكن لتهضم وجود دولة قوية اقتصادياً وسياسياً غيرها ...

« وقد كان الشرق العربي ذلك الوقت ، تحت سيطرة بريطانية العسكرية فسهلت مهمته . غير انه لم يرد ان يقلد النازية فيدوس فرنسة علناً . فانتظر وقتاً غير قليل حتى ينفذ خططه .

« فلما اشتدت ازمة التغذية في سورية ولبنان عام ١٩٤١ ، سارع الجنرال سبيرز الى مد يد المساعدة فسهل الاستيراد – استيراد الاغذية الاولية – متخطياً فرنسة . وقد كانت مهمته من السهولة بمكان ، خصوصا وان فرنسة لم تكن تملك وسائل النقل البحري . وهكذا ظهر فضل بريطانية وجود فرنسة .

« وكان سبيرز يحرص على افهام اللبنانيين ، ان فرنسة غير مستقرة سياسياً ، ويدعو الساسة الى عدم عقد معاهدة معها ، بل كان يلح في وجوب اعطاء لبنان استقلالاً تحت اشراف بريطانية .

« لذلك فقد طلب سبيرز من الفرنسيين اعادة الحياة النيابية للبلاد ، ليصار فيما بعد الى اعطاء البلاد استقلالها الصحيح .

« وقد ناضل سبيرز كثيراً في دعم لائحة بشارة الخوري الدستورية ، تحت ستار انقاذ البلاد من الاجنبي ، والجهاد في سبيل الاستقلال ...

« وقد ساعد سبيرز في هذه المهمة ، رئيس وزراء مصر النحاس باشا ، ورئيس وزراء العراق نوري السعيد باشا . وقد تعهد بشارة الخوري لقاء هذه المساعدات باتباع السياسة البريطانية – العربية . »

غنم سقط في يد الوطنيين الاحرار ، امثال رياض الصلح ، بارداً هيّناً ، دون ان يصيبهم من الغرم شيء ، فحقق لبنان استقلاله بفضل مطامح بريطانية وعجز فرنسة .

ثانياً — الاسباب الظاهرة

تلك هي الاسباب الخافية التي فعلت فعلها في التمهيد للاستقلال السياسي . اما الاسباب الظاهرة فهي ما يأتي :

« أ » الضعف الفرنسي بعد الحرب الاخيرة

بعد ان وقع للفرنسيين في سنة ١٩٣٩ ، من طرح السيف بين يدي الالمان ، واحتلال بلادهم ، وتفرق كلمتهم ، بين فيشي والجزائر ، وسقوط ما لهم من الهيبة الدولية ، في الغرب والشرق ، كان لا بد للبنانيين من انتهاز الفرصة ، في طلب حقهم والعمل عـــلى طرد الاستعمار من ارضهم ، فانتهزوها ، ووجدوا من مصر والعراق خاصة ، ومن البلاد العربية عامة ، نصرة لم تكن لهم من قبل ، ايام كانت فرنسة في عزتها السياسية والعسكرية .

« ب » تلاقي الاميركيين والانكليز على رغبات واحدة

إذ ان لبنان وسورية كانا في خريطة الزيوت الشرقية ممرات الى البحر المتوسط لبترول العراق من جهة ، وبترول المملكة العربية السعودية من جهة اخرى . واذ ان مفاوضـــة حكومات محلية ناشئة ضعيفة ، هي بطبيعة الحال ايسر في باب الامتيازات ، ونيل الشروط الموافقة من مفاوضة دولة اوروبية ، مهما بلغ بهـــا الضعف (وليس ما املته شركة التابلاين والـ I.P.C. من الشروط على حكومتي سورية ولبنان بالبعيد عن ضرب المثال ..) ، فالتقت يومئذ على مساعدة اللبنانيين

رغبات اميركية ورغبات انكليزية ، في وقت واحد معاً .

« ج » اتحاد اللبنانيين في وجه فرنسة

وقد قام اللبنانيون على قدم واحـدة ، طوائف وطبقات ، ورجالاً ونساء يطلبون استقلالهم ، ويردون عنه يد الفرنسيين . وكان البلد مغموراً حياةً واملاً ، وثقة بالنفس وزعمائه . وهنا لا بد من الاشارة الى ما كان للمرأة اللبنانية يومئذ من الصدق العالي في القضية ، ومن الاقدام والجرأة في ميدانها .

« د » تنظيم المقاومة الشعبية ودعمها

ان التنظيم في المقاومة الشعبية ، كان على اتم ما يكون . وقد زاده قوة ، دخول رهط من اهل النضال الوطني ، الراسخين في العقيدة مجلس النواب من امثال رياض الصلح ، وعادل عسيران ، وعبد الحميد كرامي ، ورفاقهم الذين ساندوا حركة المقاومة ، وشحذوا سلاحها ، واذكوا نارها ، وكانوا مصابيح الرأي لها ، في تلك الليالي العصيبة .

أما حركة بشامون ، ذات الحكومة الشرعية ، والعلم الجديد ، والدم الشهيد ، فقد جاءت تكلل المقاومة الشعبية ، في طول البلاد وعرضها ، وتخرج الى حـيز الواقع خيالها وتحقق أمانيها .

« ه » العطف العالمي على قضية اللبنانيين

ان ما فعله الفرنسيون لطمس الحركة اللبنانية ، والاتيان عليها ، من قسوة وفتك وتقتيل وتشريد وبطش ، لا يقع تحت وصف الواصف . وما كان من اختطافهم للرؤساء والزعماء ، تحت جنح الليل والطيران بهم في وجهات مجهولة ، ثم زجهم في قلعة راشيا ، وراء الحديد والجدران الكثيفة ، كل ذلك عطفَ الضمائر في اوروبة واميركة الى القضية اللبنانية ، ورقق لها القلوب وألان الالسنة . وفي الحقيقة ، انه لا يستطيع احد ان ينكر ما قدمه يومئذ المكاتبون الاميركيون والجامعـة الاميركية ، فان رسائل هؤلاء المكاتبين كانت تشيد في الصحف العالميـة ، وفي محطات الاذاعة ، بحركة اللبنانيين . كما كانت الجامعة الاميركية بما لها من مكانة في

الاندية الثقافية والاجتماعية في الآفاق ، تذيع شهادتها بحق لبنان في الاستقلال ، وبما يفعله الفرنسيون من غمطهم له ، وجورهم على أهله بالنار والحديد .

« و » علاقة ميثاق الاطلنطيك بالقضية

ولقد كانت الدول الكبيرة يومئذ توقع على ميثاق الاطلنطيك ، ولم تمسح ذلك الميثاق الذي ينادي بحريات الشعوب ، وباعطائها الحق في الحياة .

فلما برزت القضية اللبنانية برزت على قدر ! ولم يكن من البراعة السياسية ان تستهل الدول الكبيرة أمرها في ذلك الميثاق ، بعمل استبدادي في سورية ولبنان ، خصوصاً والبلاد العربية كانت تزخر من أطرافها بدعايات نازية ، تعمل ليل نهار على الكيد للديمقراطية وعرقلة سبيلها ، فلم يكن من الصواب بالطبع إيـلاء الحجة للدعاية النازية ، في ترك الحبل على الغارب ، للفرنسيين ، يفعلون فعلهم في لبنان وسورية .

« ز » الموقع العسكري في لبنان

وأخيراً فان ما يقال له في لغة العسكريين « موقع لبنـــان الستراتيجي » او « السَّوقي » جارٍ هو أيضاً في جملة العوامل التي ساعدت اللبنانيين في حركتهم ، فقد ألح جماعة العسكريين الانكليز على حكومتهم ، في لزوم التدخل في المسألة ، حتى تنتهي الى حل مرضٍ في هذه الرقعـة من الخريطة العربية ، وتتوقف الاضطرابات والقلاقل ، وجميع أعمال العنف ، ويزول خطرها الظاهر ، على مجهودهم الحربي .

هذه جملة العوامل الخافية والظاهرة ، التي تيسرت للبنانيين وساعدتهم على نيل الاستقلال السياسي عام ١٩٤٣ .

وثائق

شهادة عن وجود الانكليز الدائم وسط معركة لبنان كتبها بخط يده احد كبار موظفي بلدية بيروت نكتم اسمه بناء على طلبه . يقول : « جاءني الاستاذ جوزف سعاده من افراد الكتائب اللبنانية وقال لي : لقد علمت ان الفرنسيين سوف يهاجمون بشامون في صباح اليوم التالي ، اي ١٦ نوفمبر ، ولما كنت من موظفي بلدية بيروت فقد كان يحق لي ان الصق على اجانب الخلفي من سيارتي .D.P اي « الدفاع السلبي » الامر الذي كان يسهل لي التجول دون معارضة الجند ...

ولقد توجهت مع السيد سعاده الى شملان حيث شاهدت في بيت المرحوم امين المقدم السادة :صبري حماده ، حبيب ابوشهلا ، خليل تقي الدين ،وفوزي الطرابلسي ، واعلمناهم بالامر . فتركوا شملان وذهبوا الى بشامون عن طريق عيتات القديمة .

ثم جاءني في اليوم التالي السيد اميل ابو ضاهر وهو موظف اليوم في وزارة الشؤون الاجتماعية وابلغني ان الفرنسيين قد هاجموا فعلاً بشامون ورجاني ان اتصل بالمفوضية البريطانية لوقف الهجوم . وللحال توجهت الى المفوضية وبفضل مساعي الصديق مارون بك عرب* استقبلني الجنرال «هتشنسون» وكيل الجنرال سبيرز . ولما علم بالامر ، ادار من على مكتبه آلة لاسلكية وقال بالحرف الواحد : « هالو جاك ! Are the French really attacking ، اي هل الفرنسيون يهاجمون حقاً ؟ » فأجابه جاك : No sir, not at all ، اي كلا يا سيدي ابداً !!... وعندما استفهمت عن جاك هذا علمت انه كان احد الافراد الانكليز الذين تمركزوا بين اشجار الزيتون في بشامون ، والذين كان عملهم الدائم الاتصال بالمفوضية البريطانية في بيروت لايقافها على سير الحوادث بين الافرنسيين والحرس الوطني في تلك المنطقة .

ومما لا شك فيه ان هذه الشهادة الناطقة والصادقة تبطل تبجحات بعض الذين احتكروا بطولة الاستقلال وادعوا انهم هم الذين نالوا حرية بلادهم وحدهم ...

* كان السيد مارون عرب مستشار المفوضية البريطانية صلة الوصل بين الجنرال سبيرز والحكومة الشرعية . وقد ادى لحكومة الثورة خدمات لا تنكر ، الامر الذي جعل الدولة اللبنانية والمفوضية الانكليزية تقدر خدماته ، فتمنحه الاولى وساماً رفيعاً وترفعه الثانية الى رتبة أعلى .

REPUBLIQUE LIBANAISE

الجمهورية اللبنانية

N°

عدد

مرسوم رقم

ان رئيس الدولة رئيس الحكومة
بناء على المرسوم الاشتراعي رقم ٤٦٤
وبناء على المرسوم رقم ٤٦٥

يرسم ما يأتي :

المادة الاولى = عين السيد فريد حبيب المفتش الاداري من الدرجة الثالثة محافظا للبنان الجنوبي من الدرجة الثالثة .

المادة الثانية = ينشر ويبلغ هذا المرسوم حيث تدعو الحاجة .

١٢ ت ٢ ١٩٤٣

الامضاء :

تعيين فريد حبيب محافظاً للجنوب

الامضاء : اميل اده

(انظر صفحة ٨١)

REPUBLIQUE LIBANAISE

الجمهورية اللبنانية

E.

N°

رقم

مرسوم رقم ٢

ان رئيس الدولة رئيس الحكومة
بناء على المرسوم الاشتراعي رقم ٤٦٤
وبناء على المرسوم رقم ٤٦٥

يرسم ما يأتي :

مادة اولى = يعاون رئيس الدولة مجلس حكومي مؤلف من :

١ ـ نصري حداد	مدير المالية
جورج مراد	مدير الداخلية
اشرف الاحدب	مدير النافعة
يوسف شمعون	مدير التربية الوطنية
حليم النجار	مدير الزراعة
اندره التويني	مدير التموين
راشد طباره	مدير التجارة والصناعة

٢ ـ ومن محافظي الالوية

شفيق الحلبي	محافظ بيروت
فؤاد البريدي	محافظ جبل لبنان
كميل شدياق	محافظ لبنان الشمالي
ناظم عكاري	محافظ البقاع
فريد حبيب	محافظ لبنان الجنوبي

٣ ـ مندوب عن المراقبة العامة للدوائر الادارية = صبحي حيدر مدير مراقب

١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣

الامضاء

المجلس الحكومي الذي عينه اميل اده لمعاونته
وقد انسحب منه اشرف الاحدب ، يوسف شمعون ، اندره التويني ، راشد طباره
واخيراً حليم النجار ، كما يظهر في الوثائق فيما بعد

(انظر صفحة ٨١)

REPUBLIQUE LIBANAISE

الجمهورية اللبنانية

N° ..... عدد .....

مرسوم رقم ٣

ان رئيس الدولة رئيس الحكومة

- بناء على المرسوم الاشتراعي رقم ٤٦٤

- وبناء على المرسوم رقم ٤٦٥ ،

يرسم ما يأتي :

المادة الاولى : = عين السيد جان عزيز قائمقاماً لقضاء الشوف .

المادة الثانية : ينشر ويبلغ هذا المرسوم حيث تدعو الحاجة .

بيروت في ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٣

الامضاء :

تعيين جان عزيز قائمقاماً للشوف

الامضاء : إميل اده

(انظر صفحة ٨١)

REPUBLIQUE LIBANAISE

الجمهورية اللبنانية

N° ..... عدد .....

مرسوم رقم ٤

ان رئيس الدولة رئيس الحكومة

- بناء على المرسوم الاشتراعي رقم ٤٦٤

- وبناء على المرسوم رقم ٤٦٥

يرسم ما يأتي :

المادة الاولى : عيد السيد جورج قرقفي الى سابق خدمته في وزارة المالية .

المادة الثانية : ينشر ويبلغ هذا المرسوم حيث تدعو الحاجة .

بيروت في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣

الامضاء :

اعادة جورج قرقفي الى الخدمة

الامضاء : اميل ادة

(انظر صفحة ٨١)

RÉPUBLIQUE LIBANAISE

الجمهورية اللبنانية

عدد

محضر جلسة مجلس النواب المنعقدة بتاريخ ١١ تشرين ثاني سنة ٩٤٣ ، الساعة الرابعة بعد الظهر .

عقد مجلس النواب جلسته في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الخميس الواقع في ١١ تشرين ثاني سنة ٩٤٣ ، برئاسة السيد صبري حماده وحضور اكثرية النواب ، وجلس في مقعد الحكومة صاحبا المعالي الاستاذ حبيب ابو شهلا ، نائب رئيس مجلس الوزراء وزير العدلية والتربية الوطنية ، والامير مجيد ارسلان ، وزير الدفاع الوطني والصحة والاسعاف والزراعة . وبعد افتتاح الجلسة قال الرئيس انه عندما بلغه نبأ اعتقال فخامة الشيخ بشاره الخوري ، رئيس الجمهورية اللبنانية الشرعي ، ودولة رياض بك الصلح ، رئيس الحكومة ، واصحاب المعالي الوزراء السادة سليم تقلا ، وكميل شمعون ، وعادل عسيران ، بادر الى دعوة النواب ووجه اليهم في الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم دعوة رسمية صدرت عن المجلس تحت رقم ١٩٣ ، م . ن . تاريخ ١١ تشرين ثاني سنة ٩٤٣ وان النواب الذين تبلغوها حاولوا دخول القاعة فمنعهم جنود فرنسيون بقوة السلاح ولم يتمكن من الدخول منهم الى قاعة المجلس سوى الرئيس وستة نواب هم ، هنري فرعون ، سعدي الملا ، صائب سلام ، مارون كنعان ، محمد الفضل ، رشيد بيضون . وانه اعتدى على حرمة البرلمان الذي يمثل الامة اللبنانية وذلك بان طوقه جنود فرنسيون مسلحون وحالوا بينهم وبين نواب الامة . لذلك فقد عقد رئيس المجلس في الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم جلسة وضع خلافها هو والنواب المحاصرون مذكرة ارسلها تحت رقم ١٤١ ، م . ن . بتاريخ ١١ تشرين ثاني سنة ٩٤٣ ، الى كل من الجنرال ادوار سبيرس ، سفير بريطانيا العظمى والسيد ودسورث سفير الولايات المتحدة ، وتحسين بك قدري ، القائم باعمال المفوضية العراقية العامة ، واحمد بك رمزي ، القائم باعمال المفوضية المصرية العامة ، —

ثم تلى السكرتير الموظف على النواب نص المذكرة ، وهذا هو " الحقت هذه المذكرة في المحضر وفقا للاصول " .

ثم تكلم معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فاطلع على المجلس على التدابير التي اتخذها هو وزميله وزير الدفاع بصفتهما مجلس وزراء يقوم باعمال رئيس الجمهورية وفقا للدستور . واطلع المجلس على نص المرسوم رقم ١ ، تاريخ ١١ تشرين ثاني سنة ٩٤٣ ، ثم اطلع المجلس على الاحتجاجات

جلسة مجلس النواب في دار صائب سلام المنعقدة بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ وهذه اسماء النواب الموقعين : صبري حماده، رشيد بيضون، صائب سلام ، سامي الصلح، علي العبد الله ، وديع الاشقر ، يوسف ضو

(راجع التتمة في الصفحة التالية)

(انظر صفحة ٩٣)

RÉPUBLIQUE LIBANAISE

CHAMBRE DES DÉPUTÉS

الجمهورية اللبنانية

مجلس النواب

عطوفة رئيس مجلس النواب الافخم

عملا بالمادة السابعة والسبعين من الدستور يتشرف النواب الموقعون بان يقترحوا على المجلس تعديل المادة الخامسة من الدستور على الوجه التالي :

مادة وحيدة — العلم اللبناني احمر فابيض فاحمر اقساما افقية تتوسط الارزة القسم الابيض بلون اخضر اما حجم القسم الابيض فيساوي حجم القسمين الاحمرين معا واما الارزة فهي في الوسط يلامس رأسها القسم الاحمر العلوي وتلامس قاعدتها القسم الاحمر السفلي ، ويكون حجم الارزة موازيا لثلث حجم القسم الابيض .

ويرجو النواب الموقعون عرض هذا الاقتراح ليصير التصديق عليه بالاكثرية الدستورية المطلوبة في اول جلسة تعقد .

وتفضلوا يا فخامة الرئيس بقبول فائق الاحترام .

بيروت في ١١ تشرين الثاني سنة ٩٤٣

نائب الشمال	نائب البقاع	نائب بيروت	نائب الجنوب	نائب الجنوب
سعدي الملا	هنري فرعون	صائب سلام	رشيد بيضون	مارون كنعان

نائب الجنوب
محمد الفضل

جلسة تغيير العلم اللبناني

(انظر صفحة ٨٩)

N° ____ عدد ____

التي وجهها الى سفراء ومثلي الدول الحليفة والى السيد جان هيلو ، المندوب العام ، المطلق الصلاحية ، وقد الحق هذه الرسائل بالمحضر "

وبعد ذلك اتخذ المجلس بالاجماع القرار التالي :

قـــــرار

ان مجلس النواب ، يجتمع الوزارة يقته بالاجماع ، ويوافق على جميع التدابير التي اتخذتها ، والمجلس قد وقف على الاعتداء الغاشم والتدابير المستنكرة التي اقدمت عليها السلطة الافرنسية في فجر يوم ١١ تشرين ثاني سنة ١٩٤٢ ، عند اعتقال فخامة الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية المحترم ، ودولة رياض بك الصلح رئيس الحكومة ، ومعالي الوزراء سليم بك تقلا ، كميل بك شمعون ، عادل بك عسيران ، وكف اقتحم جنود فرنسيون مسلحون منازل رؤساء الامة ووزرائها ، المروعين ، وترويعهم النساء والاطفال مما تستنكره مدنية القرن العشرين ، والمجلس يحتج بشدة ويقف على هذا التدخل الغاشم من قبل السلطة الافرنسية ومن ورائها ممن اعتدوا هذه الاوامر ، ويعتبر المجلس ان الدستور لا يزال قائما وان البرلمان يمثل الامة وان رئيس الدولة هو فخامة الشيخ بشارة الخوري وحده دون سواه ، وان رئيس الحكومة هو رياض بك الصلح ، الذي منحه المجلس الثقة بالاجماع ، وان وزراءه هم ، حبيب ابو شهلا ، سليم تقلا ، كميل شمعون ، عادل عسيران ، والامير مجيد ارسلان ، سواء كانوا احرارا او معتقلين ، ولا يعترف المجلس باي رئيس او حكومة تقيم حرائر الدستور ، رغم ارادة الامة ، ولا باي عمل او مرسوم او قانون او تدبير يصدر عن غير السلطات اللبنانية الدستورية الشرعية .

ان المجلس ، الذي اتخذ هذا القرار بالاجماع ، يبعث به الى الدول الحليفة العظمى التي اعلنت استقلال لبنان وسلامته ، ويضعه ثقة شرعية بين ايدي اخواننا في الاقطار العربية وملوكهم ، ورؤسائهم وزعمائهم ، والمجلس يكلف الحكومة بان تطلب من القيادة العليا ان تتخذ التدابير اللازمة للافراج عن فخامة الرئيس الاول ودولة رئيس الوزراء ومعالي الوزراء الثلاثة ولمغادرة السلطة الافرنسية مسؤولة عن سلامتهم وتحمل كل نتيجة يمكن ان تنشأ من عملها الغاشم هذا .

والمجلس يقرر ان يبقى منعقدا بصورة دائمة حتى تصل الامة اللبنانية الى مطاليبها المشروعة هذه "

تحريرا في ، تشرين ثاني سنة ١٩٤٢ م رئيس مجلس النواب

اعضاء مجلس النواب

ابراهيم حيدر ، سعدي المنلا ، محمد بيضون ، يوسف اسطفان ، محمد الفضل ، سليمان العلي ، جبرائيل المر ، عبد الله اليافي ، حبيب ابو شهلا ، محمد المصطفى ، مارون كنعان ، هنري فرعون ، اميل لحود ، نسيب الداوود ، احمد الاسعد ، اديب الفرزلي

N° ____ عدد ____

وقبل ان ترفع الجلسة ابلغنا السيد رئيس مجلس النواب ان السلطة الفرنسية قد اعتقلت كلا من الزميل السيد حميد الحسيد افندي كرامه ، نائب لبنان الشمالي ، فالمجلس يقرر بشأنه ما قرره بشأن رئيس الدولة ورئيس الحكومة والوزراء المعتقلين ، سواء من حيث مطالبته بالافراج عنه او من حيث تحميل السلطة الافرنسية كل مسؤولية تنشأ عن هذا الاعتقال .

تحريرا في ١١ تشرين ثاني سنة ١٩٤٢ .

رئيس مجلس النواب

اعضاء المجلس الذين حضروا الجلسة :

حميد فرنجيه ، وديع نعيم ، يوسف سالم وغيرهم ممن لم نتمكن من قراءة امضاءاتهم

(انظر الصفحة ٩٣)

الجمهورية اللبنانية

REPUBLIQUE LIBANAISE

رقم ـــــــ

N° ـــــــ

مرسوم رقم ١ ـ ح

١ ـ نائب رئيس مجلس الوزراء وزير العدلية والتربية الوطنية

بناء على الدستور اللبناني الصادر في ٢٦ ايار سنة ١٩٢٦ المعدل بموجب القانون الدستوري الصادر في ٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ .

وبناء على التدابير التي اتخذها المغفور له الرئيس رياض الصلح عشية انعقاد المجلس النيابي وتشكيل الحكومة مؤقتة .

ولما كانت هذه التدابير صادرة عن سلطات غير صالحة ومخالفة لميثاق لبنان والدستور والقانون غير مشروعة .

ولما كان فخامة الشيخ بشاره الخوري هو الرئيس الشرعي للجمهورية وكانت هذه السلطة لا تزال ممارسة له وفقا لاحكام الدستور .

ولما كانت الحكومة القائمة هي الحكومة الدستورية الشرعية . وكان المجلس النيابي لا يزال قائما باعتباره السلطة التشريعية الدستورية .

وبناء على اقدام السلطة الفرنسية على اعتقال فخامة رئيس الجمهورية بالقوة والمقدر وقائع بمحضر جلسة مجلس الوزراء المنعقدة برئاسة دولة رئيس مجلس الوزراء بمقر السلطة رئيس الجمهورية القانوني والدستوري .

ولما كانت السلطات الفرنسية قد اعتقلت مرجعية عامة رئيس مجلس الوزراء بمقر السلطة الاجنبية والداخلية والعجز وذلك اصبح من الواجب تأمين المصلحة بحمل النتائج بدلا عنهم لا

يرسم ما يلي :

المادة الاولى = يمارس مجلس الوزراء مؤقتا الصلاحيات المخولة لرئيس الجمهورية وفقا لاحكام الدستور .

المادة الثانية = يقوم مؤقتا نائب رئيس مجلس الوزراء مقام رئيس مجلس الوزراء . ويكلف مؤقتا بوزارات المالية والخارجية والتربية .

المادة الثالثة = يكلف وزير الدفاع والزراعة والصحة مؤقتا بوزارة الداخلية والتموين والتجارة والصناعة والعمل .

المادة الرابعة = يعتبر هذا المرسوم نافذا من تاريخ توقيعه .

١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣

رئيس مجلس الوزراء

صدر عن مقام رئيس الجمهورية

وزير العدلية والتربية الوطنية

مجيد ارسلان — حبيب ابوشهلا — حبيب ابوشهلا

مرسوم رقم واحد للحكومة الشرعية وضع في بيت بشاره الخوري وهويقضي بتوزيع مراكز الوزراء المعتقلين واستلام حبيب ابو شهلا منصب رئيس الدولة .

(انظر صفحة ٨٥)

الجمهورية اللبنانية

عدد ـــــــ

مرسوم رقم ـ ٢ ـ ح

ان نائب رئيس مجلس الوزراء وزير العدلية والتربية الوطنية .

بناء على الدستور اللبناني الصادر في ٢٦ ايار ١٩٢٦

المعدل بموجب القانون الدستوري الصادر في ٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ يرسم ما يأتي :

المادة الاولى ـ عين الكولونيل فوزي الطرابلسي قائدا اعلى لقوى الامن الداخلي .

المادة الثانية ـ ينشر ويبلغ هذا المرسوم حيث تدعو الحاجة .

المادة الثالثة ـ يعتبر هذا المرسوم نافذا من تاريخ توقيعه .

١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ صدر عن مقام رئيس الجمهورية

تعيين الكولونيل فوزي الطرابلسي قائداً لقوى الامن الداخلي

الامضاء : حبيب ابو شهلا

(انظر الصفحة ١٠٨)

الجمهورية اللبنانية
RÉPUBLIQUE LIBANAISE

بـــــلاغ

الى عموم مأموري وموظفي الجمهورية اللبنانية

ان حكومة السيد اميل اده هي حكومة غير شرعية لانها غير منبثقة من الامة وعينت بطريقة مخالفة للدستور.

والحكومة الشرعية الوحيدة هي مجلس الوزراء الذي يقوم مقام رئاسة الجمهورية بحسب الدستور عندما يتعذر على الرئيس ممارسة سلطاته.

لذلك بالاستناد الى الدستور والى مقررات مجلس النواب المتخذة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ تبلغ الحكومة سائر المأمورين والموظفين ان يمتنعوا عن تأدية اعمالهم ومأموریاتهم تحت ظل حكومة غير شرعية وان لا يطيعوا لها امرا ولا يعترفوا بها وان يكفوا عن العمل الى ان تتولى الحكومة الشرعية السلطة الفعلية

١٣ تشرين الثاني ١٩٤٣

وزير الدفاع الوطني والداخلية
مجيد ارسلان

رئيس مجلس الوزراء
القائم باعمال رئيس الجمهورية
حبيب ابو شهلا

بلاغ الى عموم مأموري الدولة بوجوب عدم التعاون مع إده

الامضاء : مجيد ارسلان ، وزير الدفاع والداخلية الامضاء : حبيب ابو شهلا

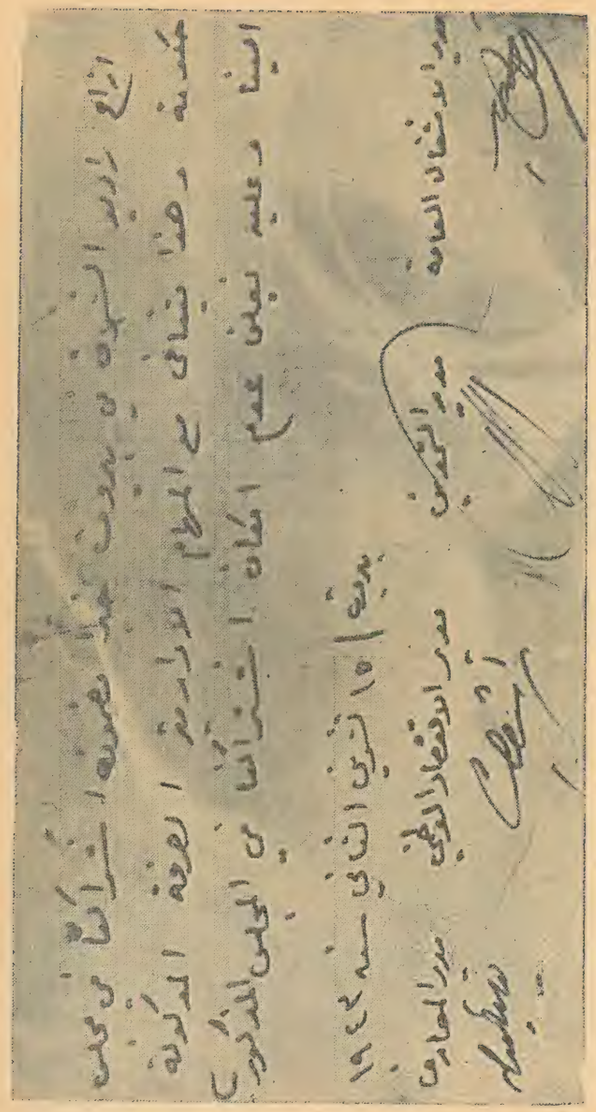

رفض المديرين التعاون مع اميل اده.

مدير الاشغال العامة : اشرف الاحدب
مدير الاقتصاد الوطني : راشد طباره
مدير التموين : اندره التويني
مدير المعارف : يوسف شعون

(انظر صفحة ٥٣)

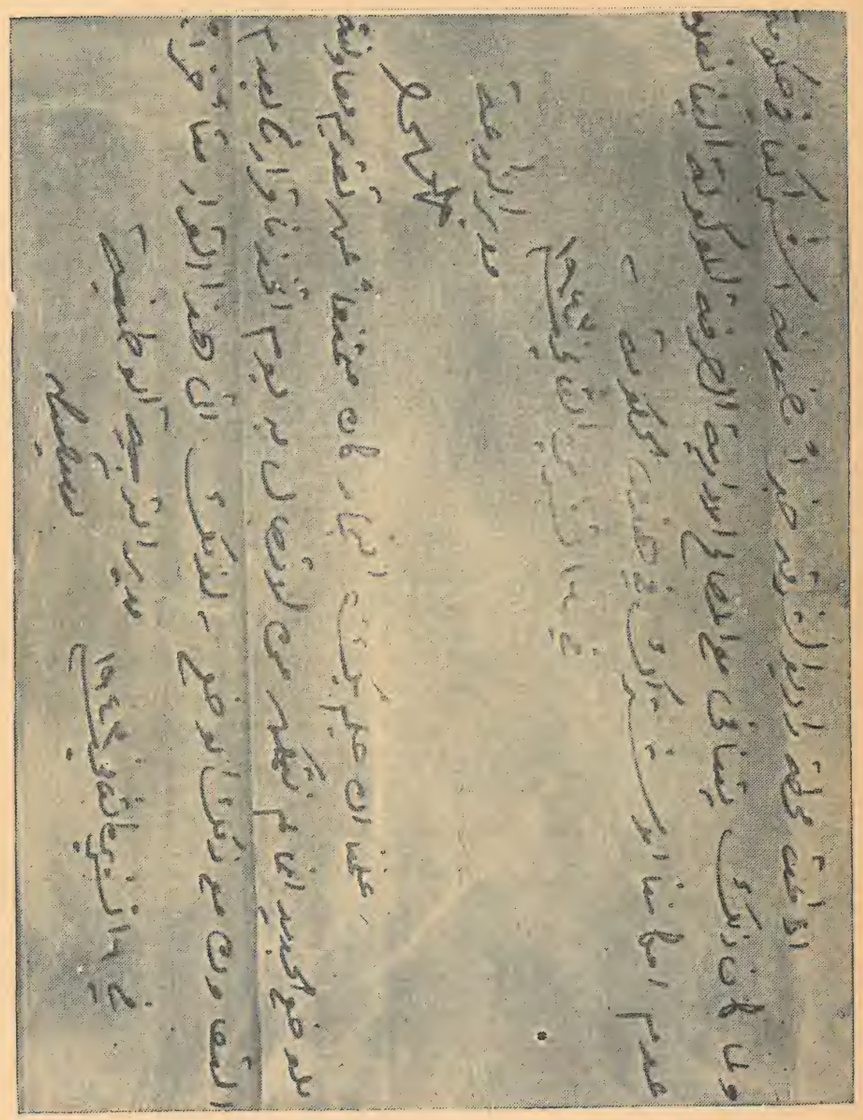

قرار مدير الزراعة اشتراكه مع إده
تكذيب حليم النجار مدير التربية يوسف شهوان من قبل مدير التربية يوسف شهوان
وتزكية شهادة حليم النجار من النجار
(انظر الصفحة ٥٣)

الجمهورية اللبنانية

RÉPUBLIQUE LIBANAISE

الى امين صندوق الخزانة اللبنانية المحترمة

اتخذت الحكومة التي امثلها بمقتضى الدستور بناء على مقررات المجلس النيابي قرارا يمنعكم من دفع اي مبلغ كان من اموال الخزانة الا بالاستناد الى امر تصدره الحكومة الشرعية هذه التي امثلها . على ان كل دفع تجرونه بغير هذه الصورة يعرضكم للمسؤولية المدنية والمسؤولية الجزائية .

تحريرا في ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٣

رئيس مجلس الوزراء وزير المالية

القائم مقام رئيس الجمهورية

قرار الحكومة الشرعية بمنع امين صندوق الخزينة اللبنانية من دفع اي مبلغ كان من اموال الخزينة الا بأمر تصدره الحكومة الشرعية

الامضاء: حبيب ابو شهلا

الجمهورية اللبنانية
RÉPUBLIQUE LIBANAISE

حضرة المدير العام لمصرف سوريا ولبنان

بصفتي رئيس الحكومة اللبنانية القائم مقام رئاسة الجمهورية بمقتضى الدستور لي الشرف ان ابلغكم بان مجلس النواب والحكومة اتخذا بتاريخ اليوم قرارا يمنعكم عن دفع اى مبلغ كان من اموال الخزانة اللبنانية الى الحكومة المزعومة التي تواتها السيد اميل ادة .

فكل دفع تجرونه بامر من غير حكومة لبنان الشرعية التي اطلقها لا تقره الحكومة ولا تعترف به ويكون على محض مسؤوليتكم .

وتفضلوا باخذا علم بذلك وبقبول الاحترام .

رئيس مجلس الوزراء وزير المالية

القائم مقام رئيس الجمهورية

قرار الحكومة الشرعية بمنع مصرف سورية ولبنان من دفع أي مبلغ كان من اموال الخزينة اللبنانية الى حكومة اميل ادة

الامضاء : حبيب ابو شهلا

(انظر الصفحة ١٢٢)

الجمهورية اللبنانية

التاريخ _____

بـــلاغ رقم ١

هاجمت قوات افرنسية سلطة مركز الحكومة الشرعية في بشامون صباح الاثنين في ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٣ فردتها وحدات الحرس الوطني دون خسائر في النفوس وفي صباح اليوم الثاني شنت القوات المصفحة الافرنسية هجوما عنيفا على المركز المذكور فردت على اعقابها اربع مرات متوالية حتى الساعة الثالثة بعد الظهر وسقط بعض القتلى والجرحى من الجنود السنغاليين وقتل شهيدا واحدا بدعى سعيد فخر الدين من عين [illegible]

وزير الدفاع الوطني

والقائد العام لقوات الحرس الوطني

١٩٤٣/١١/١٧

بلاغ الحكومة الشرعية عن المعركة بين الفرنسيين ورجال الحرس الوطني وهو البلاغ الوحيد الذي لم يصدر غيره اذ لم يكن هناك غير شهيد واحد في بشامون خلافاً لتبجح البعض .

الامضاء : مجيد ارسلان

(انظر الصفحة ١٣٣)

بناء على القرار الذي اتخذه مجلس النواب في الجلسة التي عقدها بعد ظهر يوم ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ في مقر الحكومة الموقت في بشامون برئاسة رئيسه صبري بك حماده ، نتشرف ان نبلغ سعادتكم المذكرة التالية =

لا يزال الفرنسيون يعملون على ايهام العالم ان الهدوء قد شمل البلاد ، ويحاولون ان يظهروا بمظهر البلد الهادئ ، الصديق لهم ، المستعد للتساهل في حقوقه الوطنية ، والحقيقة ان لبنان في حالة من الهياج والغليان شديدة جدا وان الاضطراب مضطرب كل الاضطراب وهو على اهبة ثورة لاهبة تشترك فيها جميع المناطق من الهرمل الى بعلبك الى زغرتا وطرابلس الى بيروت فصيدا فجبل عامل الى منطقة الشوف ، بل ان الثورة تتجاوز لبنان الى جبل الدروز وسوريا حيث اوشك الاضطرابات ان تقع بين ساعة واخرى .

ويحاول الفرنسيون في هذه الاثناء ان يعملوا بنا لاجراء مفاوضات لا ندري لها معنى وقد اقر منا مرارا وتكرارا ان ليس للبلاد ولنا الا مطلب واحد وهو اطلاق سراح المعتقلين وعودة الحياة السياسية الى ما كانت عليه قبل اعتداء ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٣ .

ان هذا المطلب هو الحل الوحيد لهذه الازمة الشديدة الخطورة وكل حل سواه يحاول ان يعرضه الفرنسيون على البلاد لا نرضى به ، ولا يكون من نتيجة الا انفجار الثورة في البلاد .

ان الحكومة وقد مضى على الاعتداء عشرة ايام تتشرف بان تبلغكم انها قد استطاعت حتى اليوم بصعوبة كلية ويبذل اقصى ما يمكن من الجهود ان تحول دون وقوع حوادث خطيرة مؤسفة في البلاد ولكنها شاعرة شعورا تاما بان الامر يكاد يفلت من ايديها وان البلاد اذا لم تنل مطالبها مقبلة على ثورة اذا انفجرت فالله وحده يعلم متى تنتهي وكيف تتطور واي حوادث فاجعة يمكن ان تتخللها .

ونحن لنا الشرف ان نحذركم من عواقب هذا الانفجار ، وكلما مضت ساعة ازداد الطغيان في التفرس ودعم الخطر على شكل واضح وليس من حل يضع حدا لهذه الحالة الشديدة الخطورة سوى عودة المعتقلين احرارا وعودة الحياة الدستورية الى ما كانت عليه قبل ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٣

ولما كنتم يا صاحب السعادة تمثلون بلدا عظيما اعترفت باستقلالنا وضمنته فاننا نتقدم بهذه المذكرة احترازا لكل ما يمكن وقوعه في الغد القريب ، اذا لم تتحقق حالا مطالب البلاد ودفعا لكل مسؤولية تنشأ عن حوادث خطيرة تتمخض بها البلاد ، ومن واجبنا ان نحيطكم علما بها .

وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول فائق احترامنا

وزير الداخلية والدفاع الوطني

عن مقر الحكومة اللبنانية الدستورية الشرعية في بشامون في ٢١ تشرين ثاني ١٩٤٣

باسم مجلس الوزراء القائم باعمال رئيس الجمهورية

رئيس مجلس النواب

بلاغ الحكومة الشرعية في بشامون عن استمرار النضال حتى عودة المعتقلين

الامضاء : مجيد ارسلان ، حبيب ابوشهلا ، صبري حماده ، ومدير غرفة الرئاسة بالوكالة ، خليل تقي الدين

الجمهورية اللبنانية

REPUBLIQUE LIBANAISE

رقم _____ N° _____

بلاغ

ان الحكومة اللبنانية الدستورية الشرعية تذيع على الشعب اللبناني الكريم من مقرها الموقت في بشامون – لبنان – انها منذ الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ ومنذ الدقيقة التي وقع فيها الاعتداء على دستور البلاد وحريتها واستقلالها واعتقال رؤساؤها ووزراؤها ونوابها وشبانها مستمرة في جهادها تؤيدها الامة الكريمة بشيبها وشبانها من مختلف طبقاتهم وطوائفهم وهي ستظل ماضية في الجهاد حتى تتحقق اماني البلاد الوطنية كلها ، كاملة غير منقوصة وتنحصر هذه الاماني فيما يلي :

اولا – اطلاق سراح المعتقلين من فخامة الرئيس الاول الى دولة رئيس الوزراء ومعالي الوزراء وسماحة النائب الشيخ عبد الحميد كرامي الى الشبان اللبنانيين الوطنيين الشيخ بطرس الجميل واخوانه الكرام من شباب الكتائب والنجادة وغيرهم ممن لا ينتمون الى اية منظمة .

ثانيا – عودة الحياة الدستورية وعودة فخامة رئيس الجمهورية الى رئاسته ودولة رئيس الوزارة ومعالي الوزراء الى كراسيهم والنواب ورئيسهم الى البرلمان ورجوع الحالة السياسية في لبنان الى ما كانت عليه قبل اعتداء ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٣ .

ولتكن الامة واثقة من اننا جعلنا من هذه الاماني الوطنية هدفا لن نألو جهدا في الجهاد حتى نصل اليه ، وخيالا اسمى يقود اعمالنا ومقرراتنا وحركاتنا وسكناتنا ، ولتكن مطمئنة الى ان القضية الوطنية بين يدي حكومة شرعية ومجلس نيابي يحرصان عليها كل الحرص ويبذلون في سبيلها حتى الحياة وحسبنا فخرا ان الامة من ورائنا تساندنا وتؤيدنا وتلهب حماستها قلوبنا وتملأ صدورنا ايمانا بان قضية لبنان هي قضية الاستقلال والحرية وقضية الكرامة والعزة الوطنية وهي قضية منتصرة باذن الله .

صدر عن مقر الحكومة اللبنانية الدستورية الشرعية في بشامون – لبنان

في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣

وزير الداخلية والدفاع الوطني

رئيس مجلس النواب

نائب رئيس مجلس الوزراء القائم باعمال رئيس الجمهورية

مدير غرفة الرئاسة بالوكالة

كتاب الحكومة الشرعية للسفراء الاجانب عن وجوب الاسراع في حلّ الأزمة

الامضاء : مجيد ارسلان ، حبيب ابوشهلا ، صبري حماده

REPUBLIQUE LIBANAISE

الجمهورية اللبنانية

N°

عدد

بلاغ

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاحد الواقع في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ تسلمت الحكومة اللبنانية الشرعية في مقرها المؤقت في بشامون من يدي شباب الكتائب والنجادة العلم اللبناني الجديد الذي اقره مجلس النواب بتاريخ ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ وهو بناء لك من ثلاثة اقسام اعلاه الوانها حمراء فبيضاء فحمراء تتوسطها ارزة خضراء في وسط القسم الابيض .

وقد تولى اصحاب الفخامة والمعالي نائب رئيس مجلس الوزراء القائم باعمال رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب ووزير الداخلية والدفاع الوطني والقائد العام للقوات الحربية الوطنية رفع العلم على سارية نصبت فوق مقر الحكومة المؤقت ثم عزف امام الحرس الوطني وهم ينشدون النشيد اللبناني .

وقد صفقت طويلا جماهير الشبان الحاضرين والزائرين الوافدة على الحكومة عندما خفق العلم الجديد .

صدر عن مقر الحكومة المؤقت في بشامون

في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣

بلاغ الحكومة الشرعية في بشامون وفيه ذكر تسلمها العلم اللبناني الجديد من افراد الكتائب والنجادة بتاريخ الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٩٤٣

الامضاء : حبيب ابوشهلا

(انظر الصفحة ٢١٦)

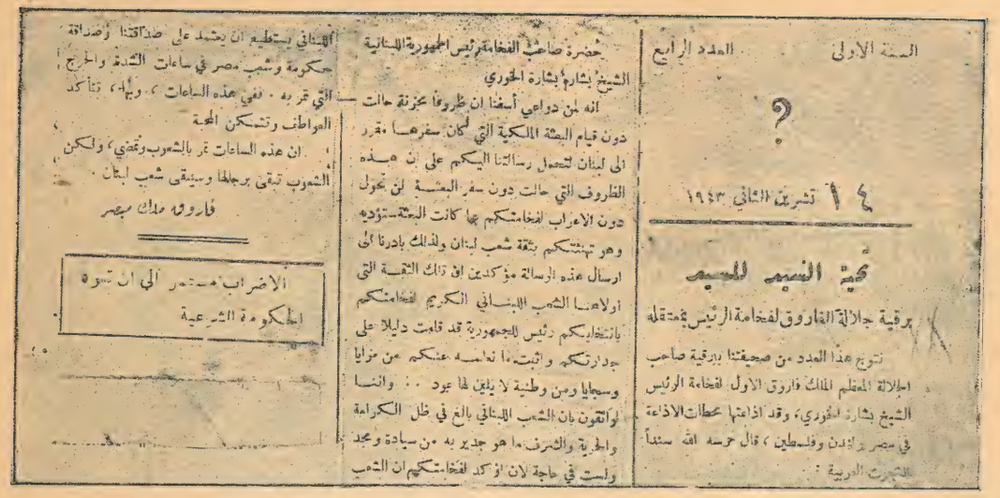

السنة الاولى — العدد الرابع

؟

١٤ تشرين الثاني ١٩٤٣

تحية النسيم للسيد

برقية جلالة الفاروق لفخامة الرئيس بمناسبة

تتوج هذا العدد من صحيفتنا ببرقية صاحب الجلالة المعظم الملك فاروق الاول لفخامة الرئيس الشيخ بشارة الخوري، وقد اذاعتها محطات الاذاعة في مصر ولندن وفلسطين ، قال جلالته الله سنداً

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة بشارة الخوري

انه لمن دواعي أسفنا ان طرأ ما عزنقة حالت دون قيام البعثة الملكية التي كان سفرها مقرر الى لبنان لتحمل رسالتنا اليكم على ان هذه الظروف التي حالت دون سفر البعثة لن تحول دون الاعراب لفخامتكم عما كانت البعثة ستؤديه وهو تهنئتكم بثقة شعب لبنان ولذلك بادرنا الى ارسال هذه الرسالة مؤكدين اق تلك الثقة التي اولاها الشعب اللبناني الكريم لفخامتكم بانتخابكم رئيس للجمهورية قد قامت دليلا على جدارتكم واثبت ما تحلتم عنكم من مزايا وسجايا ومن وطنية لا يلين لها عود .. واننا واثقون بان الشعب اللبناني بالغ في ظل الكرامة والحرية والشرف ما هو جدير به من سيادة ومجد ولست في حاجة لان اؤكد لفخامتكم ان الشعب اللبناني يستطيع ان يعتمد على صداقتنا وصداقة حكومة وشعب مصر في ساعات الشدة والحرج التي تمر به . ففي هذه الساعات ، وربما ، تتأكد المواطف وتتمكن المحبة

ان هذه الساعات تمر بالشعوب وتمضي، ولكن الشعوب تبقى برجالها وسيبقى شعب لبنان .

فاروق ملك مصر

الاضراب مستمر الى ان تتوه الحكومة الشرعية

؟ ؟ ؟

العدد ٨ ص ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣

ايها المواطن الكريم

ان الجمهور يطبع هذا العدد كبير ، والصعوبات كثيرة ، لذلك نرجوك ان تقرأ العدد وتطبقه لتدرك فتكون قد ساهمت بالواجب

المؤتمر الوطني اللبناني العام

الامة تعبئ قواها كلها لمقاومة العدوان

بينما كان نواب الامة مجتمعون برغم ملاحقة القوات المسلحة لهم هازئين بتهديد حراب العدو ورشاشاتهم ، ويبحثون ويعملون لحفظ استقلال لبنان وسيادته وحقوقه بكل الطرق الممكنة ، كانت سائر قوى الامة تتجند وتجاهد في هذا السبيل الكريم

وقد اجتمع مؤتمر وطني عام حضره كل ذي كلمة مسموعة او منزلة مرموقة من الوجهاء والزعماء والشباب والصحفيين والتجار ومندوبي النقابات والمنتدبين والزراع وغيرهم من اصحاب المهاب وارباب الوطنية

وقد عقد المؤتمر عدة جلسات فكانت الجلسة تبتدئ عند الثانية او كانت الاولى من الاهنين

للتضحية بالدماء والنفوس في سبيلها .

وقد اتخذت عدة مقررات خطيرة في الجلسة الاولى ونظمت لجان متعددة في سبيل تنظيم المقاومة على انواعها . وقد عرفنا انه في جلسة واحدة بلغت التبرعات اربعين الف ليرة

وفي جملة المقررات التي اتخذها المؤتمر اليكم خطيرتان جدا :

اولا — لا مفاوضة مع المعتدين وعن لينفك الا الحكومة الشرعية

ثانيا — استمرار المقاومة بشتى اشكالها وبمختلف الاساليب حتى تعود الاوضاع السياسية الى ما كانت عليه قبل اعتداء القوة الغاشمة على الاستقلال وحكام البلاد الرسميين الشرعيين

وقد انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية برئاسة معالي بك قرعون واحمد بك الداعوق وعضوية السادة الآتية اسماؤهم :

وهذه بعض اسماء الذين اشتركوا في المؤتمر وصوتوا مقرراته :

وسيتابع المؤتمر العمل وتلقي فيه خطب وافية بالوسائل الكفيلة التي توكتيها الحالة الدقيقة التي تجتازها سلامة الافرنسيين وسلامهم واعتداءاتهم

عرضت عصابة العطف والتزوير على فخامة رئيسنا المحبوب الشيخ بشاره الخوري الخروج من معتقله فابت عليه كرامته واخلاصه ان يخرج دونه اركان حكومته قائلا .

لن اخرج دونه حكومتي مشترطاً عودة دستور البلاد واستقلالها وحريتها واعتذار عصابة العطف الاشرار لجميع اللبنانيين عما جرى

العدد السابع من جريدة علامة الاستفهام (انظر ص ٧٦ — ٧٩)

العدد الرابع من جريدة علامة الاستفهام (انظر ص ٧٦ — ٧٩)

العدد ٧ في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٢

ايها المواطن الكريم

ان المجهود لطبع هذا العدد كبير . والصعوبات كثيرة . لذلك نرجوك ان تقرأ العدد وتعطيه لغيرك فتكون قد ساهمت بالواجب

لتمت الدسائس

اذاع الشباب الوطني البلاغ التالي :

ايها اللبنانيون

يحاول الفرنسيون اثارة النعرات الطائفية في سبيل ابقاء كابوس الاستعمار فوق صدوركم ولا يخجل الفرنسيون من بذل الاموال الكثيرة وهي اموالكم يأخذونها من صندوق المصالح المشتركة ليدسوا بين الطوائف سمومهم وشرورهم .

ايها اللبنانيون

انتم اليوم على عتبة الاستقلال وقد وقف العالم المتمدن باجمعه الى جانبكم . وليس لكم من خصم سوى المستعمرين الافرنسيين . فاعرفوا كيف تقابلون دسائسهم كما عرفتم كيف تقابلون رصاصهم

يا ابناء الوطن

لن تمر بكم فرصة مثل هذه لتحقيق امانيكم المشروعة في الحرية والاستقلال فزحزحوا كابوس الاستعمار الفرنسي وشقوا الطريق للحياة والاستقلال . وافهموا هؤلاء المستعمرين ان في لبنان طائفة واحدة وامة واحدة .

الشباب الوطني اللبناني

برقية من الحكومة الشرعية الى الملك فاروق

سعادة احمد رمزي بك القائم باعمال المفوضية المصرية الاقدم

نرجو ان تتفضلوا برفع البرقية التالية الى الاعتاب الملكية السامية

مصر — حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاولا ملك مصر المعظم

بلغ الحكومة اللبنانية الدستورية الشرعية الآن حادث السيارة الذي وقع لجلالتكم وقد لطف الله ورضي بعين عنايته الفاروق فحمدنا الله عز وجل على سلامة جلالتكم الغالية وقاها الله وحفظ لمصر مليكها العظيم

وزير الداخلية والدفاع الوطني — باسم مجلس الوزراء

الامضاء : مجيد ارسلان — نائب رئيس مجلس الوزراء القائم باعمال رئاسة الجمهورية

رئيس مجلس النواب — الامضاء : حبيب ابي شهلا

صبري حماده

وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول فائق احترامنا

صدر عن مقر الحكومة الموقت في بشامون في ١٧ ت ٢ سنة ٩٤٣

علامة الاستفهام !

اصدرت الدوائر الافرنسية نشرة صحفية توجتها بعلامة الاستفهام مقلدة بذلك نشرتنا الوطنية هذه التي تعبر عن رأي الامة وتصور عاطفتها اصدق تصوير .

وشاء الافرنسيون ان يتوصلوا بطريقة من الطرق الى القراء . وقد ادركوا ان كل ما يصدر عنهم منبوذ تلقيه الامة الجريحة وتدوسه .

واخيراً لجأوا الى هذه الحيلة فاخذوا شعار جريدة الامة والمقاومة ، ووضعوها فوق ورقتهم الحاملة لكل الاقذار والسفاهات والاكاذيب . ولكن الجمهور لم ينخدع بل ادرك الحيلة التي لم يستغربها على من شأنهم الاحتيال والصغارة .

ونحن يسرنا ان يلجأ الافرنسيون الى هذه الحيلة لان في ذلك اعترافاً ضمنياً منهم بان هذه الامة قد نبذتهم وانها اصبحت تمقتهم وتمقت كل ما يمت اليهم ومن يمت اليهم بصلة

اننا نعرف ان الجريدة ليست بعنوانها ، ولكن بجوهرها وشتان بين ما تحمل جريدتنا « علامة الاستفهام » والجريدة المزيفة المزورة ، جريدة المعتدين وعبيدهم

ونحن لن نقيم عليهم دعوى التزوير . ولكن سنضيف الى علامة الاستفهام عبارة تجعل القارئ يميز حالا ودون مطالعة المقالات جريدة الوطنية والمقاومة من جريدة الخيانة والذل والعبودية . ولم نجد افضل لهذا من ان نضع عبارة « ليسقط الخائن اده » ومتى قالوها في « علامة استفهامهم » فاننا نقفل « علامة استفهامنا » !

العدد الثامن من جريدة علامة الاستفهام (انظر ص ٧٦ – ٧٩)

فهرست الاعلام *

أ

ابراهيم الاحدب ١٥٠
ابراهيم عودة ١٥٠
اديب البعيني ١١٣، ١١٤، ١٣٠
اوربة ٢٢٢
احمد الداعوق ١٥٠
احمد الحسيني ٤٩، ٥٣، ٨٠، ١٧٥، ٢٠٢
احمد رمزي ٩٧
ايوب ثابت ٢٩، ٣٠، ٥٣، ١٧٥، ١٧٦
ايطالية ١٨، ٢٠
ايلي فارحي ١٥٠
ايلي خياط ١٥٠
الياس طرابلسي ١٥٠
الياس البعقليني ١٥٠
الياس ربابي ١٤٧، ١٥٠
المانية ٧٢، ٢٠٢، ٢٠٧
الفرد نصر ١٥٠
الفرد نقاش ٢٦، ٢٩، ١٧٤، ١٧٦
اميل اده ٤٨، ٤٩، ٥٣، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٦، ٩٥، ٩٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٤٦، ١٥٩، ١٦٦، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٨
امين الحلبي ١٥٠
امين السعد ٤٩، ٥٣
امين الريحاني ١٨
امين خليفة ١٩٨، ٢٠٣
اميركة [انظر الولايات المتحدة] ١٨، ٢٨، ٥١، ٦٣، ٦٤، ١٦١، ١٩٠، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٢
انطون رزق ١٧٧
انطلياس ٢١١
انكلترة [انظر بريطانية] ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٨، ٦٤
اسكندرونة ١٦٤
اسعد البستاني ٤٩، ٨٠
ارتين مادويان ١٥٠
اغناطيوس مبارك [المطران] ٦٥، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٨، ١٨٠، ٢١٧

ب

بار [بيير] ٤٨، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤
باريس ١٧، ١٨
بهيجة [الصلح] ٦١
بواسو [كولونيل] ١٧٧
بونسو ٢٣
بوغنز ١٦١، ١٧٦
بطرس [ملك يوغوسلافيا] ٥٦
بطرس الجميّل ٩٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥١، ١٦٧

* كانت للاستاذ محمد توفيق حسين المدرس بالجامعة الاميركية اليد الطولى في وضع هذا الفهرست، فله خالص الشكر والثناء . [المؤلف]

بنيو ٢٥
بيكو [جورج] ١٥
بيلين ١٧٦
بيروت ١٦، ١٨، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٤٨، ٥١،
٥٦، ٦٤، ٦٩، ٧٠، ٧٧، ٨١، ٩١،
٩٣، ٩٨، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧،
١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤،
١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥،
١٢٧، ١٣٥، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨،
١٥٥، ١٥٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣،
١٦٧، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩،
١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩،
١٩٠، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨،
٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٧
بيت الدين ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٦٩
بكركي ١٦٦، ١٨٤
بلفور ١٧
البسطة ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٦٣
بعبدا ١٢٧، ١٦٩
بعلبك ٢٢، ٩٨، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٦
بعقلين ١٢٦
البقاع ٢٢، ٣٠، ٦٤، ١٠٦
بر الياس ٤١
بريطانية العظمى [انظر انكلترة] ١٤،
١٥، ١٦، ١٧، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٤٤،
٥٩، ٦٤، ٨٧، ٨٩، ١٢٧، ١٦٨،
١٧٢، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٥،
٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢١
بشامون ٧٧، ٨٢، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣،
١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨،
١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤،
١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٢١،
١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨،
١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣،
١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٥٠،
١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٩،
١٨١، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢،
٢١٠، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧،
٢٢٢
بشارة خليل الخوري ٣٠، ٣٣، ٥٨، ٦٥،
٨٦، ٨٩، ٩١، ١١١، ١٢٦، ١٣٥،
١٤٦، ١٥١، ١٦٣، ١٧٨، ١٩٢،
١٩٣، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٥، ٢١٢،
٢١٥
بشير الشهابي [الامير] ١٢٦، ١٢٧
بشري ١٦٧
بترو طراد ١٧٥

ج

الجامعة الاميركية ٢٣، ١١٣، ١٥٥،
١٥٦، ١٦٢
جبل الدروز ٢٢، ٢٧، ٢٠٦
جبرائيل المر ٤٩، ٨٠، ٩١، ٢٠١
جبرائيل تقلا باشا ١٧٧
جبران التويني ١٨٣
جواد بولس ٨٠
جوزف شمعون ٨١

جونيه ١٦٧
جورج زوين ٤٩
جورج حنا ١٥٠
جورج الكفوري ١٧٥
جورج كرم ١٥٠
جورج عاقوري ١٥٠
جورج عقل ٤٩
جورج ريس ١٥٠
جورج ثابت ١٨٣
الجزائر ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٦٥،
٧٢، ٨٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧،
١٨٨، ١٩٠، ١٩٨، ٢١٢، ٢٢١
جمال [باشا] ١٦
الجميزة ١٤٦، ١٤٧، ١٥٣، ١٦٣
جميل مردم ٢٠٩
جميل تلحوق ٤٩

د

الدامور ٢٨، ١١٧
دانتز [الجنرال] ٢٦، ٢٨
دافيد ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٢١٢
دارلان [الاميرال] ٢٨
ده مارتيل ٢٣
ده غول ٢٦، ٢٨، ٦٤، ٦٦، ١٧٦، ١٨٦
ده لافالاد [الجنرال] ١٨٧، ٢١٢، ٢١٥
الديمان ١٦٦، ١٨٥
دير القمر ١٢٦، ١٣٦، ١٦٧
دمشق ١٦، ١٩، ٢٦، ١٠٢، ٢٠٦

ه

هاني غندور ١٥٦
هالو [جان] ٣٠، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٥٠، ٥٤،
٥٦، ٥٧، ٧٠، ٧١، ٨٥، ١٠٦،
١٥٩، ١٦١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦،
١٧٧، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩،
١٩١، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٥،
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٨
هنري فرعون ٦٨، ٨٧، ٨٩، ١٦٠
الهرمل ٩٨، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٦، ٢٠٢
هتار ٢٧

و

واشنطن ٢٠١
وديع الاشقر ٤٩، ٩١
ويغان ٢٢، ٦٦، ٦٨
الولايات المتحدة [انظر اميركة] ١٧٢،
٢٠١
ويلسن [الجنرال] ٢٨، ٦٤
ويلسن [ودرو] ١٦

ز

زيد [الامير] ١٤٣
زغرتا ١٦٧

ح

حاصبيا ١٢٥
حبيب ابو شهلا ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥،
٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٨،
١١٧، ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٩،
١٣٤، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩،

٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤،
٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٦
حبيب باشا السعد ٢٣
حبيب ربيز ١٥٠
حكمت جنبلاط ١٧٥
حليم نجار ٨١
حمص ٢٧
حسين بن علي [الملك] ١٤، ١٦، ١٧
حسين الحلبي ١٠٩
حسن بحصلي ١٥٠
حسن عيتاني ٧٥

ط

طهران ١٠٧
طوكيو ٢٣
طعان ١٢٥
طرابلس ٢٢، ٢٨، ٦٣، ٨٦، ٩٧، ١١٢،
١٢٠، ١٦٧

ي

يافا ١٧٢
يني كومشيان ٢١١
يوسف سالم ٩٥، ١٦٠
يوسف عطية ١٥٠

ك

كايزي ٦٠، ١٢٧، ١٥٦، ١٦٠، ١٨٨، ٢٠٩
كايلا ٢٢
كاترو [الجنرال] ٢٧، ٢٩، ٧٠، ١٧٤،
١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠،
١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨،
١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٦،
١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١،
٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠،
٢١٥، ٢٢٠
كليمنصو ١٨
كمال جبر ١٥٠
كمال جنبلاط ٤٩
كميل نمر شمعون ٤١، ٦٢، ٦٦، ٧٦،
١٢٦، ٢١٠
كنغ ١٨، ٢٠
كسروان ١٦٧
كرين ١٨، ٢٠
الكتائب ١٢٠، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩،
١٥٠، ١٦٧
كتشنر [لورد] ١٤

ل

لبنان ٧، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١،
٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣١،
٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤١،
٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩،
٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦٦، ٧٠،
٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٩، ٨١، ٧٢، ٨٤،
٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩،
١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١١٣،
١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢،
١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٥،
١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٢، ١٤٩،
١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨،
١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦،
١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥،
١٧٦، ١٧٧، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٦،
١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١،
١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦،
٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢،
٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧،
٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣
لبيسيه ١٦٨
اللجنة الفرنسية في الجزائر ٤٣، ٤٥، ٤٦،
٥٠، ٥١، ٦٤، ٧٠، ٧٢، ٩٧،
١٥٩، ١٦١، ١٧٦، ١٧٧، ١٩١،
٢٠١، ٢١٠، ٢١٣
لودك ٢١٤
لويد جورج ١٧
لورنس [كولونيل] ١٥
لويس زياده ٢٠٢
اللورين ٢٠٣
لميا [الصلح] ٦١
لندن ١٧، ٤٤، ٧٥، ٧٩

م

ماكماهون [هنري] ١٤، ١٥
ماكينزي ٢٠٨
ماسيغلي ٢٠٨، ٢٠٩
مارون كنعان ٨٧، ٨٩
مجيد ارسلان ٨٢، ٨٣، ٩١، ٩٦، ١٠٤،
١٠٦، ١٠٨، ١١٠، ١١٤، ١٢٤،
١٢٩، ١٣٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩،
٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦،
٢١٦
موسى دركلوسيان ٥٣
موسى مبارك ٢١٢
موسى نمور ١٧٥، ٢٠٢
موسى فريج ١٥٠
موسوليني ١٤٥
مورفي ٢٠٨
الموصل ٢٠، ٢١
مزهر [الدكتور] ١١١
محيي الدين النصولي ١٥٠، ١٨٣
محمد سلام ٩٦
محمد علي بيهم ١٥٠
محمد الفضل ٨٧، ٨٩
محمد توفيق خالد [المفتي] ١٦٠، ٢١٧
محمد خالد ١٥٠
محسن بيضون ٦٢
ميرابو ٩٠
ميشال عطية ١٥٠
ميشال موسى طراد ١٥٠
ميثاق الاطلنطيك ٥١، ٦٦، ٢٢٣
منى [الصلح] ٦١
منير تقي الدين ١١٣
معروف ١٢٥
مصباح سلام ١٥٠
مصطفى بيضون ١٥٠
مصطفى النحاس باشا ١٢١، ١٢٢، ١٤١،
١٦١، ١٦٨، ١٧٥، ٢٢١

مصر ٢٨، ٧٩، ٨٧، ٩٦، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٤١، ١٤٢، ١٦١، ١٦٨، ٢٢١
مرباطة ٦٣

ن

النجادة ١٢٠، ١٤٨، ١٥٠
نوري السعيد ٢٢١
نورالدين الرفاعي ٥٦، ٨٣
نعيم مغبغب ٧٦، ١١٣، ١١٥، ١٢٥
نقولا بسترس ١٥٠

س

سايكس [مارك] ١٥
سامي الصلح ٢٦، ١٧٤، ١٧٥
سامي عبد الملك ١٥٠
سان ريمو ١٨، ٢٠
سبيرز [الجنرال] ٢٩، ٣٠، ٥٧، ٥٩، ١٢٨، ١٤١، ١٥٥، ١٥٨، ١٨٣، ٢٠٥، ٢٢٠، ٢٢١
سبيرز [اللايدي] ١٥٧، ١٦٢
سوبرة ١٤٥
سوق الغرب ١٠٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧
سورية ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٩، ٣٦، ٤٢، ٤٤، ٥٣، ٥٤، ٦٥، ٨٤، ١٢٢، ١٥٨، ١٦١، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٥، ١٨٩، ١٩١، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣
سوشيه ٥٤
سليمان نوفل [كولونيل] ٥٦، ٨٠، ٨٣، ١٨٥، ١٩٣، ١٩٦
سلمون ١٩٨، ٢٠٠
سليم ادريس ١٥٠
سليم الطيارة ١٥٠
سليم تقلا ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٦٦
سعد الله الجابري ٤٢
سعد زغلول ١٢١
سعدي المنلا ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩
سعيد فريحه ٦٨، ١٥٠
سعيد فخر الدين ١٣٢، ٢٠٠
سرايل [الجنرال] ٢٢
سرحول ١٠٦، ١٢٩، ١٣٣
سرسق ١٨٠، ١٩٧
ستالين ٦٧

ع

عادل عسيران ٦١، ٦٦، ٢١٠، ٢٢٢
عاليه ٦٢، ٦٣، ١٠٢، ١٢٧، ١٨٧
عبد الحميد كرامي ٦٣، ٦٦، ٩٧، ٢١٧
عبد الله بيهم ٨٠، ١٧٥
عبد الله اليافي ٨٠
عبد الرحمن سحمراني ١٥٠
عبد الغني الخطيب ٤٩
عين زحلتا ١١٣، ١٦٧
عين عنوب ٩٨، ١٠٢، ١١٦، ١٣٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٣
عيناب ١٠٣، ١١٦

عينات ١٠٢، ١٣١، ١٣٢، ٢٠٣
عكا ٢٩
عكار ١١٣
عليا [الصلح] ٦١
عمر الداعوق ١٨٣
عمر فاخوري ٨٠، ٢٠٢
العراق ١٤، ١٦، ٢٠، ٢٤، ٢٧، ٧٩، ٨٧، ٩٧، ١١٣، ١٤٣، ١٦١، ١٦٨، ٢٢١
عرمون ١٠٦

ف

الفاروق [الملك] ١٢١، ١٤١
فوش ٦٨
فوزي طرابلسي [الكولونيل] ١٠٨، ١٠٩، ١٢٣
الفياضية ١٥٦
فيليب بولس ١٧٥
فيلمون الخوري ١٢٣
فيصل [الملك] ١٧، ١٨، ١٩
فيشي ٢٧، ٢٨، ٥١، ٢٢١
فلسطين ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ٧٥، ٧٩، ١٠٧، ١١٧، ١٦١، ١٦٨
فندنبرغ ٢٢
فرج الله الحلو ١٥٠
فريد طليع ١٥٠
فرنسة ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٦، ٤٢، ٢٣، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٦، ٥٧، ٦٤، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٩٥، ١٠١، ١٠٦، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢
فرنسة الحرة ٢٧، ٢٩، ٥٤، ٢٩٨
فرساي ١٧

ص

صائب سلام ٨٧، ٨٩، ٩٢، ٩٤، ٢٠١
صبري حماده ٨٣، ٨٧، ٨٩، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٥، ١٠٨، ١٢٦، ١٢٩، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٧
صور ٢٢
صيدا ٢٢، ١١٢، ١٢٠

ق

القاهرة ٢٧، ٥٠، ٥١، ١٠٧، ١١٧، ١٧٩، ١٨٧، ١٩٠
القامشلي ٦٥، ٨٤

ر

راشد طباره ٨١
راشيا ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٧٧، ١١١، ١٢٥، ١٩٩، ٢١٠، ٢٢٢
ردشارد لو ٤٤
روجه [الكولونيل اوليفا] ٢٠٣
روسية ٢٩، ٦٧، ٨٩، ١٧٢
رئيف ابي اللمع ١٥٠
رياض الصلح ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٢، ٤٦،

فهرست

صفحة

مصادر الكتاب ٥
مقدمة ٩
الباب الأول : لبنان قبل الاستقلال ١٣
١ – لمحة موجزة عن لبنان في اثناء الحرب العامة (١٩١٤–١٩١٨) ١٤
٢ – لبنان خلال الانتداب (١٩٢٠ – ١٩٣٦) ٢٠
٣ – حملة الحلفاء على سورية ولبنان عام ١٩٤١ ٢٦
الباب الثاني : وثبة لبنان لنيل استقلاله ٣١
١ – دخول عناصر جديدة ٣٢
٢ – نشوب الأزمة بين لبنان وفرنسة ٥٠
٣ – تاريخ لن ينساه لبنان (١١ نوفمبر ١٩٤٣) ٥٨
٤ – البلاد ترفض التعاون مع إدة ٨٠
٥ – الفرنسيون يستمرون في التحدّي ٩٤
الباب الثالث : دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم انه نورٌ وحق ١٠١
١ – بشامون ١٠٢
٢ – الحكومة تعمل ١١٩
٣ – من مذكرات بشامون ١٢٥

٤٧، ٥٠، ٥١، ٦٠، ٦١، ٦٥، ٦٦،
٧١، ٧٢، ٨٦، ٧٩، ٩٧، ١٠٨ ،
١١١، ١٣٥، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨،
١٥١، ١٦٠، ١٦٤، ١٧٨، ١٧٩،
١٨٤، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٠،
٢١١، ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٢
رينه سرسق ١٥٠
رشيد بيضون ٦١، ٦٢، ٨٧، ٨٩
رشيد عالي الكيلاني ١٦٨

ش

شابان ٢٠٨
شابير [جان] ٧١، ٢١٤
شارل دباس ٢٣
شاتينيو [ايف] ٥٢، ٧١، ١٩١، ٢٠٠،
٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥
الشويفات ٩٨، ١٠٢، ١٣٦
الشوف ١٢٥، ١٦٩، ٢٠٤
شكا ٢٨
شكيب وهاب ٢٠٤
شملان ١٠٢، ١٠٣، ١١٦، ١٣١
شفيق نورالدين ١٣٤
الشقيف ٢٠٠
شتورة ٤٣

ت

التابلاين ٢٢١
تدمر ٢٧
توفيق لطف الله عواد ١٧٥
تحسين قدري ٥٦، ٩٧، ١٤٢، ١٥٨
تقي الدين الصلح ١٥٠
ترابو [القومندان] ٢٢
تركية ٢٨، ١٦٤
تشرشل ٦٤

خ

خليل تقي الدين ٨٩، ٩٦، ٩٨، ١٠٩، ٢٠٣
خليل [الخوري] ٥٩

غ

غراي [ادوارد] ١٥
غورو [الجنرال] ١٨، ١٩، ٢٢
غوتييه ٤٩، ٧٤، ٩٤، ١٦١، ١٧٦، ٢٠٦

الباب الرابع : وللحرية الحمراء بابٌ

بكل يد مضرجة يدقّ ١٣٩

١ — العاصمة اللبنانية واشتعال الثورة فيها ١٤٠

٢ — الدول الأجنبية تسعى لحل الأزمة ١٦٠

٣ — الجنرال كاترو في بيروت ١٧٤

٤ — مقابلة سرية بين الخوري والصلح وكاترو ١٩٣

الباب الخامس : ولا بد لليل ان ينجلي

ولا بدّ للقيد ان ينكسر ١٩٥

١ — انتقال المفاوضات الى بشامون ١٩٦

٢ — مفاوض فرنسي جديد ٢٠٣

الخاتمـــة

١ — الاستقلال يؤخذ ولا يعطى ٢٠٨

٢ — العوامل التي أدت الى استقلال لبنان السياسي ٢١٩٠

وثائق ٢٢٤

فهرست الاعلام ٢٤٧

فهرست ٢٥٥

بصدر قريباً للمؤلف

الجـلاء

كتاب مُسْهب يتمم القصة التي عرض لها هذا الكتاب، ويقدم الى القراء صورة صادقة مؤيدة بالوثائق العلمية عن كيفية جلاء الجيوش الاجنبية عن لبنان وما عقب ذلك من احداث هامة حتى يومنا هذا .

١٧٠ / ٢ / ٥٣